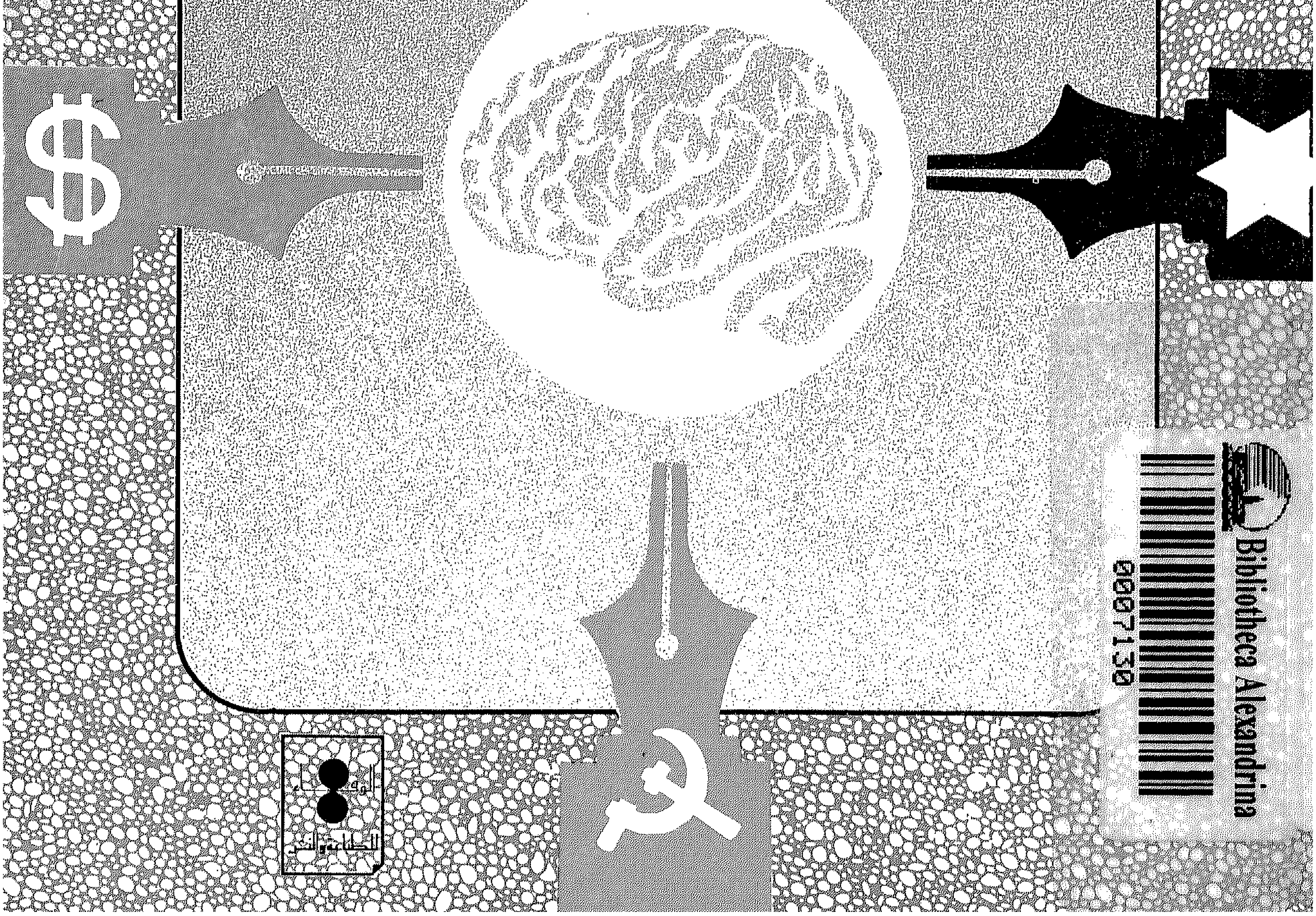
المستشار الدكتور علي جريشة

الاتجاهات الفكرية المعاصرة



الوفاء للطباعة والنشر

المستشار الدكتور علي جريشة

الاتجاهات الفكرية المعاصرة

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش . م . م

الطبعة الأولى : ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

الطبعة الثالثة : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت. ٣٤٧٤٢٣ ص ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه

مقدمة الطبعة الثانية

* هذا الكتاب شقيق لكتاب سبقه (أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى) والذى شاركنى فيه عالم جليل (فضيلة الشيخ الأستاذ محمد شريف الزئبق) طبعت منه حتى الآن خمس أو ست طبعات ، وإن لم يشأ الناشر أن يشير إلى ذلك .

وكنت أعتقد أن هذا الكتاب بما جنحت إليه فيه من عمق .. سوف يبقى قاصرا على الدارسين والمتخصصين ، خاصة وأنه يدرس بفضل الله كمنهج للدراسات العليا فى أكثر من جامعة .

لكن سرعة توزيعه ، وإقبال غير المتخصصين عليه .. أعطانى أكثر من مؤشر .. إن الأمة عامة ، وأبناء الدعوة خاصة قد زاد وعيهم ، ومن ثم زاد اتجاههم إلى ماهو أعمق !

وثانيهما .. أن الكتاب رغم ما فيه من محاولة للتعمق أشبع الخاصة لكنه لم (ينِدّ) عن العامة ومن ثم أقبلوا عليه .. !

إنها نعمة من الله .. ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

وإنه فضل الله .. ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

* وقد لحقت بالكتاب وهو على أبواب المطبعة فأسرته أسرا ، لأشارك فى المراجعة ، ولأتناول بعض النقاط ببعض التعديل ، ثم لأؤكد على عدم وضع (صورة

ولو كانت كاريكاتيرية) عليه ، فذلك يؤذى بعض الشباب ، وقد احترمت وجهة نظرهم ، وأمرت بعدم الصور خروجا من الخلاف !

* وبعد ، فها نحن نقدمه مرة أخرى لأمتنا المشوقة إلى الحق ، الباحثة عن الحقيقة .. لعلها تدرك من ورائه ما يراد بها وما يراد لها .. ولعلها تعرف الطريق إلى دين ربها فتسعد وتعز مرة أخرى .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

القاهرة

١٢ من ذى الحجة ١٤٠٨ هـ

٢٥ من يوليو ١٩٨٨ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فاتحة

١ ــ اعتاد الناس أن يطالعوا مع كل كتاب أو مؤلف فاتحة له تشير إلى فحواه أو مضمونه ولقد كان ترتيب القرآن رائدا فى هذا المجال إذ كانت فاتحته متضمنة معانيه الرئيسية على نحو ماأبان الشارحون .[1]

وفى هذه الكلمات نشير إلى المحتوى ثم أهمية هذه المادة

ونود قبل أن نسترسل فى هذا المجال أن نؤكد أننا بإذن الله نلتزم المنهج العلمى المتسم بالموضوعية بعيدا عن التأثر أو التأثير العاطفى ، وبعيدا كذلك عن التجريح ... يقينا بأن هذا المنهج هو الأقرب إلى بلوغ الحق ومعرفة الحقيقة ، فضلا عن أنه منهج الإسلام ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين ، قل لاتُسألونَ عما أجرمنا ولانُسأل عما تعملون ﴾[2] ﴿ ولاتَسُبوا الذين يَدْعُون من دون الله فَيَسُبوا الله عدواً بغير علم ..﴾[3] « ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء »[4] « مابال أقوام قالو كذا وكذا .. »[5]

ولعل هذا هو الأنسب لمرحلة النضج الفكرى التى نكتب لها أو نكتب فيها ..

ونعرض بعد ذلك عماتساقط فيه الآخرون ــ الذين سوف نعرض لهم ــ حيث «تعمل المحاباة العاطفية فعلها فى هذه « الرصانة الغربية » بصور تكاد تكون دائمة وثابتة فتضطرب وتختل[6] ، رغم مانلحظه من التزامهم « بالرصانة والالتزام »[7] ، حين يكتبون عن أديان أو حضارات غير دين الإسلام

(١) راجع الإمام ابن القيم فى كتابه القيم « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .
(٢) سبا آية ٢٤ ــ ٢٥ .
(٣) الأنعام آية ١٠٨ .
(٤) الترمذى ٨ / ١٤٩ وقال حديثا حسن غريب .
(٥) مسلم ٢ / ١٠٢٠ رقم ١٤٠١ .
(٦) ، (٧) محمد أسد ــ الطريق إلى مكة ــ ترجمة عفيف البعلبكى ــ الطبعة الأولى ببيروت سنة ١٩٥٦=

وحضارته » .

٢ ــ ولقد يبدو ــ مما سبق ــ أن المادة شائكة ، فلقد خاض فيها البعض عن علم،[1] وخاض البعض الآخر بغير علم ، أو علموا وضلوا وآثروا الخلط أو الكتمان . وسوف نحاول أن نأخذ هؤلاء بما كتبت أيديهم أو نرد عليهم بشاهد من أنفسهم .

ولقد نعلم من ذلك أننا نعرض لتيارات فكرية سارت أو سارعت فى الغرب أو الشرق ثم قدمت إلينا فصارعت فى عالمنا الإسلامى عقيدة الإسلام وشريعته .

ولقد يستبين من ذلك أهمية الموضوع وخطورته .. إنه ليس « ترفا فكريا » أو كماليات عقلية .. إنه قد يرتفع إلى مرتبة الحاجة أو الضرورة !

(أ) فلا يعرف الإسلام من لايعرف الجاهلية ، ولايستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغى .

(ب) كذلك لاينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ، ومن لم يدرس خططهم و« تكتيكهم » ، ولايقدر على الحرب من لم يتعرف أرض المعركة

(ج) وإنها معركة ليست أقل من المعارك الحربية التى خاضها المسلمون

= ص ٢٠ ، أشار إليه د / عرفان عبد الحميد فى « المستشرقون والإسلام » نشر المكتب الإسلامى ــ الطبعة الثانية ص ٣ .

(١) إلى وقت كتابة هذه الكلمات « مع مطلع عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) ــ لم تكن تحت أيدينا مادة متكاملة حول هذ المنهج ، وإنما كنا نبحث مع كل فصل ، وأحيانا مع كل مبحث فى عدة كتب ، ولم يكن سوى محاولة طيبة للدكتور / عبد الرحمن عميق لكنها لم تكن شاملة كل المنهج فضلا عن تغاير فى أسلوب تناول المادة . وبعد الانتهاء من هذه الكلمات وجدنا أثرين طيبين : كتاب للأستاذ محمد قطب يحمل عنوانا قريبا من هذا العنوان ويتناول أغلب موضوعات هذا المنهج ، ومذكرة للدكتور جمعة الخولى ــ رحمه الله ــ حول هذا الموضوع ، وقد كان بودنا أن نكتفى بأحدهما ــ لولا اختلاف طريقة التناول . ونرجوا أن يكون هذا الكتاب شقيقا ثالثا أو رابعا يرى هذه المادة الهامة بمحاولة متواضعة اتسمت بالموضوعية والتعمق ، وسوف يضطرنا ظهور الكتابين الكريمين بعد انتهائنا من محاولتنا أن نشير إليهما فى الهامش حتى لايفوتنا الخير ، وحتى لايضطرب المتن الذى انتهينا منه قبل الاطلاع عليهما . مع أسفنا العميق لهذا التناول .والله المستعان

ولايزالون فى بعض الأماكن ، إن الأخيرة قد استهدفت بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، أما هذه ـــ وهنا مكمن خطورتها ـــ فإنها تستهدف القلب والفكر والوجدان وهى ـــ لعمرى ـــ أعز على الله وأعز علينا من الأرض والتراب ؟

٣ ـــ ولسوف نقدم بإذن الله فى باب تمهيدى للغزو الفكرى الذى تعرض له العالم الإسلامى ونعرض ـــ فى اختصار ـــ معه للإستشراق والتبشير .

ثم نثنى بدراسة مستفيضة للتيار الوافد من الغرب حاملا معه العلمانية فكرا أو « أيدلوجية » ، والديمقراطية شعارا سياسيا ، والرأسمالية شعارا اقتصاديا ، والوجودية أو الإباحية شعارا اجتماعيا .. ونعرض بعده للتيار الوافد من الشرق حاملا « المادية الجدلية فكرا ، أو ايدلوجية ، ودكتاتورية البروليتاريا شعارا سياسيا ، والاشتراكية العلمية أو الشيوعية شعارا « اقتصاديا » ، وشيوعية النساء وإلغاء الأسرة شعارا اجتماعيا .

ونحسبنا بعد ذلك عارضين للماسونية بأفكارها وخداعها وتلونها ومؤسساتها وعارضين لما وراءها من الفكر الصهيونى المتلوى والمتلون ..

وأخيرا نعرض لما عرف فى المنطقة الإسلامية من تيارات إسلامية قاصرة أو مقصرة .. ثم تيارات أصيلة صارعت الغزو الفكرى من الخارج ، والمروق العقدى والخلقى والتطبيقى من الداخل ـــ والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

المؤلف

المدينة المنورة

جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

الباب التمهيدى

الغزو الفكرى للعالم الإسلامى

ونبذة عن

الاستشراق والتبشير

تقدمة

٤ ـــ يأسى الناس حين يسمعون بغزو عسكرى لبلد آمن .. مع أن مثل هذا الغزو يستهدف بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، وقد يكون وراءه أغراض أخرى .. اقتصادية أو سياسية .. بيد أنهم لاينتبهون إذا تعرضوا للغزو الفكرى ولايأسون إذا أحسوا ذلك الغزو .. مع أن هذا اللون من الغزو يستهدف أشرف مافى الإنسان .. قلبه وعقله ، عقيدته وفكره ، ولقد يكون ذلك راجعا إلى مايسلكه الغزو من سبل التدسس والتدلس الأمر الذى قد لاتحسه الشعوب حتى تفاجأ بعد ذلك بنتيجته الأليمة .

ولقد يصحب الغزو الفكرى غزو عسكرى وقد يسبقه وقد يتلوه ، وكل ذلك تعرضت له الأمة الإسلامية .

٥ ـــ ولقد كان بدء التفكير في الغزو .. مع ماأحسه الغرب من خطر الإسلام [1]

---

(١) يقول المبشر : لورنس براون « : لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررالمثل هذه المخاوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا فكل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى « نقلا عن : أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص ٦٧ » .

وفى صحيفة الحرز لم بوست الصهيونية كتب حاييم هيتزوغ السفير اليهودى السابق لدى الأمم المتحدة « إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعا وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط فى سبات عميق » ٢٥ / ٩ / ١٩٧٨ م .

وفى تعبير صريح يقول ابن غوريون « نحن لانخشى الاشتراكيات ولاالثوريات ولاالديمقراطيات فى المنطقة ، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذى نام طويلا وبدأ يتململ من جديد »

ويقول الكاتب اليهودى « شعيا بومان » : « إن على أوربا أن تظل خائفة من الإسلام ذلك الدين الذي ظهر فى مكة لم يضعف من الناحية العددية ، بل هو فى ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل إن من أهم أركانه الجهاد ، وهذا مايجب أن تتنبه له أوربا جيدا » (المرجع السابق ص ١٣١) .

أو ماأسماه بعضهم « المصيبة الإسلامية »[1] ، وأحسوا معها أن الغزو العسكرى لن يجدى مع هذه العقيدة الزاحفة ، ومن ثم انتهى فكرهم إلى أنه لابد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها .[2]

لعل فى هذه الكلمات مايجيب على سؤال : متى كان الغزو ؟ ولعلها تجيب على سؤال : لم كان الغزو ؟

٦ ـــ ولقد يكون لازما بعد ذلك أن نعرض لألوان هذا الغزو ومراحله :ـــ

---

(١) يقول المستشرق « لبون كاتيانى ١٨٦٩ ـــ ١٩٢٦ م ، فى حوليات الإسلام » : إنه يفهم من عمله ذلك (يقصد المؤلف الذى كتبه) سر المصيبة الإسلامية « كاتاستروميكا إسلاميكا » التى انتزعت من الدين المسيحى ملايين من الأتباع من شتى أنحاء الأرض مايزالون يدينون برسالة محمد (ﷺ) ويؤمنون به نبيا ورسولا »

« راجع د / عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر . ط . دار المعارف بالقاهرة » ويعبر اليهود عن هذه المصيبة الإسلامية تعبيرات عدة ـــ ففى صحيفة أحرنوت فى ١٨ / ٣ / ١٩٧٨ م : إن على وسائل إعلامنا أن لاتنسى حقيقة هامة هى جزء من استراتيجية إسرائيل فى حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هى أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع استيقاظ الروح الإسلامية بأى شكل وبأى أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لاخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية فى المنطقة المحيطة بنا .

وفى تعليق لراديو اسرائيل فى الساعة العاشرة والربع مساء يوم ٥ / ٩ / ١٩٧٨ قال معلق الإذاعة للشئون السياسية : « إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد فى المنطقة تشكل تهديدا مباشرا لمستقبل إسرائيل ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها » .

(٢) إذا أردتم أن تغزو الإسلام وتخضدوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها ، والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم ـــ وكتابهم القرآن وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوى ، وحتى ولو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها فى القطع أحد أغصانها » . « غزو العالم الإسلامى للمستشرق : شاتلى ص ٢٦٤ نقلا عن الأستاذ حبنكة ـــ المرجع السابق » .

وقد سبق أن أشرنا إلى مانردده إسرائيل عن الإستعانة « بأصدقائنا فى المنطقة » !!

أما ألوانه فيذكرون فيها : الاستشراق والتبشير (أو التنصير) كما يرى البعض تصحيح هذا المصطلح حتى لاينخدع الناس بما يحمله لفظه من معنى البشارة أو البشرى ومايحمله التنصير من تحديد للهدف بعد تحديد اللفظ ... بيد أننا نرى :ـــ

(أ) أن التبشير الحديث لم يعد يعتمد « التنصير » « مخططا وحيدا » إن لم نستطع أن نقول إنه لم يعد يعتمده (المخطط الرئيسى) .

(ب) أنه إذا شاع مصطلح (التبشير) على مايجرى من محاولة (التنصير) وعلى ماأعقبها من تطوير ـــ فإننا لانرى مانعا من بقاء المصطلح مادمنا قد اتفقنا على محتواه ، ولامشاحة فى الاصطلاح .

فضلا عن احتمال استعمال التبشير فى غير الخير سواء بسواء[*]، ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .[1]

وإذا جاز لنا اعتبار هذين الأمرين .. فإننا نخالف أكثر الكاتبين فى تقديم الاستشراق على التبشير بما نظنه من سبق زمنى للأول على الأخير ، ونزولا على اعتبار التبشير عند البعض[2] إحدى وسائل الاستشراق .

بيد أننا نجعل مرحلة جديدة للتبشير ، أسميناها « التبشير الحديث »[3] وأسماها غيرنا (التحديث) أو (التغيير الاجتماعى)[4]، وهى الصورة الأخيرة والغالبة للغزو الفكرى فى عالمنا الإسلامى ـــ فيما نحسب ، والله أعلم .

---

(١) الانشقاق آية ٢٤

(٢) دكتور عبد النعيم حسنين فى بحثه القيم عن الاستشراق ، والمقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة .

(٣) بحثنا « الأساليب التبشيرية فى العصر الحديث ـــ مقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة » .

(٤) الأول والثانى يرد فى كتابات الأمريكيين « مثل مورو بيرجر ، مايلز كوبلاند » ويغلب الأول على الكتابات الرسمية « راجع وثيقة مجلس الشيوخ الأمريكى الذى ضمت بعض لجانه » « بالإبطاء فى التحديث » حتى لايقع رد الفعل الذى حدث فى إيران حين سارعت فى التحديث .

(*) معنى التبشير لغة سوف يرد بإذن الله عند حديثنا عن التبشير « راجع الفصل الثانى من هذا الباب » .

وسوف نعرض لهذه الصور والمراحل على التوالى .. إن شاء الله ، والله المستعان .

الفصل الأول
الاستشراق

معنى الاستشراق وبدايته :ــ

٧ ــ الاستشزاق يعنى : [(١)] تعلم علوم الشرق ... وتلك كانت بدايته . وأغلب الظن أنها كانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامى أو على الفتح الإسلامى ، وبعد ماانتقلت حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب ... فى جامعات : قرطبة ، وطليطلة ، وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط الذى صار ــ بفضل الله ــ بحيرة الإسلامية . [(٢)]

---

(١) ويعرفه المستشرق ميكائيل أنجلو جويدى بقوله : « ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب بالذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب ، بل إنه من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض اتحاد الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية ، هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنة أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الوسطى مثلا أو فى النهضه الحديثة » (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين ص ٨) .

(٢) يقرر الدكتور مصطفى السباعى ــ رحمه الله ــ : « لايعرف بالضبط من هو أول غربى عنى بالدراسات الشرقية ، ولا فى أى وقت كان ذلك ، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم ، وبخاصة فى الفسلفة والطب والرياضيات . ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى جورث الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، ومنهم الراهب بطرس المحترم ١٠٩٢ ــ ١١٥٦ ، ومنهم الراهب جراردى كريون ١١٤ ــ ١١٨٧ (الأستاذ حبنكة ص ٨٩ ــ ٩٠ المرجع السابق) .

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير فى الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة ... (أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٩) .

ولعل هذه أكثر دقة مما قيل : من أن الاستشراق بدأ فى أسبانيا فى القرن السابع الهجرى « بعد التاريخ السابق بقرنين تقريبا » ، وذلك مع حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين حيث دعا الفونس ملك قشتالة سكوت =

ثم تأكد الاستشراق وتوسع مع الحروب الصليبية ثم زاد خطره ، وتحدد هدفه بعد الحروب الصليبية كبديل لهذه الحروب مع صنوه وشقيقه التبشير .

مراحل الاستشراق :ـــ

٨ ـــ نستطيع أن نرسم للاستشراق مراحل ثلاثة :

مرحلة أولى ـــ مرحلة استكشاف :

استكشاف لكنه الغزاة الفاتحين (من المسلمين) ولفكرهم وسر تفوقهم ، وفى هذه المرحلة نحسب الاستشراق كان ميالاً إلى الموضوعية ، بحاثا عن الحقيقة .

مرحلة ثانية ـــ مرحلة مشوبة :

مشوبة بالعدوان وبيان نقاط الضعف لدى المسلمين ، وتوجيه أعدائهم توجيها ضد مصالح الإسلام والمسلمين ، وهى المرحلة التى ساير فيها الاستشراق الحروب الصليبية وصاحبها .

مرحلة ثالثة ـــ مرحلة العدوان المباشر السافر :

بعد أن ارتضى هؤلاء (العلماء) أن يكونوا بمثابة (المخالب) للغرب الحاقد على الإسلام والمسلمين بعد فشل الحروب الصليبية فى تحقيق أهدافها ، إذ كان التوجيه إلى حرب الفكر والعقيدة بديلا عن حرب السلام ، وكان الوصول إلى القلب والعقل بديلا عن احتلال الأرض والتراب .[1] واقترنت هذه المرحلة

= ليقوم بالبحث فى علوم المسلمين وحضارتهم . (أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٩ ، وراجع ماكتبه النيكونت فيليب دى طرازى «كاتب مؤرخ نصرانى ») حيث يشير إلى : أن الأحبار والرهبان صاروا يتعلمون العربية بأوامر من البابوات وقرر مجمع فيينا المنعقد بسنة ١٣١١ برئاسة البابا إقليميس الخامس أن تدرس دروس عربية وعبرية وسريانية فى روما على نفقة الحبر الأعظم ... ويعتبرون من مآثر البابا لادن العاشر أنه افتتح عام ١٥١٤ م أول مطبعة عربية (ص ٨٨ الغزو الفكرى د / على عبدالحليم محمود) .

(١) إلى هذا المعنى تشير وصية لويس التاسع الذى أسر فى الحملة الصليبية الثامنة فى المنصورة بمصر : « الا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض .. وأنه لابد من سبيل آخر وهو : تحويل الفكر الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامى ... (أساليب الغزو =

ببداية عقد المؤتمرات التى تسدد الجهود وتخطط الأهداف للمستشرقين ، وكان أول مؤتمر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٧٣ م) ولاتزال المؤتمرات تتوالى حتى اليوم .

٩ ـــ بيد أن لنا بل علينا أن نقرر أنه فى كل مرحلة ـــ وبخاصة المرحلة الأولى ـــ غلبت الموضوعية والاعتدال على بعض المستشرقين [١] ، بل ظهر الإنصاف عند بعضهم ، وبلغ الإنصاف عند جزء من هذا البعض حد دخول الإسلام . [٢]

أهداف الاستشراق :ـــ

١٠ ـــ يمكن أن نلخص هذه الأهداف فيما يلى :

١ ـــ هدف علمى :

نقصد به ذلك النفر ، الذى نفر إلى تعلم علوم الإسلام بحثا عن الحق وبلوغا إلى الحقيقة ... وهو مايغلب على المرحلة الأولى التى بدأ بها الاستشراق ـــ فيما نظن والله أعلم ـــ وإن كان معهم من حاولوا تشويه الإسلام ليحولوا دون تأثرهم فى دينهم ، أما بقية المراحل فقد جانبها هذا الهدف فى عمومها ، لكنها لم تخل من نفر قليل حاول البحث عن الحقيقة ومن ثم اتسم بالموضوعية والاعتدال ، أو جاوز ذلك فبلغ الحقيقة وتكشف له الحق فدخل الإسلام ، وقد ضربنا له من قبل

= المرجع السابق ص ١٩) .

(١) ومن أمثال هؤلاء : المستشرق رينان الذى أنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، كما أثنى على كتب السيرة النبوية وقال إن لها ميزة أكبر من الأناجيل المتداولة والمستشرق كان لايل الذى عد محمدا عليه السلام من الأبطال ، وتولستوى الروسى الذى أعجب بالإسلام .. (راجع أساليب الغزو الفكرى ص ٢٩ ، وفى ص ٢١ يشير الكتاب إلى : « وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) عمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو مازعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمى ، بيد أن لنا أن نشير إلى أن هذا ليس صحيحا على إطلاقه ولم يلزم بمثل هذا العمد إلا القليل .

(٢) من أمثال هؤلاء اللورد هيدلى دانين دنينة (ناصر الدين) ، وجوتيه (الشاعر الألمانى) والدكتور جرينيه (عضو مجلس النواب الفرنسى) ـــ (المرجع السابق ص ٢٩ نقلا عن أوربا والإسلام د / عبد الحليم محمود ـــ رحمة الله ـــ) . وأخيرا هداية الله إلى المسلمين د. رجاء جارودى سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى .

الأمثال

٢ ــ هدف صليبي :

ولم أشأ أن أقول دينيا ، كما يقع البعض فى ذلك التعبير ، لأنه لو كان الهدف دينيا لبلغ الحقيقة ... لكن الهدف هو الانتصار للصليبية(١) فى صورتها المشوهة التى شوهت بها حقيقة الدين الذى أنزل على المسيح عليه السلام ، والتى اتسمت بالعصبية المقيتة التى دفعتهم إلى الحروب الصليبية شفاء لما فى الصدور ... فكانت حركة الاستشراق المصاحبة لهذه الحروب متسمة بنفس الهدف ، وكانت كذلك حركة الاستشراق التالية لهذه الحروب ملبية لهذا الهدف بديلا عن الحروب مسايرة ومصاحبة لحركة التبشير التى حملت نفس الهدف ، كذلك كانت حركة الاستشراق السابقة على الاستعمار (القرن ١٩ م) والمصاحبة له .(٢)

٣ ــ هدف دفاعي :

وهو وسط بين الهدفين السابقين .. ونقصد به ماعمد إليه المستشرقون ــ خاصة فى الفترة الأولى ــ إلى محاولة (مقاومة الإسلام) من أن يغزو بنى جنسهم أو أن ينتشر فى تلك البلاد التى ليست لها ديانة خاصة ، والتى أشار البعض إلى أنهم ٣٠٠ مليون ، فحاولوا تشويهه عندهم .. وتنكروا بذلك للهدف العلمى الذى بدأوا به أو زعموا ذلك .

وسائل الاستشراق :ــ

١١ ــ اعتاد الكتاب أن يتناولوا تحت مثل هذا العنوان الإشارة إلى : المحاضرات ،

(١) بهذا سماها المفكر الغربى برنارد شو (راجع كولن ولسن . سقوط الحضارة ــ ط الثانية ترجمة أنيس زكى حسن ص ١٧٤ ومابعدها) .

(٢) وفى هذا يقول الدكتور على عبد الحليم محمود : « إن حركة الاستشراق واكبت وسايرت حركة الاستعمار ، بل مهدت لها فى كثير من الأحيان ، وليس من الخفى على أحد من المثقفين أن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع بجهد رجاله سياسيا قامت فى فرنسا سنة ١٢٠٢ هـ ــ ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة المستعمرات ، وإن هذه المسايرة وهذا التمهيد للاستعمار هو الذى جعل حركة الاستشراق كلها إلا فى القليل النادر موضع الشك والريبة .

والاجتماعات والمؤلفات .. إلخ لكنى أقصد الإشارة إلى وسيلتين ـــ

أولهما : تلك التى يمارسها المستشرقون توصيلا لأفكارهم إلى التجمعات التى يودون التأثير عليها .. وذلك بطريق مباشر وأكثرها عن طريق الكتابة .. مقروءة أو مسموعة أو مرئية .

وثانيهما : وهى الأخطر ... لأنها غير مباشرة ، ومستخفية تحت أسماء أكثرها (إسلامية) وفى أكثر الأحيان يضفى عليها الألقاب مثل : عميد الأدب العربى .. امير .. الكاتب الكبير .. إلخ .

وخطورة هذه الوسيلة فى استخفائها أولا ، وفى التمويه الذى صاحب الإعلان عن أصحابها ثانيا ، وقد كثر اللجوء إلى هذه الوسيلة فى الفترة الأخيرة ، وأدى (تلاميذ المستشرقين) أدوارا عجز عن أدائها المستشرقون أنفسهم .[1]

محاولات التشويه الاستشراقى :ـــ[2]

١٢ ـــ لايكاد مجال من المجالات الإسلامية سلم من التشويه المتعمد من الحاقدين ، أو التشويه العفوى من الجاهلين ... من المستشرقين ، ثم من تبعهم مِنْ تلاميذهم .. الحاقدين أو الجاهلين كذلك .

وأول هذه المجالات : مصادر الإسلام (الله ـــ رسوله ـــ الكتاب ـــ السنة)

كتاب الله وسنة رسوله ، وشخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، بل وقبل شخصية الرسول ﷺ ذات الله وصفاته فزعموا فى بعض صفات الله الغموض[3] ، وقالوا كذلك بالتناقض[3] ، ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ ووضعهم فى صفوف المعبودين مع الأصنام .. ونسبوا ذلك التفسير إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) راجع تحت عنوان (تلاميذ المستشرقين ص ٢٢ ـــ ٢٤ أساليب الغزو الفكرى ـــ المرجع السابق) .

(٢) راجع تفصيلا كتيب د / عرفان عبد الحميد ـــ المستشرقون والإسلام . طبع المكتب الإسلامى وكتاب الأستاذ / نذير حمدان (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين من سلسلة دعوة الحق) .

(٣) D.B. MACDNALD وما كتبه فى دائرة المعارف الإسلامية (ا) ٤ / ٢٤٨ ، وفى نفس المعنى : جب (المذهب المحمدى ص ٢٥ وما بعدها) .

وزعموا فى شخص الرسول ﷺ الكثير ... فقالوا بأنه كان يعتريه الصرع تفسيرا لـما كان يحدث له أثناء الوحى ـــ وأنه سمى أحد أولاده « عبد مناف » أى خادم الرب الـمكى مناف .[1]

وزعموا أنه كان يؤلف القرآن على سجع الكهان . « ! »

وزعموا أنه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ كان شديد الشهوة ...« ! »

وقالوا إن القرآن من عمل محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ « ! » ووصفوا الحديث « بالوضع » ، و« التناقض » ، وأنه سجل للجدل الدينى فى القرآن [2].

وثانى هذه المجالات ـــ لغة الإسلام أو لغة القرآن .

ونعنى بها اللغة العربية ، فهاجموها فى قواعدها ، ودعوا بالكتابة بالعامية بدلا من الفصحى [3] ، وذكروا أن التزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لايمكن أن يؤدى إلى أدب حقيقى أو متطور وأرادوا أن يحصروا اللغة العربية الفحصى فى دائرة الطقوس تشبها بما عندهم « لكن لغة القرآن لايكتب بها الآن فى أى قطر .. وحتى مايدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لايمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث بالعامية ، إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هى فى كل مكان . وزعموا « أن أمل التقدم ضعيف فى مصر طالـما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ـــ لغة القرآن ـــ كما هى فى الوقت الحاضر [4] ودعوا إلى كتابة حروفها باللاتينية .

---

(١) هـ .ج . ويلز ـــ معالم تاريخ الإنسانية ٣ / ٦٢٢ وما بعدها ـــ وتعليقا عليه للدكتور / على عبد الحليم محمود ، فى بحثه السابق الإشارة ، وكذلك وليم هوير فى كتابه حياة محمد ، مرجليوث وغيرهم كثير .

(٢) ماكدونالد ـــ المرجع السابق ٤ / ٢٥٥ .

(٣ ، ٤) كتب المستشرق دلهام سبياه (عام ١٨٨٠) كتابا أسماه (قواعد اللغة العربية العامية فى مصر) نقلنا بعض نصوصه فى المتن ـــ وقد عاد المذكور فكتب تقريرا أيد فيه اللورد دوفرين فى هجر العربية الفصحى ، وقد تبع ذلك المستشرق مستشرق اخر هو كارل فوارس الذى تولى نفس منصب سلفه السابق (مديرا لدار الكتب المصرية .) وكلاهما ألمانى وتبعهم المستشرق الإنجليزى سيلون ولمور الذى كان قاضيا بالمحاكم الأهليه فى مصر ، وكذلك دعا عالم أمريكى وتبعهم المستشرق بادل وكان يعمل قاضيا بالمحاكم الأهلية المصرية ..المستشرق فيلوت وكان يعمل أستاذا للغات الشرقية فى جامعة كمبردج وقد وضعا معا كتاب (المقتضب فى عربية مصر) وتبعهم المستشرق الإنجليزى وليم لكوكس وكان يعمل مهندسا للرى عام ١٨٨٣ =

وقد تبع ذلك تلاميذ المستشرقين .. الذين حملوا لواء الحملة على اللغة العربية الفصحى ، وقد سجل كثير من الزملاء أسماء هؤلاء .[1]

وثالث هذه المجالات .. كان الفقه الإسلامى :

فوصفوه بالرجعية[2] ، كما وصفوه بالقسوة فى الأحكام[3] ، كما خلطوا بين المصادر الربانية (الكتاب والسنة) والعمل البشرى (الاجتهاد) .[4]

وتولى الإشراف على مجلة الأزهر عام ١٨٩٣ م حيث ألقى محاضرة ربط انحطاط العرب بتمسكهم بلغتهم العربية الفصحى (!!) ، ثم فى رسالته (راجع أجنحة المكر الثلاثة ص ٢٩٥ وما بعدها) .

(١) ذكر الأخ عبد الرحمن حبنكة أسماء : لطفى السيد ، عبد العزيز فهمى ، طه حسين ، لويس عوض وغيرهم .. (المرجع السابق ص ٢٩٦ وما بعدها) .

وكذلك د. محمد البهى فى كتابه القيم الاستعمار الغربى والفكر الإسلامى .

(٢،٣) د. على عبد الحليم محمود ـــ المرجع السابق .

(٤) أساليب الغزو الفكرى ـــ المرجع السابق .

ملخص الاستشراق

معنى الاستشراق

- أصلا طلب علوم الشرق
- ثم تطور مع مراحله حتى انتهى إلى مرحلة العدوان على عقيدة المسلمين وفكرهم

مراحل الاستشراق

- مرحلة استكشاف
- مرحلة مشوبة
- مرحلة عدوان

أهداف الاستشراق

- هدف علمى
- هدف صليبى
- هدف دفاعى

وسائل الإستشراق

- مباشرة : كتابة ، إذاعة ، محاضرات
- غير مباشرة : تلاميذ المستشرقين

مجالات التشويه الاستشراقى

- مصادر الإسلام
- لغة الإسلام
- فقه الإسلام

الفصل الثانى

التبشير

تعريفه ونشأته :ـــ

١٣ ـــ التبشير .. من البشرى والبشارة ، مصدر لفعل : بشر ، أبشر ، بشر أى أخبر خبرا يؤثر فى البشرة ... وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن إلا أن استعماله الأكثر فى الفرح ، وقد يحمل استعماله فى الحزن معنى التبكيت ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [1] هذا معناه اللغوى ..

أما اصطلاحا .. فقد استخدم علما على تلك الحملة التى تولتها الصليبية فيما أسمى « بتعليم الدين المسيحى ونشره » .

وهو تعريف غير دقيق .. لأن التبشير حمل فى نفس الوقت أهدافا أخرى غير « تنصير غير النصرانى » وهو ماسوف نلمحه عند الكلام على مراحله بمشيئة الله تعالى .

١٤ ـــ أما نشأته .. فقد تأخرت عن نشأة الاستشراق وإن صاحبته وأثرت فيه وتعاونت معه .. كانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثا فى أحوال الغزاة الذين وصلوا إلى قلب أوربا ومن قبلها إلى الأندلس ، ثم صحب الحروب

---

(١) الانشقاق آية ٢٤ .

(١) مختار الصحاح ، الزبيدى تاج العروس ٣ / ٤٥ ، ابن فارس معجم مقاييس اللغة وقد قيل : عند الإطلاق لايعنى إلا الخير ، أما إذا أريد صرفه عن هذا المعنى فلابد من تقييده مثل قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) . وكان من أوائل من دعا إلى التبشير بدلا من الحرب ، القديس بطرس الراهب ، ثم أعاد البابا إينوسنت الثالث سنة ١٢١٣ الدعوة للقضاء على ماأسماه ب « دعوة المسيح الدجال » ثم دعا الفيلسوف روجربيكون فى (١٢٦٦ ـــ ١٢٦٨) فى رسالة وجهها إلى البابا مقدما فيها بعض الاقتراحات (راجع المستشرقون فى الإسلام د / عرفان عبدالحميد ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الصليبية خدمة لها وتبصيرا ، وتوجيها ، ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك ..

وهنا يلتقى التبشير مع الاستشراق .. لقد كان ميلاده مع فشل الحروب الصليبية تنفيذا لوصية قائد الحملة الثامنة « لويس التاسع » الذى نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية ووقوفها فى وجه أى زحف حربى مثيرة روح الجهاد فى سبيل الله ..

ومن هنا توجه التبشير .. إلى العقيدة ، محاولة لقتلها بالفكر والختل بعد أن عجزوا عن قتلها بالسلاح والفتك . [1] ، وآخاه الاستشراق .. فى أكثر ميادينه وفى أكثر مراحله ، وحماه الاستعمار العسكرى ، ومن قبله ومن بعده النفوذ السياسى .. الذى كثيرا مايعتمد على قبضة قوية من الداخل .

وسوف نبين مراحل التبشير .. كيف سار مع العقيدة مناورا كلما استعصت عليه .

مراحل التبشير :

١٥ ـــ مرت المحاولات التبشيرية بالمراحل الآتية :ـــ

المرحلة الأولى ـــ تنصير المسلمين :

وقد كشف ذلك بصراحة بعض المبشرين :

« إننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح » [2]

« إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية » [3]

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة » . [4]

---

(١) وهو ماأشار إليه صاحب كتاب ملخص تاريخ التبشير « إدوين يلس » وأشار إليه أ .ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى .

(٢) ويضيف المبشر رايد : ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة ، أنا لاأحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لى فى الإنسانية ، ولولا أنى أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده (التبشير والاستعمار ـــ مصطفى الخالدى بالاشتراك ص ١٩٢) .

(٣،٢) أساليب الغزو الفكرى ـــ المؤلف بالاشتراك ، والكلمة الأولى للمبشر زويمر ، والثانية لوليم جيفورد

١٦ ــ ولانستطيع أن نفصل هذه المرحلة فصلا زمنيا تاما عما يليها من المراحل نظرا لأن ماساد فى المراحل التالية قد تواجد فى الأولى وماوجد فى الأولى قد تناثر فى المراحل التالية كذلك .. لكن يبقى أننا نفصل بناء على الحكم الغالب .

وإذا كانت بداية هذه المرحلة مع انتهاء الحروب الصليبية « التى استمرت قرنان من الزمان ١٢ ، ١٣ » . فإن تحديد نهاية هذه المرحلة تحديدا جازما غير مستطاع ، لكن أكبر الظن أنه كان مع انعقاد أول مؤتمر للتبشير فى القاهرة عام ١٩٠٦ م ، ونحسب كذلك أن سبب إنهاء هذه المرحلة كان إحصاء ثم أحصيت فيه الجهود والأموال والأشخاص ... فكانت حصيلة هذه الجهود التى استمرت سنين ، والتى أنفقت بضعا من الملايين ، وجند لها من الأشخاص المئون ... كانت حصيلتها تنصير عدد من الأشخاص « حوالى العشرين » ولما بحثت حالات هؤلاء الأشخاص وجد أن أكثرهم من اللقطاء الذين لم يجدوا بيئة إسلامية تعلمهم الإسلام أو تعودهم إياه .. والذين أحسوا بـ « الضياع » فتلقفهم من يخرجهم عن دين الفطرة .

وكادت تكون الحالة الوحيدة التى « تنصرت » بإرادتها هى حالة فتاة مسلمة ، تركت وطنها الإسلامى مع شاب نصرانى مخدوعة بأحاديث الهوى ومغرياته ....[١] ومع ذلك فقد عاد التبشير فى السنين الأخيرة إلى ممارسة نشاطه فى التنصير بصورة مكثفة وكتب له النجاح ــ بكل أسف فى بعض المناطق .[٢]

= بالكراف .

وفى كلمة لهنرى هاملتون تامس فى كتابه ثورة الهندالماجنية وسياستنا المقبلة عام ١٨٥٨ م وذلك إثر الثورة الإسلامية فى الهند عام ١٨٥٧ م « إن المسلمين لايستطيعون أن يكونوا رعية وفيةالحكومة تدين بغير الإسلام لأن ذلك مستحيل فى ظل أحكام القرآن » (المشايخ والاستعمار ــ حسنى جميل ــ مكتبة المنار . الزرقاء ــ الأردن) .

(١) نمسك عن ذكر اسم الفتاة حفاظا على اسم أسرتها ، وهى من أسرة عريقة مسلمة ، وكان والدها يحمل لقب (باشا) ويمثل مكانا بارزا فى أحد الأحزاب وفى بعض المناصب ولعل بيئات القصور تفرز هذا اللون من الفتيات إلا من رحم ربى ..

(٢) يقدر عدد المبشرين فى العالم الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨ ألف من الكاثوليك ، ٨٢ ألف من البروتستنت ، ومن بين هؤلاء وأولئك : أكثر من ٦٠٠٠ مبشر كاثوليكى ، ٢٢٠٠٠ بروتستنتى من الولايات =

المرحله الثانية ــ الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه :

١٧ ــ وقد بدأت نصحا أو تناصحا فيما بين المبشرين لما كادوا ييأسون ــ من تنصير المسلمين

من أمثلة ذلك ماقاله المبشر كروفورد « فى مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ م » : « إن المسلمين يقتبسون من حيث لايشعرون شطرا من المدينة النصرانية ويدخلونه فى ارتقائهم الاجتماعى ، ومادامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد يتولد فيها عن غير قصد منها ... » ، وماقاله زويمر : « لاينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناحجا أيها المبشر المسيحى ، ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا »

وأخير أعلنها زويمر الذى تولى كبر هذا الأمر وأسدنت إليه زعامة المبشرين فى

= المتحدة الأمريكية وحدها ، ويتوقع علماء الإحصاء السكانى أن يشكل المسيحيون فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية عام ٢٠٠٠ ثلاثة أخماس مسيحى العالم فى حين أنهم يشكلون الآن ٤٧ ٪ فقط ، وفى إحصاءات قامت بها جهات رسمية عربية تبين أنه تم تنصير حوالى ٥٠٠٠٠٠٠ ملايين مسلم فى أندونيسيا ، ويقول البعض إنهم ١٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين .

ومن أسف أن نقرر أن أكثر هؤلاء تم تنصيرهم ــ وفقا لما يقرره أبناء البلد ــ بحفنات من الأرز لاتجدها العائلات الجائعة فى تلك البلاد ــ بينمايمرض وأحيانا يموت كثيرون تخما من الطعام ، وبينما يلقى الكثيرون من المترفين فى قماماتهم ما يدفع الجوع والكفر عن أولئك البائيسن (!) .

وفى مجلة الأمة القطرية (العدد ٢٦ ص ٩١ ــ السنة الثالثة) : « إن جمعية الإنجيل فى بنجلاديش تخطط لطبع ٠٠٠ ر ٤٠ ألف نسخة من الإنجيل ، وصرح رئيس الجمعية بأنه تم بيع ٠٠٠ ر ١٩ ألف نسخة خلال ثلاثة أشهر من طباعتها .

وفى نفس العدد ص ٩٠ إشارة إلى ماتقوم به بعض المؤسسات التنصيرية فى الولايات المتحدة الأمريكية من جهود لتنصير اللاجئين الأفغان عن طريق أفغانى درس فى أمريكا يسمى (داس) خضع لمنهج تنصيرى مكثف إبان دراسته ، وهو يذيع أسبوعيا برنامجا عن التنصير (مرتين) من إذاعة سيكلزر عن طريق شبكة إذاعة الشرق الأدنى .

مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م : « أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق ، وإن كان ليخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه ، إننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة :

.. إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام .

.. أو رجل مستخف بالأديان لايبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

... وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية **ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية** ، فإن هذا هداية لهم وتكريما ، **وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله** ، وبالتالى « صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ماقمتم به فى الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ماأهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية .. ونشرنا فى تلك الربوع مكامن من التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية ، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ، **إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الإسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد** .

انكم أعددتم شبابا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ، ولايريد أن يعرفها ،

وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشىء الإسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار لايهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولايصرف همه فى دنياه إلى فى الشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شىء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار ، **فاستمروا فى أداء رسالتكم** فقد استحققتم بفضل جهادكم المبارك بركات الرب » .

١٨ ــ بماذا نخرج من هذا النص الخطير .. ؟

١) اعتراف بالعجز عن التنصير ــ فى قوله : « أقركم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين » .

وقوله : « لقد كانوا أحد ثلاثة : »

ــ إما صغير ..

ــ أو رجل مستخف بالأديان ..

ــ أو رجل « نفعى » .

٢) تركيزه على المهمة المركزة للتنصير ، وهى :

« إخراج المسلم من الإسلام » أو « ذبذبته » كما عبر النص الآخر ، وإن حاول ستر ذلك بأن تنصير المسلمين شرف لهم ، وأكدها مرة أخرى : « لقد أعددتم شبابا لايعرف الصلة بالله . .

٣) اعترافهم بالقبض على التعليم فى جميع الممالك الإسلامية ، ولاندرى كيف تم ذلك ، مع وجود « الزعامات » الوطنية « المزعومة » ... ومع شعارات الاستقلال « الزائف » ..

المرحلة الثالثة :الإبعاد عن الإسلام :

« التغيير الاجتماعي [1]، التغريب ، التحديث »

١٩ ــ وهى مرحلة متداخلة مع المرحلة السابقة ، أحس فيها القائمون على التخطيط أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير ، لأنه يستوى فى حس المسلم أن يقال له : إنك صرت نصرانيا أو يقال له : إنك صرت مرتدا ..

ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد ... ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفى أو الربعى ..

فبدلا من أن يقيم الصلوات جميعا .. فلا بأس أن يكتفى بالجمعة .. وبدلا من أن يصوم التطوع تدريبا وبعدا عن المثيرات .. فلا بأس أن يكتفى برمضان أو بجزء من رمضان ..

وبدلا من أن يأخذ ثقافته وفكره من النبع الصافى ، فلا بأس أن يصير « مودرن » يأخذ الفلسفة أو بعض الأفكار من هذا الفيلسوف أو ذلك ، ولابأس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطى نصف جسمها بدلا من جسمها كله ، ثم لا بأس أن تدفع بغطاء الرأس إلى نصف رأسها ، ثم لا بأس بعد ذلك أن تكشف جزءا من الساق

---

(١) وفى جريدة الرياض العدد ٥٩٥٢ (الثلاثاء ١٤ محرم ١٤٠٥ هـ ــ ٩ أكتوبر ١٩٨٤ م) كتب د. عبد المحسن محمد هلال تحت عنوان : « الجامعات والتغيير الاجتماعى » يقول : « نريدفى هذه العجالة أن نتعرض ولو ببعض رءوس الأقلام لمشكلة التعليم الجامعى ومدى مسايرته لهذا التغير الاجتماعى المحيط وتأثره أو تأثيره فيه ، ثم يقول عن السياسة التعليمية : « إن هذه السياسة يجب كذلك أن تكون متمتعة بقدر عال من المرونة بحيث تستجيب لمتطلبات العصر والتغييرات الاجتماعية » .

ثم يقول : « ومع اعترافى بأن التعليم يعتبر عاملا رئيسيا فى معدل الحراك الاجتماعى وفى إعادة توزيع الثروة ، وأنه يجب أن يكون متاحا للجميع فيما يسمى بديمقراطية التعليم إلا أن نوع التعليم المطلوب يعتبر العامل الأهم فى سلم الرقى الاجتماعى .

وفى نهاية المقال كلمة غريبة ليست لها صلة به تحت عنوان « خاتمة » نصها مايلى :

وأصبحنا غرباء	لاتدرى أملك ولاتملكين
وصرنا تقول لنا وكانبين	واليوم لاأكون ولاكائين
ونحن رهبنا المحبسين	غرباء أصبحنا .. تسحقنا أقدارنا والزمن اللعين .

أو جزءا من الذراع أو جزءا .. من الصدر ... ولابأس إن غادرت بلادها أن تلقى خلفها بزيها المتخلف لتبدو ـ مع الأوربية أكثر إثارة وأشد أناقة .

٢٠ ـ بيد أن ذلك كله أخذ طريقا مرسوما .. فى مجالات مختلفة . فى التعليم .. فى الإعلام .. فى تقاليد المجتمع .. وفى مفاهيم السياسة والحكم .

ولنمس ذلك بشيء من التفصيل ، فإننا نحيل بإذن الله إلى ماسوف نعرض له عند الحديث عن العلمانية وآثارها فى المجتمعات « التعليم ـ الإعلام ـ الحكم » فضلا عن تأثيرها فى الأفراد ، وفى الدول. والله المستعان . (١)

---

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول (العلمانية) وراجع كذلك بحثا مطولا فى أساليب الغزو الفكرى ص ٤٥ ـ ٧٤ .

الفصل الثالث

القهر السياسى .. يصحب الغزو الفكرى ويدعمه

تقدمة :

٢١ ــ نعنى بالقهر السياسى .. ذلك التسلط المدعوم بالقوة من قبل السلطة السياسية ــ شرعية كانت أم غير شرعية .

وقد بدا ذلك القهر واضحا إبان الحروب الصليبية التى صحبت الاستشراق أو صحبها الاستشراق ، والتى خلفت من بعدها التبشير .

كذلك بدا واضحا ذلك القهر إبان الغزو العسكرى للعالم الإسلامى الذى تبع الحروب الصليبية ببضع قرون ... والذى استمر فى العالم الإسلامى عدة قرون كذلك ... يرعى التبشير ويدعمه ، كما يرعى الاستشراق ويدعمه ، ويبدو التعاون بينهما واضحا فى عدة كتابات ، ومن تبعية المستشرقين وأكثر المبشرين لوزارات الخارجية المعادية .

هذا وذاك ... كتب عنه الكتاب . بيد أن مرحلة جديدة ... لم يكتب عنها ــ فى ظننا ــ إلا القليل وهى أخطر هذه المراحل لما تتسم به من الاستخفاء تحت أسماء المسلمين ، وتحت شعارات وطنية وأحيانا إسلامية ، ونشير ــ بمشئة الله ــ إلى المرحلتين الأوليين بإيجاز شديد ثم إلى المرحلة الأخيرة ببعض من التفصيل .

أولا : مرحلة الحروب الصليبية :ــ

٢٢ ــ استمرت الحروب الصليبية قرنان ...

ولسنا نسجل تاريخا ، ولكنا نستخلص من وقائع التاريخ حقيقة .. إن الهدف وراء تلك الحروب **كان هدفا صليبيا واضحا .. وذلك مايكشف عنه :ــ**

١) **دعوة البابوات** إلى هذا الحروب ، ومشاركتهم فيها : فإن المؤرخين يسجلون أن أول من دعا إلى هذه الحروب كان البابا سلفستر الثانى عام ١٠٠٢ م، ثم تلاه البابا خريغوريوس عام ١٠٧٥ م ، وقد قامت الحروب بعد ذلك بعشرين عاما (١٠٩٧ م) .

وقد قاد بعض أولئك البابوات بعض هذه الحروب ، وشارك فى أكثرها « رجال » الدين المسيحى

وشارك كتاب النصارى ومفكروهم فى نفث روح الصليبية فى هذه الحملات .[١]

٢) ماكان يحدث فى هذه الحروب .. من إبادة للمسلمين ، بطريقة تنم عن الحقد ، ولايقتضيها مجرد الفتح ..

— فإن التاريخ يسجل أن الحملة الصليبية التى دخلت بيت المقدس ١٥ يوليو ١٠٩٩ م — (٢ رمضان ٤٩٣ هـ) وبعد أن انتهى إليها فتح البلدة .. راحت فانتهكت حرمة المسجد الحرام ... فى الشهر الحرام ... لتسيل الدم الحرام انهارا داخل المسجد ... حتى أن مؤرخيهم قالوا : لقد غاصت الخيل إلى صدورها فى دماء المسلمين (!!) حيث قتلوا ٧٠ ألف مسلم[٢]، ولم يبق على أرض الأندلس إلا قتيل أو جريح أو مرتد عن دينه بعد هذه الفتنة الفظيعة ... ولم ينج من الموت هربا إلا القليل النادر .

٣) ماصرح به البعض منهم اعترافا بهذه الحقيقة ، فقد قال أحدهم « لقد خاب الصليبيون فى انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى .. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة « القدس » بقدر ماكانت لتدمير الإسلام .

---

(١) راجع أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٦ .

(٢) جاردنر (عن التبشير والاستعمار فى البلاد العربية Gairdner ص ١٥ — د ٪ فروخ والخالدى ، دلرشتر Rither المكتبة العصرية — بيروت) .

راجع كذلك د. على عبد الحليم محمود فى بحث قيم مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامى عام ١٣٩٦ هـ .

٤) مايصرح به القرآن ــ وهو عندنا صادق ــ عن أهداف الغزو الصليبى : ﴿ ولن ترضىَ عنك اليهودُ ولاالنصارى حتى تَتَّبعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (١) ﴿ ولايزالونَ يُقاتِلُونَكُم حتى يَرُدُّوكُم عن دينكُم إن استطاعوا ﴾ (٢) .

٢٣ ــ ومن ثم .. فإننا وإن كنا لانرفض الهدف الاقتصادى من وراء بعض هذه الحروب .. إلا أننا لانجعله فى المقام الأول كما يقع فى ذلك الكثير من المؤرخين والكتاب .

ومن ناحية أخرى نسجل ملاحظة البعض (٣) عن التعاون اليهودى النصرانى فى هذه الحروب .. الأمر الذى لانستبعده فيما سبق حيث كشف لنا القرآن الكريم عن طبيعة اليهود ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا ﴾ (٤)، وحيث أكد التاريخ والواقع هذه الطبيعة ، كما أكد التعاون الحديث بين الصليبية والصهيونية احتمالات التعاون القديم .

٢٤ ــ كذلك نشير إلى أن هذه الحروب الصليبية لم ترتد إلا بعد هزيمتها النكراء التى تمثلت مع الحملة التاسعة فى أسر قائدها لويس التاسع ملك فرنسا فى دار ابن لقمان بالمنصورة « فى مصر » وبقائه فى الأسر فترة ... الأمر الذى نبه معه بعد إطلاقه إلى عدم جدوى الصدام العسكرى مع المسلمين ، ونادى معه بالغزو الفكرى لهم فى عقيدتهم وأخلاقهم وأفكارهم .

ثانيا : مرحلة الاحتلال العسكرى للبلاد الإسلامية :ــ

٢٥ ــ باتت أوربا تجتر هزيمتها العسكرية فى الحروب الصليبية بضعة قرون ... لكنها كانت تمارس فيها الغزو الفكرى على الصورة التى أشرنا إليها ، ثم عادت مع بداية القرن السابع عشر إلى التفكير العسكرى كقوة ضاغطة وحامية وداعمة لذلك الغزو الفكرى ثم لتحقيق أهداف اقتصادية واضحة ... ظهرت فى نزيف المواد الاقتصادية من البلاد الإسلامية وغيرها ... إلا بلاد الغرب .

(١) البقرة آية ١٢٠ .
(٢) البقرة آية ٢١٧ .
(٣) أشار إلى ذلك وليام غاى كار ــ فى كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج » .
(٤) المائدة آية ٦٤ .

٢٦ — وقد شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ذروة هذا الغزو العسكرى على النحو التالى اقتساما بين الدولتين الأعظم « فى ذلك الحين » فرنسا وانجلترا :

فرنســا	إنجلــترا
احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ م (١٢٤٦ هـ)	احتلال الهند عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤هـ)
احتلال تونس عام ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ)	احتلال مصر عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠هـ)
احتلال مراكش عام ١٩١٢ م (١٣٣٠ هـ)	احتلال العراق ١٩١٤ م (١٣٣٢هـ)
احتلال الشام عام ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ)	احتلال(١) فلسطين ١٩١٨ م (١٣٣٧هـ)

وقبلها كانت غارات الأسطول البرتغالى على السواحل الإسلامية ، وأعقبها فى أوائل القرن السابع عشر الـميلادى استيلاء هولندا على جزر الهند الشرقية .

٢٧ — ولم ينج من الاحتلال العسكرى فى العالم الإسلامى فى هذه الفترة إلا بلدان هما الجزيرة العربية ، وأفغانستان .

أما الأولى ... فأغلب ظنى أنها حماية ربانية للحرمين الشريفين ، فضلا عن عدم اكتشاف أية موارد « اقتصادية » فى الجزيرة العربية فى ذلك الحين .

وأما الثانية ... فقد كانت لبسالة الشعب الأفغانى ، وتكسر جيوش الاحتلال على رماح الـمقاومة الإسلامية أكثر من مرة فى ١٨٣٨ — ١٨٤٨ م
١٨٧٨ — ١٨٨١ م ١٩١٩ — ١٩٢١ م

كان نصر الله للأفغان المجاهدين ضد المحاولات الإنجليزية لاحتلال أراضيهم صادا لهم عن هذه المحاولة مرة أخرى ... ولم يسقط فى هذا الشرك إلا « الدب الروسى الغبى » فى الفترة الأخيرة .

---

(١) وقد تخلل ذلك الاتفاق الودى الذى جرى بين الدولتين الأعظم فى ذلك الحين (فرنسا وانجلترا) عام ١٩٠٥ م والذى اتفقا بمقتضاه على توزيع أسلاب العالم الإسلامى على النحو الذى نراه فى المتن !! وهو يذكرنا بالوفاق الذى جرى حديثا (فى الستينات) بين كل من الولايات المتحدة الأمريكيةوالاتحاد السوفيتى !! ثم يزعمون أنهم يساعدون على تحرير الشعوب !! .

٢٨ ــ وقد صحب التبشير والاستشراق ذلك الغزو العسكرى .. وبقى مابقى الاحتلال بل وبعد أن رحل الاحتلال ، على ماسنشير بمشيئة الله .

٢٩ ــ كذلك ظهر « الاستغلال الاقتصادى » واضحا إبان فترات الاحتلال العسكرى .. بما يشير إلى بروز ذلك الهدف كأحد الأهداف الر ئيسية ..

وبدا أن العالم الإسلامى صار .. مجرد مزرعة كبيرة تدر الخيرات على أبناء الحضارة الأوربية الحديثة وتدر معها « المواد الخام » اللازمة للصناعة الغربية وللتقدم « التكنولوجى » .

كذلك بدا العالم الإسلامى « سوقا استهلاكية » رائجة لتصريف البضائع الغربية ولتحقيق أفحش الكسب منها .

٣٠ ــ وأخيراً .. كانت ضربة إلغاء الخلافة الإسلامية إبان ذلك الاحتلال العسكرى البغيض لأطراف العالم الإسلامى . وهى مانفرد لها كلمة رغم دخولها فى هذه الفترة الثانية .

إسقاط الخلافة الإسلامية

٣١ ــ مرت مأساة إسقاط الخلافة الإسلامية فى رأينا بمراحل ثلاثة :ــ

الأولى : وهى المعاصرة لفترة الغزو الإسلامى الذى كانت قمته فتح الأندلس ثم فتح القسطنطينية .. وفى الفترة التالية للفتح الأخير كانت اجتماعات الساسة فى أوربا لبحث « المسألة الشرقية » تعنى محاولة الوصول إلى حل « لوقف الزحف الإسلامى » على قلب أوربا .

الثانية : وكانت فى فترة انحسار الفتح الإسلامى وبداية تضعضع دولة الخلافة وكان بحث « المسألة الشرقية » يتجه إلى كيفية تقطيع أوصال دولة الخلافة وإضعاف كيانها ، وقد سلك فى سبيل ذلك مسالك عدة :

١ ــ احتلال أراضى تابعة لدولة الخلافة ، وقد أشرنا إلى تواريخ وأسماء البلاد الإسلامية التى تم احتلالها عسكريا .

٢ ـــ إشاعة الانحلال ومايتبعه من غزو عقدى واجتماعى وفكرى ، وإلى هذا تشير واقعة احتلال الشام إذ كان مع البوارج الزاحفة صوب شواطىء الشام بارجة تحمل « مومسات » [١] وقد سئل القائد العسكرى للحملة ، فأجاب أن أثر تلك البوارج سيزول « مشيرا إلى البوارج الحربية » أما أثر هذه البارجة فلن يزول .

٣ ـــ إشاعة العصبية القومية داخل دولة الخلافة ، بإشاعة القومية الطورانية داخل تركيا ، وقد تولى كبرها حزب الاتحاد والترقى ، وإشاعة القومية العربية فى البلاد العربية وقد تولى كبرها فى أكثر الأماكن أشخاص ينتمون إلى غير عقيدة المسلمين .. ألفوا أحزابا تحمل هذا الفكر . [٢]

الثالثة : فترة الإجهاز على دولة الخلافة :

وقد سبق ذلك إعداد « البطل الذى سيقوم بهذه المهمة حتى تتقبل الجماهير فعلته ، كما سبقها احتلال أجزاء من تركيا بعد استدراجها إلى الحرب العالمية الأولى حليفة لألمانيا(!) وسبقها أخيرا إعداد سياسى خارجى فى اجتماعات لبحث « المسألة الشرقية » للإجهاز على « الرجل المريض » يقصدون دولة الخلافة ، ثم لتوزيع أسلابه وميراثه . وفى يوم أسود كسواد الليل . مظلم كظلامه .. أعلن .. البطل « **مصطفى كمال أتاتورك** » عن إلغاء الخلافة الإسلامية فقطع الشجرة أحد أعضائها كما كانت الوصية .

وكانت الفجيعة قاسية على قلوب المسلمين .. ذرفوا معها الدموع ، وحاولوا أن يبذلوا الدماء فلم يستطيعوا .. وقام القهر السياسى الداخلى فى تركيا متمثلا فى حملات من القمع الدموى ، وقام قهر الاحتلال العسكرى فى سائر البلاد الإسلامية ، وبخاصة فى مصر والهند .. حائلا دون تحرك إيجابى لإنقاذ الخلافة أو

---

(١) إسم للساقطات اللاتى يمارسن فاحشة « البغاء » .

(٢) نذكر على سبيل المثال اسماء : ميشيل عفلق (زعيم حزب البعث العربى الاشتراكى) ، انطون سعادة (زعيم القوميين السوريين) ، جورج حبش ، قسطنطين زريق .. وقد تبعهم جمال عبد الناصر وكان أكبرهم دعاية للقومية العربية وتضليلا لشعوبها ، ولئن حمل الأخير اسما إسلاميا فلقد كان أشدهم على الله ورسوله ودينه !

إعلانها فى مكان آخر.[1]

٣٢ ـــ ويبقى بعد ذلك السؤال ..

هل كان إلغاء الخلافة داخليا ؟ أم كان جزءا من مخطط معاد للإسلام ؟ والإجابة على ذلك تقتضى تقديم الوثائق ، وقد يتم فى وقت ماالعثور على مثل هذه الوثائق ، لكننا نقدم « قرائن » إذا تجمعت قوى بعضها بعضا ، فكان لها من أثر الإقناع ماليس لواحدة منها متفردة .[2]

نقول بعون الله .

١) فى عام ١٩٠١ م كتب العالم الروسى سرجى نيلوس بعد اطلاع على « بروتوكولات حكماء صهيون » : « إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى فلسطين لابد أن تمر بالأستانة » وبعد ثلاثة وعشرين عاما مرت الأفعى بالأستانة ، وبعد أربع وعشرين عام أخرى مرت بفلسطين .
أكانت صدفة ... أم كانت تخطيطا وتدبيرا وتنفيذا .؟

٢) قبل عزل السلطان عبد الحميد بفترة بسيطة تقدم زعيم اليهود فى سالونيك المدعو قرصو « زعيم يهود الدونمة » بطلب إلى السلطان عبد الحميد لمنح اليهود بعض الامتيازات على أرض فلسطين ،، وفطن السلطان المسلم ورفض .. وقيل إنه بصق فى وجه قرصو ، ويومها قال له قرصو : « ستعلم كم يكلفك هذا الرفض » .
وبعدها بفترة قصيرة كان أحد ثلاثة يقدمون إلى الخليفة خطاب العزل .

---

(١) فى مصر دعا علماء الأزهر إلى مؤتمر لمناقشة قضية « إلغاء الخلافة » واستنكروا ذلك ، وأعلنوا عدم شرعية قرار إلغاء الخلافة ، ودعوا إلى مؤتمر ثان لإقامة الخلافة ومبايعة خليفة جديد ... وانعقد المؤتمر الثانى لينفض بغير قرارات بعد تدخل الاحتلال العسكرى الجاثم على أرض مصر .
وفى الهند ـــ جاء أبناء الهند إلى تركيا يحملون إلى سفاحها هدايا « المال » وغيره ويرجونه إبقاء الخلافة مع استعدادهم لمبايعته خليفة للمسلمين ، لكن الصفقة كانت قد تمت ، فأبى طاغية تركيا الرجوع فيها (راجع د / محمد محمد حسين ـــ رحمه الله ـــ: الاتجاهات الوطنية فى أدبنا المعاصر) .

(٢) يقول الإمام الشاطبى فى الموافقات ج ١ : « إن للاجتماع ماليس للتفرق » إستدلالا على أن مجموعة أدلة ظنية ترتفع بالدليل إلى درجة القطع واليقين .

٣) وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وشروط كبروزون عام ١٩٢٤ لاستقلال تركيا :ـــ

أ ـــ قطع كل صلة بالإسلام .

ب ـــ إلغاء الخلافة .

جـ ـــ إخراج أنصار الخلافة .

د ـــ اتخاذ دستور علمانى .(١)

٤) دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال واتصالاته المشبوهة ، ومافعله عندما أحس بقرب منيته إذ أرسل إلى سفير بريطانيا فى تركيا يعرض عليه أن يستعمل سلطته الدستورية فى اختيار خلفه ، وذلك بترشيح ممثل« بريطانيا العظمى » خليفة له فى حكم تركيا بعد موته ، باعتبار ماأحسه فيه من « أمانة » لم يستشعرها فى الآخرين !

٥) استمرار حرب فكرة الخلافة ، ومن يعتنق إعادتها حتى اليوم ، وتعرض الجماعات والتجمعات الإسلامية التى استوعب فكرها هذه الفكرة ـــ تعرضها للإبادة على أيدى الحكام العسكريين للبلاد ـــ الإسلامية .

وقيام عدد كبير من الكتاب أصحاب « الفكر المشبوه » و « الاتصالات » « المشبوهة » قيامهم بمحاربة فكرة الخلافة ، ونقل فكرة فصل الدين عن الدولة رغم تعارضها مع الفكر الإسلامى الأصيل ، ومع تاريخ المسلمين الناصع ، البعيد فى مجموعه عن التعصب والانحراف .

وسوف نولى هذه النقطة مزيدا من التوضيح عند الحديث عن المرحلة الأخيرة فى الحديث عن العلمانية بمشيئة الله .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى أساليب الغزو الفكرى ـــ المرجع السابق ص ٣٧ ـــ ٤٣ والمراجع المشار إليها .

(٢) راجع « الرجل الصنم » لمؤلف تركى (لم يذكر اسمه خوفا من تطبيق النص الذى يعاقب على التعريض بمصطفى كمال حتى بعد هلاكه بخمسين عاما ، وهو نص لايوجد له مثيل فى دول العالم (!!) ـــ نقلا عن جريدة الأهرام التى نقلتها عن Sunday Times ١٥ / ٢ / ١٩٦٨ (الموافق ١٦ ذى القعدة ١٣٨٧ هـ) تحت عنوان كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه فى رئاسة الجمهورية التركية .

ثالثا : مرحلة الانقلابات العسكرية :ـــ

٣٣ ـــ وهى تبدأ زمنيا مع منتصف القرن العشرين «تقريبا» ، وتبدأ حَدَثيا « اشتقاقا من الحَدَث » مع ظاهرتين هامتين .

أولهما : شيوع « موضة » الانقلابات العسكرية فى المنطقة .

ثانيهما : تخلى كل من بريطانيا وفرنسا عن مستعمراتهما ، لسوء أحوالهم الاقتصادية وطلب الأولى إلى الولايات المتحدة أن ترث النفوذين البريطانى والفرنسى فى المنطقة (١) .

٣٤ ـــ ويظهر على هذه الفترة الملامح الآتية :

أولا : اختفاء الاحتلال العسكرى الأجنبى : وقد كان هذا الاختفاء راجعا فى بعض الأحيان إلى أسباب اقتصادية ، لكنه فى رأينا راجع فى الأرجح إلى وجود البديل الذى يوفر الأنفس والأموال التى كان يقتضيها بقاء الاحتلال الأجنبى ـــ وكثيرا مايقترن اختفاء الاحتلال بهالة من البطولة تضفى على النظام الجديد . بيد أن لنا أن نسجل على هذه القاعدة بعض الاستثناءات .

أ) حدوث بعض ألوان الغزو العسكرى الخارجى ، مثل ماحدث للبنان عام ١٩٥٨ من نزول مشاة الأسطول السادس الأمريكى ، وماحدث لها عام ١٩٨٣ من غزو « متعدد الجنسيات » سبقه عدوان يهودى عسكرى آثم ـــ ومثل غزو جزيرة جرينادا من قبل القوات الأمريكية عام ١٩٨٣ .

ب) حدوث بعض الحروب المحلية كوسائل ضغط لحساب القوى الدولية العظمى ، مثل حرب إيران والعراق الدائرة .

وقبلها حرب الهند مع باكستان الذى نجم عنها فصل باكستان إلى دولتين ، ومثل التدخل السورى الليبى ضد قوات منظمة فلسطين فى لبنان عام ١٩٨٣ .

جـ) استخدام المنظمات الدولية غطاء للتدخل العسكرى ، ومحاولة فرض الحلول

---

(١) الفصل الأول من الباب الأول (تأثير العلمانية فى الأفراد كوك ، مصطفى كمال) أساليب الغزو الفكرى ـــ للمؤلف بالاشتراك .

عن طريق قوات « البوليس الدولى » أو القوات المتعددة الجنسيات الخاضعة للأمم المتحدة. إلخ وقد تكرر ذلك إما بناء على طلب أحد الأطراف ، أو بناء على اقتراح دولى تتبناه الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .

ثانيا : **ظهور الانقلابات العسكرية وانتشارها** ، وكان أول انقلاب عسكرى ابتليت به المنطقة هو عام ١٩٠٨ فى تركيا ، وكان أول انقلاب بعد المرحلة الجديدة هو انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا عام ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م ثم تلته سلسلة انقلابات كان أهمها وأخطرها الانقلاب العسكرى فى مصر عام ١٩٥٢ م (١٣٧٣ هـ) ويقترن الانقلاب العسكرى إما بإزالة لنظام سلطت الأضواء على عيوبه حتى كشفت ومن ثم يبدو الانقلاب إنقاذا للبلاد من الفساد ، والخراب ، والطغيان .. إلخ وإما بإظهار مواهب صاحبه ... وبطولته وزعامته ... وحرصه على مصالح الشعب وإن عجزوا عن البطولة الخارجية بإخراج مستعمر أو قوات احتلال ، فإنه يضفى عليه بطولات داخليه أخرى باعتباره زعيم تحرر ... إلخ .

وكثيرا ما يكون الانقلابات ... مجهولى الهوية ... وأحيانا مجهولى النسب ممايساعد على تقبلهم للدور الذى يطلب إليهم بمالا يتقبله الأصلاء « حتى ولو لم يكونوا مسلمين » .

ثالثا : يلاحظ على هذه الانقلابات بصفة خاصة :

أ) أنها أدت من ناحية الغزو الفكرى للعالم الإسلامى « خاصة » أضعاف ماأدته جيوش الاحتلال الأجنبية ، إذ أعطت القدوة السيئة من قادتها ، فضلا عن أنها مكنت للغزو الفكرى خلال وسائل الإعلام وبرامج التعليم ، وأنظمة الحكم ..

ب) أنها مكنت لدولة اليهود من القيام ، ثم مكنتها من التوسع « خلال حربين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ » ، وأخيرا أضفت عليها الشرعية بعقد الصلح معها وهو أمر كانت تهدف له دولة اليهود خلال الثلاثين عاما المنصرمة ولم يكن هناك من يتشجع للإقدام عليه .

جـ) أنها حاربت الحركات الإسلامية بأقسى مما حاربها به جيوش الاحتلال الأجنبية

مع استخدام تمثيليات محاولة الاغتيال ، أو التآمر أو الاتصال بدولة أجنبية ... و « طبخ » القضايا ، أو تلفيقها ، والإلقاء بزعماء الحركات الإسلامية وأبنائها فى السجون والمعتقلات مع مايتعرضون له من تعذيب وتقتيل وتشريد .[(١)]

٣٥ ـــ وليس معنى ذلك أننا نزكى « الأنظمة الأخرى » إنها تقوم بدورها ولكن على استحياء من ناحية ، وبغلظة أخف من الأنظمة العسكرية من ناحية أخرى .

ولقد نصحت بعض هذه الأنظمة بالتهدئة من « التحديث » مخافة ردود فعل عنيفة قد تفوت الغرض المطلوب .

ومع ذلك فلا تزال هذه الأنظمة عرضة للتغيير إلى أنظمة عسكرية عندما يتهيأ الجو للأخيرة للانقضاض .

---

(١) أفضنا الحديث فى (أساليب الغزو الفكرى) ، (دعاة لابغاة) ، (عندما يحكم الطغاة).. للمؤلف . وراجع مذكرات الداعية الإسلامى الكبير ـــ عمر التلمسانى » ـــ منشورة بالشرق الأوسط وفى مجلة (جويش كردنيكل فى الأسبوع الأول من كانون الثانى فبراير ١٩٧٩ م) قالت فى مقالها الافتتاحى تحت عنوان « الجهاد فى سبيل الله » إن على خبراء الاستراتيجية السياسية فى بلدان الحضارة الغربية وفى بلدان المعسكر الشيوعى أن يتنبهوا جيدا للأخطار التى تمثلها الحركات الإسلامية المتعصبة لجماعات الإخوان المسلمين المنتشرة فى كل البلدان العربية ومعظم البلدان الإسلامية ، والتى تهدف إلى إحياء نظرية الجهاد فى سبيل الله من جديد ، والتى تكافح بشدة لإقناع العرب والمسلمين بالعودة إلى تعاليم الإسلام من جديد .
نشرت وسائل الإعلام المختلفة ـــ تصريحات لوزير الخارجية الأمريكى الكسندر هيج فى ١٧ / ٢ / ١٩٨٣ يقول فيه : « إن القضية الملحة والأكثر خطورة هى نتائج التطرف الإسلامى الذى يسود الدول العربية ، ويؤثر على استقلالها ، وإذا خرج عن السيطرة فإنه سيضر بمصالح الدول الكبرى أيضا » ... ولاندرى بمنطق أولئك المتحضرين .. ألا يعد ذلك تدخلا فى الشئون الداخلية لدولة ذات سيادة .. الأمر الذى تمنعه المواثيق الدولية ؟! .

الباب الأول

الاتجاه الفكرى الغربى

- العلمانية - الديمقراطية - الرأسمالية - الوجودية

الباب الأول
الاتجاه الفكرى الغربى

تمهيد :

٣٦ ـــ نتيجة التكوين البشرى من مزيج روحى ومادى ..

ونتيجة لضعف أثر « الدين » فى النفوس .. الذى كان يمكن أن يرفع من الجانب الروحى .. ونتيجة لظروف عديدة سوف نشير إليها فيما بعد . (١)

* * انحدر الفكر الغربى والشرقى ـــ بصفة عامة ـــ إلى الصبغة المادية .

ـــ أثر فيه فكريا « فلسفيا » أمثال **ديكارت** واضع منهج البحث الاستنباطى ، **وفرنسيس بيكون** صاحب المنهج التجريبى ، **وكومت** مؤسس المذهب الوضعى .

ـــ وظهر نتيجة ذلك فى أمريكا مذهب « البراجماتزم » أو المذهب الوضعى .

ـــ وأسهم « فيورباخ » بماديته ، « وهيجل » بجدليته فى ظهور « الفكر الماركسى » وصار من شعاراته : لا إله والحياة مادة » .

ـــ وكان الفكر « اليهودى » استمدادا من مصادره المحرفة « التوراة ، التلمود البروتوكولات » قائما كذلك على المادة ، « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » ، وفى ظننا أنه سابق على الفكرين السابقين ، ومن ثم فلايستبعد تأثيره عليهما ، فضلا عن الدلائل والقرائن التى تشير إلى هذا التأثير .

* * واستطاع البعض أن يقسم علميا التفكير المادى إلى إتجاهين :

ـــ الاتجاه الميكانيكى Mechanistic Materialism وهو اتجاه مادى صرف لايعترف بمكان « للروح » أو تأثير لها على الجسم .

ـــ الاتجاه الديالكتيكى DialecticMaterialism ، وهو قائم على المادة وإن اعترف بوجود العقل والروح فإنه يجعل لهما التبعية للمادة (٢)

** ويظهر للباحث المدقق ـــ بغض النظر عن تطرف البعض فى التعليل ـــ أن ثمة رابط بين شيوع الفكر المادى فى الغرب ، وشيوعه فى الشرق الشيوعى ، ووجوده فى

---

(١) سوف نشير إليها بمشيئة الله عند حديثنا عن العلمانية .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى ـــ د / محمد البهى ـــ رحمه الله ص ٨٦

العقل اليهودى .

ولقد يذهب البعض إلى القول بأن اليهود وراء كل شيء ..[١]

ولقد يذهب فريق آخر إلى النقيض من ذلك ..

لكننا نقول بعون الله .. إن هذا التشابه يعنى ثمة رابط ، وإن سبق اليهود فى الفكر المادى يعنى ثمة تأثير .. لكننا — علمياً — لانذهب إلى أبعد من ذلك ، حتى لانقع فى التهويل [٢] فضلا عن رفضنا « التهوين » . [٣]

٣٧ — قد يجمع البعض الحديث حول هذه « المذاهب » الفكرية المختلفة : **العلمانية — الرأسمالية — الديمقراطية — الوجودية** ، دون ماإشارة إلى الجامع بينها .

وقد يدرسها البعض الآخر متفرقة دون ماجمع بينها ... فيتحدثون عن العلمانية « كمذهب فكرى ، وعن الرأسمالية كمذهب اقتصادى ، وعن الديمقراطية كمذهب سياسى ، وعن الوجودية كمذهب اجتماعى ... فيبدو كل مذهب مستقلا عن الآخر !

لكنا نرى أن الجامع بينها :

١ — أنها نشأت فى محضن واحد .

---

(١) يذهب هؤلاء — وهم أكثر المفكرين المستمسكين بالإسلام — إلى أن اليهود وراء الفكر الشيوعى ، والثورة الشيوعية ، كما أنهم وراء الفكر الغربى المادى ، ووراء الثورات التى نجحت نتيجه له ، ويقدمون البراهين من نصوص البروتوكولات وغيرها من مصادر الفكر اليهودى ...

(٢) فى هذا المعنى يقول الأستاذ أنور الجندى فى كتابه « سقوط العلمانية » .. يتبين تماما أن الدعوة العلمانية هى نتاج يهودى تلمودى أصيل كان له أبعد الأثر فى الفكر الغربى (ص ١٧ — الناشر : دار الكتاب اللبنانى . بيروت) .

(٣) قريبا من هذه النظرة المتعلقة لدور اليهود ، وجدنا الأستاذ محمد قطب فى أكثر من موضع يشير إلى هذا المعنى « هناك واتت الفرصة المرتقبة منذ قرون ، لا لأن اليهود دبروا الأحداث كما يزعمون فى البروتوكولات .. ولا لأن تراكم التخطيط عبر القرون قد آتى ثماره آخر الأمر كما يرى أمثال وليم كار فى كتاب الأحجار ، ولكن لأن أوربا هى التى استحمرت نفسها لشعب الله المختار حين فرت من الدين كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » ص ٨٥ — المرجع السابق ص ٨٣ ، وص ٨٧ وصفحات أخرى .

٢ ـــ أنها صَدَرت أو صُدِّرت عن هذا المحضن الواحد لتعتنقها مساحة من الأرض واسعة !

٣ ـــ أنها فى حقيقتها .. متفرعة عن نبع واحد .

فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وقيام الأخيرة على أساس مادى .

والرأسمالية تعنى مذهبا اقتصاديا يقوم على احترام الملكية الفردية ، ويطلق الحرية للمادة لتتعامل وتتفاعل اقتصاديا وفقا لقوانين العرض والطلب .

والديمقراطية : مذهب سياسى يعنى أن كل شىء بالشعب كما يدعون .

والوجودية : مذهب اجتماعى مؤسس على إبراز قيمة الوجود الفردى .

ومع شىء من التعمق فى هذه المذاهب نلمس أنها جميعا تستند إلى أساس مادى ، وهى جميعا مردودة إلى : مايسمى بالمذهب الفردى Individualisme وذلك مقابل المذهب الجماعى Socialism وكلاهما قائم على أساس مادى .

ونتحدث بتفصيل عن هذه المذاهب .. لاباعتبار استقلال كل منها عن الآخر

ولكن باعتبارها وحدة واحدة تشكل فى الواقع « العقد » الفكرى للغرب الحديث ، ثم لنبين تأثيرها المباشر أو غير المباشر العمدى والعفوى فى تشكيل « الفكر الإسلامى الحديث » إن صح التعبير .. أو بعبارة أخرى أصح : عدوانها على الفكر الإسلامى الأصيل .

الفصل الأول

العلمانية

٣٨ ــ **العلمانية** .. أسبق على الديمقراطية والوجودية .. وقد تكون مصاحبة للرأسمالية .

ذاك مايكشف عنه تاريخ نشأتها ، وهى تشكل « العقل الغربى الحديث » منذ قدر له أن ينتصر فى مجال الصراع مع الفكر الدينى السابق عليها .

وهى وإن انتقلت إلى العقل « الشرق » أو « الإسلامى » عمدا أو عفوا فقد بقيت فى صياغتها وأصالتها غربية ، وهى كذلك غريبة ، فهى بمثابة « عضو غريب » يزرع فى جسد حى آخر .. والجسد وإن قاوم « العضو الغريب » إلا أنه مع الزمن من ناحية ومع الإضعاف المتعمد المتوالى لعنصر المقاومة ، فإن الجسد يستسلم أخيرا للعضو الغريب ، ويقبل التفاعل والتعامل معه [١]، ولقد يكون « علميا » أن نبدأ بالتعريف .. لكننا نجد الأولى علميا أن نتكلم عن النشأة .. فهى التى ستحدد التعريف ومن ثم فقد رأينا أن نتناول المباحث التالية بإذن الله :

المبحث الأول : **ظروف نشأة العلمانية .**
المبحث الثانى : **ظروف انتقالها إلى الشرق الإسلامى .**
المبحث الثالث : **تعريفها وترجمتها .**
المبحث الرابع : **مجالات عملها أو تطبيقها .**

---

(١) من الخواص « البيولوجية » أن الجسد يرفض زرع عضو غريب فيه ، لذا يلجأ « الطب » إلى وسائل عديدة لإضعاف مقاومة الجسد لتقبل العضو الجديد .. ! وهو مايحدث من الغزو الفكرى للعالم الإسلامى !! .

« المبحث الأول »

ظروف نشأة العلمانية

توطئة :ـــ

٣٩ ـــ « لكل فعل رد فعل مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه » .

هذا القانون يعمل فى مجال الطبيعيات .. [١] وهو موضوع أصلا لهذا المجال ، لكننا كان لنا شرف اكتشافه كذلك فى مجال « القيم والمبادىء » ! وهو قد يعمل فى المجال الأخير ـــ فى رأينا ـــ بقوة أشد تؤدى إلى التغيير ، وقد كان لنا شرف تطبيقه كذلك فى مجال الحركات الإسلامية [٢] .وإن رأينا تعديله فى هذا المجال ، أى : « مجال الحركات الإسلامية » إلى « لكل فعل رد فعل أكثر منه قوة وأكثر إسراعا ضد الاتجاه ، ويؤكده قول الله تعالى : ﴿ فأما الزبَدُ فيذهَبُ جُفاءً وأما ما يَنْفَع الناسَ فيمكُثُ فى الأرضِ ﴾ [٣] وقوله : ﴿ بل نَقْذِفُ بالحقِ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هو زَاهِق ﴾ . [٤]

وسندنا فى ذلك الواقع الذى يصير النظريات والافتراضات إلى حقائق مسلمة [٥] وانتصار « الأصلح » مبدأ لايمكن تصوره إلا إذا كان أكثر قوة وأكثر

---

(١) من تطبيقاته فى هذا المجال : فى المجال الحيوى مسارعة كرات الدم البيضاء إلى عملية دفاعية مضادة إزاء أى غزو جراثيمى .. ومن تطبيقاته القرآنية ﴿ جزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ « كذلك يضرب الله الحق والباطل » .

(٢) راجع مؤلفاتنا السابقة .. وفيها حذرنا القائمين على الأمور من استمرار اضطهاد الحركات الإسلامية .. لما سيؤدى إليه من « انفجار » ثورات إسلامية تطيح بالأوضاع القديمة ، وقد صدقنا ربنا فى مجالات ، وما زلنا فى انتظار المجالات الأخرى ! .

(٣) الرعد آية ١٧ .

(٤) الأنبياء آية ١٨ .

(٥) وإلى هذا المعنى يصل أحد المستشرقين حين يقول : « إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة ، فهى تتفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها مايدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها (وجهة الإسلام د. جب ص ٣٦٥) .فالحركات الإسلامية لاينقصها إلا وجود الزعامة وإلا ظهور صلاح الدين من جديد (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ـــ ج ٢ ص ٢٢٠) .

إسراعا فى الاتجاه .. قد يكون ظاهره أنه أضعف قوة ، وأضعف سرعة .. لكن النتائج تؤكد غير ذلك ..

أما فهم الفرق بين الظاهر وبين النتيجة فإنها ترجع إلى عاملين :

أ) **العامل الداخلى المعنوى** .. الذى يجعل صاحب الحق أكثر استمساكا ، وأطول صبرا ، وأشد تضحية !

ب) **العامل الربانى** .. وهو مانؤمن به ، وقد لايؤمن به غيرنا ، من أن الله سبحانه يتولى عن« المؤمنين المعركة ويضمن لها النتائج » .. ﴿ وماالنَّصْرُ إلا من عند الله ﴾[1] ، ﴿ فلم تَقْتُلوهُم ولكنَّ الله قَتَلهُم ، ومارَمَيْتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى ﴾[2]

٤٠ ــ تلك مقدمة رأيناها لازمة ونحن نتحدث فى مجال الأفكار والمبادىء لنصل منها إلى أن « الأفعال » Actionsالتى وقعت فى أوربا أحدثت « الردود » Reactions التى وقعت بعدها ... وكان من نتائجها « العلمانية » و « الشيوعية » [3] وغيرها من الأفكار ونبادر فنحذر أن يظن بأن هذه الردود كانت أفضل من الأفعال ..

فكلاهما سيء .. لكن السيء إذا وقع أدى ــ فى غير المجال الإسلامى ــ إلى الأسوأ .. وهذا ماوقع ..

لقد عاشت أوربا ظروفا « دينية » ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، سيئة فى القرون الوسطى ، فلما أطل « عصر النهضة » كان الإفراز فى مجال المبادىء « أسوأ » بغض النظر عن الحضارة المادية ، التى قد تبدو لأول وهلة نصرا أو انتصار !

ونحن نعرض ــ بإيجاز ــ إلى هذه الظروف لنصل إلى نشأة « العلمانية » :

أولا : الظروف الدينية :ــ

٤١ ــ عاشت أوربا فترة قاست فيها قهر الكنيسة وتسلطها ، ونحن فى هذا

---

(١) آل عمران ١٢٦ .

(٢) الأنفال آية ١٧ .

(٣) وكا يسميها البعض العلمانية المعتدلة والعلمانية المتطرفة ويقصدون بالأخيرة الشيوعية (رسالة د. زين الهادى ــ المرجع السابق) .

المجال — وحتى لانتهم بشيء من التحيز — ننقل عن مفكريهم وكتابهم .

٤٢ — فأما الجانب الفكرى — العقدى — فيكفى فيه :

أ — ماقيل بعد دخول شاوول المسيحية ، وبعد مؤتمر نيقية عام ٣١٨ م من أن الله أقانيم ثلاثة : الأب ، والابن ، والروح القدس ، وفى هذا يقول الأب بولس فى كتابه « **يسوع المسيح** » :

« من الناس من يقولون لم ياترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم (صفات) ؟ أو ليس فى تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد فحسب ؟

ويمضى فى تبرير ذلك « الشرك » بالله فيقول :

« ولكننا إذا اطلعنا على كنه الله « معاذ الله فإنه لاتدركه الأبصار » لايسعنا إلا القول بالتثليث ، إن الله محبة « يوحنا الأولى ٤ : ١٦ » ولايمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون الله سعيدا (!) فالمحبة هى مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهى إذ تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما (!) فيكون الله سعيدا ولامعنى لاله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية .

ولهذا ولد الله الابن (!!) منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته (!) ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس ، **هو الحب إذا يجعل الله ثالوثا وواحدا معا (!!!)** .

ثم يمضى فى التأكيد فيقول :

« ليس الله إذا كائنا تائها فى الفضاء منعزلا فى السماء ، لكنه أسرة (!) مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض هذا التثليث !!! [١]

---

(١) يسوع المسيح للأب بولس ، نقلا عن د. أحمد شلبى (المسيحية) ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨ .

أى عقل سوىّ يتقبل هذا الهراء .. ؟

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال القيم الإسلامية الأصيلة عبر الأندلس وجزر البحر الأبيض ؟!

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال « المذهب التجريبى » فى المجال العلمى نقلا عن علماء المسلمين ؟!

ب) **فكرة الصلب والصليب** : وهى التى قامت على :ـ

« أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم (!) بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة ، واستحق هو وأبناؤه (!) البعد عن الله بسببها ..[1] وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل الإنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر (!!)

والنص لايصمد أمام الانتقاد :

ـ إذا كان آدم قد أخطأ .. فقد عوقب بالطرد من الجنة ، وهى ليست بالعقوبة الهينة « إن صح اعتبار خروجه من الجنة عقابا له ، وهو ليس كذلك » ، وإذا كان قد عوقب ... فلم تعاقب ذريته ؟!.. أى عدل فى ذلك ؟ ، وهم يطبقون صفة الله « العدل » ؟!

ثم إذا كانت ذريته « فرضا جدليا » مخطئون كذلك فما ذنب عيسى عليه السلام وهو النبى الذى لم يخطىء ، أهذا عدل الإله ...

إن الله أنزل فى كتابه ﴿ وأن لاتزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾[2] ، ليترجمه رجال القانون إلى مبدأ « شخصية العقوبة » .. أى عقاب

(١) ثابت فى كتابنا القرآن وهو الحق .. أن الله تاب على آدم عليه السلام وقبل توبته ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾، ومع التسليم جدلا باستحقاقه للعقاب فقد تم ذلك بخروجه من الجنة ، من ثم ينهار أساس فكرة الصلب .

(٢) النجم آية ٣٨ ــ ٣٩ .

الشخص الذى يخطىء وعدم امتداد الخطأ إلى أحد غيره . إن الله « العدل » الذى أنزل ، ﴿ وإذاحكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ..[1] لم يكن ليجازى عيسى عن ذنوب البشر .. إن هذا عين الظلم !

ــ وثمة خطر آخر .. إن البشر إذا أحسوا أن عيسى قد افتدى أخطاءهم بأن رضى بالصلب .. فلهم أن يفعلوا مايشاءون ، وأن يعيشوا فى الأرض فسادا .. فعيسى يحمل عنهم أوزارهم ! ألاساء مايحكمون !

ــ وأخيرا ..

قلناها لبعضهم[2]

« إذا كان عيسى ابن الله .. وقد رضى الله بصلبه ، فإن الأمر لايعدو أحد احتمالين :

إما أن يكون قد رضى ذلك ــ عن قدرة ــ فيكون بذلك إلها ظالما ، إذ يحمل برئيا أوزار المذنبين .. !

وإما أنه رضى ذلك ــ عن عجز ــ فيكون إلها عاجزا لايصح له أن يتولى « منصب » الألوهية .. بتعبيركم ، تعالى الله عما تقولن علوا كبيرا !

جـ) غفران الذنوب :

فى عام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قرار خطير يعطى « البابا » حق غفران الذنوب ، استنادا ــ فيما نظن ــ إلى نص محرف ينسب إلى المسيح ـ عليه السلام ــ قوله إلى بطرس : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ماتحلله على الأرض يكون محلولا فى السموات[3] ، ويرد بعد هذا النص نص آخر يشكك فى صحة النص الأول إذ ينسب إلى المسيح قوله لبطرس : « فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى

---

(١) النساء اية ٥٨ .

(٢) فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان زيارة لنا عام ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

(٣) إنجيل متى ــ الإصحاح ١٦ ــ من ١٩ ــ ٢٠ .

ياشيطان أنت معثرٌ لى ، لأنك لاتهتم بما لله [1]. فكيف يعطى المسيح إلى شيطان مفاتيح ملكوت السموات ؟! وهل يملك المسيح نفسه هذه المفاتيح ؟ .

﴿ قل فمن يَملِكُ من الله شيئاً إن أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابن مَريمَ وأمَّهُ ومن فى الأرضِ جميعا ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما يخلق مايشاء والله على كلِ شيءٍ قدير وقالت اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤه قُل فلِمَ يُعذِّبُكُم بذنوبكُم بل أنتم بشرٌ ممن خَلق يغْفِرُ لمن يشاءِ ويُعذِّبُ من يشاء ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ ومابينهما وإليه المصير ﴾[2] .

والغفران لايتم إلا بطقوس :

منها : الجلوس على كرسى الاعتراف ، للإدلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترافات ... بلا تفرقة بين ذكر وأنثى ، وبلا اشتراط لانعدام الخلوة فى حالة الأنثى .

ومنها :إصدار صك بالمغفرة .. غالبا مايدفع المذنب فى مقابلة شيئا من المال .. ، وقد اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة فى بعض الفترات ، كما شكلت مصدرا للإثراء غير المشروع « لرجال الدين الكنسى » ، ويجرى الصك على النحو التالى :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا .. (يذكر اسم الطالب المغفرة) ويحلك باستحقاق آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرص ، وأرفع القصاصات التى تلزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسيين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا

---

(٣) إنجيل متى ــ الإصحاح ١٦ من ٢٣ ــ ٢٤ .

(٢) سورة المائدة آية « ١٧ ــ ١٨ » .

عند معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل معه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس »!!! (١)

ومنها : إصدار قرارات الحرمان .. إذ من يملك المغفرة .. يملك الطرد « من رحمة الله » « بقرار الملائكة وحكم القديسين ، نحرم ونلعن ، ونصب دعاءنا على (باذوخ سبينوزا) بموافقة الطائفة المقدسة كلها ، وفى وجود الكتب المقدسة ذات الستمائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة ، وليكن مغضوبا وملعونا نهاراً وليلاً وفى نومه وصبحه ، ملعونا فى ذهابه وإيابه ، وخروجه ودخوله ، نرجو الله أن لا يشمله بعفوه أبدا ، وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ويحمله جميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة ونسأل الله أن يخلص أولى الطاعة منكم وينقذهم ، وأن لايتحدث معه أحد بكلمة أو يتصل به كتابة ، وأن لايقدم له أحد مساعدة أو معروفا ، وأن لايعيش معه أحد تحت سقف واحد ، وأن لايقترب أحد منه على مسافة أربع أذرع ، وأن لايقرأ أحد شيئا جرى به قلمه ، أو أملاه لسانه » . (٢)

---

(١) أحمد شلبى « المسيحية » ج ٢ ص ٢٥٤ ، الاستاذ / محمد قطب ص ٦٣

(٢) هذا صك حرمان أحد الفلاسفة المسمى سبينوزا الذى خرج من تطبيقة المنهج العقلى على الكتاب المقدس إلى أنه ليس وحيا ، وقد حوكم أمام الكنيس اليهودى عام ١٧٥٦ م بتهمة الهرطقة (الضلال الدينى) ، راجع د/ فتح الله المشعشع ص ١٩٢ ـــ ١٩٣ قصة الفلسفة .

وكان من بين من عاقبتهم الكنيسة :

أ ـــ إيبلاس ـــ العالم الفلكى حيث أحرقت كتبه العلمية والجغرافية ، وسجن حتى الموت .

ب ـــ مارتن لوثر (١٤٧٣ ـــ ١٥٤٦) الذى انتقد صكوك الغفران ، وانتقد سلطان الكنيسة لكنه أفلت من عقاب الكنيسة .

ج ـــ إسحاق نيوتن (١٦٤٢) وقد عوقب على اكتشافه قانون الجاذبية بإعتبار أنه « استبدل بعناية الله قوة الجاذبية ، وأنزل رب الخلق عن عرشه وسلبه عمله المباشر فى خلق الكون على نحو ما تقرر الكتب المقدسة » .

د ـــ كما تم إحراق العالم الإيطالى « جورج دافوبرونو » عام ١٦٠٠ م لقوله بأن الأرض تدور حول الشمس .

هـ ـــ من الملوك والأمراء ـــ أمير تولوز بجنوب فرنسا ، وهنرى الرابع ملك انجلترا الذى أصدر البابا قرارا بحرمانه من الجنه .. فركع أمام الفاتيكان فى زمهرير الشتاء وقتا طويلا حتى عفا عنه البابا ... إلخ (قصة النزاع بين الدين والفلسفة .. ومراجع أخرى) .

٤٣ ــ فأما الجانب العملى .. فيكفى أن نقدم فيه :

أ ــ حياة الرهبة ، ﴿ ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم ... ﴾ وتمارس حياة الرهبنة داخل الأديرة بالانقطاع عن الحياة العامة ، وبالامتناع عن الزواج وتضم الراهبين والراهبات ، وكأى حياة تنافى الفطرة وتلغيها ، شهدت الأديرة أحط ألوان الفسوق بما نمسك عنه . (١)

ب ــ **عصمة البابوات** : أعطى البابوات العصمة من الخطأ بقرار من مجمع روما المنعقد عام ١٨٦٩ م وصار للبابا حق الطاعة العمياء ، على الرعايا واجب الاتباع المطلق فإذا أضفنا إلى ذلك أن له حق تفسير الكتاب المقدس ، وأنه ليس للأتباع أن يعملوا عقولهم فيما بين أيديهم أو فيما يصدر عن الكنيسة .

إذا عرفنا ذلك كله .. عرفنا إلى أى وضع انحطت الكنيسة وصادمت بعد الفطرة العقول !

جـ ــ محاكم التفتيش :ــ

قيل بدأت فى أسبانيا عام ١٤٧٨ م وقيل قبل ذلك فى فرنسا ، حين أراد البابا « جريجورى التاسع » محاكمة الهراطقة مخالفى الكنيسة وذلك عام ١١٢٣ م.(٢)

وعندما أرسل نابليون حملة إلى أسبانيا بعد أربعة قرون من سقوطها فى أيدى الصليبية تحدث أحد ضباط حملته : « وهبطت على درج السلم .. فإذا نحن فى غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحاكمة ... ثم توجهنا إلى غرف التعذيب التى امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض ...، ورأينا غرفا صغيرة فى حجم جسم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى فيبقى سجين الغرف الأفقية ممدودا فيها حتى يموت ، وتبقى الجثث فى السجن العتيق حتى تبلى ، ويتساقط اللحم عن

---

(١) راجع ماجمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير غير مطبوعة ص ٥٤ ــ ٦٠ الجامعة الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

وراجع الأستاذ / محمد قطب ــ المرجع السابق ص ٥٨ ــ ٦٢ .

(٢) راجع ماجمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير ــ غير مطبوعة ص ٥٤ ــ ٦٠ الجامعة الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

العظم وتأكله الديدان ، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة على الفضاء الخارجى ، وقد عثرنا فى هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت فى أغلالها .

واستطعنا إنقاذ عدد من السجناء « أعمارهم بين ١٤ ــ ٧٠ » وتحطيم أغلالهم وهم فى الرمق الأخير من الحياة .

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فوجدنا آلات لتكسير العظام ، وسحق الجسد البشرى ، كانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين ، تدريجيا حتى يهشم الجسم كله ، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، ثم عثرنا على صندوق بحجم رأس الإنسان توضع فيه ، ويربط بالسلاسل والأغلال ، وفى أعلى الصندوق ثقب تتساقط منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام فى كل دقيقة نقطة ، وقد جن الكثير بسبب هذا اللون من العذاب . وآله أخرى على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة ، وآلات كالكلابيب تغرز فى لسان المعذب ثم تشد ليخرج معها فيقص قطعة قطعة ، وكلابيب تغرس فى أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء أو تبتر بالسكاكين ، وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم .[(١)]

ولانحسب الأمر هنا يحتاج إلى أدنى تعليق .

ثانيا : الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية :ــ

٤٤ ــ فصلنا فى الظروف الدينية لأنها كانت العامل الأساسى لردة أوربا عن

---

(١) قصة الاضطهاد الدينى د. توفيق الطويل ص ٦٩ ومابعدها ، قادة الغرب يقولون جلال العالم ص ١٠ ــ ١٥ ، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة ــ توفيق الطويل ، ويقدر من عاقبتهم محاكم التفتيش بثلاثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء ، وممن عاقبتهم الكنيسة : العالم الطبيعى « بروفون » و « جالليو » الذى قال بدوران الأرض ... ــ راجع كذلك الأستاذ / محمد قطب ص ٦٧ ــ ٧٠ فى الفترة من ١٤٨١ ــ ١٤٩٩ م (١٨ سنة) تم إعدام ١٠٢٢٠ حرقا وهم أحياء ، ٦٨٦٠ شنقا ، ٩٧٠٢٣ بعقوبات أخرى (شمس العرب تشرق على الغرب ص ٣٦١ نقلا عن د. جمعه الخولى ــ رحمه الله .

الدين[1]، أما الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فكانت تشكل عوامل مساعدة ولئن وصلت أوربا فى قرونها الوسطى إلى الحضيض فى تعاملها مع الدين فلقد كانت كذلك فى الحضيض بالنسبة لظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ...

* * كانت أوربا تعيش حياة الإقطاع .. حيث يملك نفر بسيط الأرض بما عليها ومن عليها ، ولم يكن للعامل حق فى أجر عادل .. بل كان يمثل « شيئا » يملكه الإقطاعى كما يملك الآلات الزراعية القائمة على هذه الأرض سواء بسواء .

ومن ثم كانت الغالبية من الناس تعيش حياة الفقر والفاقة والعوز ، بينما قلة من الناس تعيش حياة الترف والدعة والفجور .

* * وبذا نشأ اجتماعيا فى المجتمع طبقتان :

طبقة السادة التى تملك كل شىء ولها كل شىء !

وطبقة العبيد التى لاتملك شيئا وليس لها أى شىء !

وكانت الكنيسة لاتكتفى بالسكوت على مظالم الإقطاع ، بل إنها كانت تمارس نفسها الإقطاع .[2]

* * أما الجانب السياسى .. فقد كان خاضعا لنفس الظروف ، الحاكم إقطاعى يتملق الإقطاعيين ... ويتملك العبيد ، ويقدم للإمبراطور إعانة سنوية مقابل قيامه بالحكم وفرض الضرائب وتحصيلها ... وكان هذا يمثل ماأسموه « بالسلطة الزمنية » وإلى جوار هذه السلطة الزمنية كانت « السلطة الدينية » ممثلة فى الكنيسة والتى بلغ جورها حد

---

(١) ويعبر عنه الفرنسيون بمثل فرنسى معروف Silabranche est trop courbee إذا كان الغضن معوجا شديد الميل إلى ناحية من النواحى فإنه يجب من أجل أن تجعله مستقيما أن تثنيه وتميله إلى الجهة المضادة بقدر انثنائه السابق (مبادىء نظام الحكم فى الإسلام د. عبد الحميد متولى . دار المعارف. الإسكندرية الطبعة الثانية . ١٩٧٤ م) .

(٢) يقول « ول ديورانت » أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضى ، وأكبر السادة الإقطاعيين فى أوربا فقد كان دير « فلدان » مثلا يمتلك خمسة عشر ألف قصر صغير ، وكان دير « سانت جول » يملك ألفين من رقيق الأرض ... ويقال إنه صار لهم فى فرنسا ربع الأرض (تاريخ التمدن الحديث ص ٦٥) وكان على الناس أن يعملون يوما كل أسبوع فى أراضى الكنيسة وعشر أموالهم هبة لها .

إقامتها لمحاكم التفتيش التى راح ضحايا لها حوالى ثلاثمائة ألف منهم اثنان وثلاثون ألف ماتوا حرقا ، والتى جارت فى سلطانها على السلطة الزمنية بما مارستة عليها من قرارات الحرمان إن هى لم تخضع لرغباتها وأهوائها ...(١) وكان التعاون آثما بين السلطتين على حساب الشعب المقهور الذى عانى أقسى ماعانته البشرية فى عصور كثيرة !(٢)

ثالثا : نتائج هذه الظروف : « ردود الفعل »

٤٥ ــ كان لهذا القهر الذى مورس على العقول حربا على العلم والعلماء وعلى كل جديد أو مكتشف ، مع ماتعلنه الكنيسة من أقانيم ، وصلب ، وصكوك غفران ، وصكوك حرمان !

وكان لهذا القهر الذى مورس على القلوب .. قبولا بكل ماتقوله الكنيسة .. اعتبار مما قررته للبابا من حق غفران الذنوب عام ١٢١٥ إلى ماقررته بعد ذلك من عصمته من كل خطأ فى عام ١٨٦٩ .. إلى مابين ذلك ، ومابعد ذلك .. من تفتيش على القلوب مع حجر على العقول ، وكان للقهر الذى مورس على الأبدان .. تعذيبا ، وسجنا ، وتقتيلا ، مع القهر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى ظل حكم الإقطاع ... كان لابد لهذه الأفعال Action من ردود أفعال Reation .(٣)

---

(١) من ذلك ماأصدره البابا نقولا الأول « أنا ابن الله .. إن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما كانوا أو محكومين » ــ عن المرجع السابق ص ٤٥ .

وراجع قصة الصراع بين البابا هلد براند والإمبراطور هنرى الرابع ص ٤٦ . ويقول البابا خر يغوريس « إن الكنيسة هى صاحبة السيادة فى العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمد هى ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ ، وإن البابا له مركز قوة فى العالم فهو الذى يولى الأساقفة ويخلعهم ، وله الحق فى خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذى لايسأل عما يفعل . (معالم تاريخ العصور الوسطى ــ محمد رفعت ، محمد حسونه ص ١٣٧) أشار إليه د. جمعه الخولى ــ رحمه الله .

(٢) وكان من ذلك ماأعطته من شرعية الطغيان السياسى إذ أطلقت على لسان المسيح « أعطوا مالقيصر لقيصر ومالله ﷺ » المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) كان لوثر راهبا عالما دارسا اللاهوت ، وعندما ذهب ليحج فى روما أزعجته صكوك الغفران التى تباع وتشترى ، وعندما عاد إلى ألمانيا احتاج البابا « ليو » إلى اعادة بناء الكنيسة فأصدرت « صكوكاً » فعلق لوثر احتجاجا على باب الكنيسة ، فطلبه للمحاكمة فلم يذهب ، فأصدرت الكنيسة قرارا بحرمانه من الحقوق المدنية والقانونية حتى صار مباح الدم !

٤٦ ــ وكان أول نداء .. بفصل الدين عن الدولة .. بتقييد سلطان الكنيسة داخل جدارنها .. بحبس الدين Nonrelgion فى رأى المعتدلين ، وبإعدام الدين Antirelegionفى رأى المتطرفين .

بدأ ذلك بنداءات مارتن لوثر « ١٤٧٣ ــ ١٥٤٦ » [1] ، الذى تعده أوربا زعيم الإصلاح الدينى ، والذى حاولت الكنيسة عقابه لكنه أفلت من عقابها .

ونادى الفيلسوف « ديكارت » بأن للعقل ميدانه وللدين ميدانه ، وميدان العلم هو الطبيعة ، وميدان الدين هو العالم الآخر ، وبذا « عزل » الدين عن العلم وعن الحياة .

أما « فولتير » فقد أسمى النصرانية « بالكائن الوضيع » وكتب « مقبرة التعصب » فى عام ١٧٣٦ م وإن لم ينشر إلا فى عام ١٧٦٧ وكان من بين ماقاله فيه :

« إن كل رجل عاقل لايملك إلا أن يغرق فزعا من اعتناق المسيحية » ، ووصف عقيدة النصارى بأنها « عقيدة متناقضة سفاكة للدماء ، ينتصر لها الجلادون ، وتحيط بهم عصبة من الأشرار .. عقيدة لايذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراءا .. عقيدة خاصة لم يعتنقها إلا عدد قليل من سكان هذا العالم ، ووصف التوحيد (يقصد الوحدة) بين الدين والدولة أنه : « أبشع نظام » وقال إنه « يجب إلغاؤه » .

ودعا إلى إبعاد الدين عن الدولة ، وفصل الدولة عن الدين وطالب بإقامة نظام آخر ، « يخضع فيه رجل الدين لنظم الدولة ويخضع فيه الراهب للقاضى » .

أما جان جاك روسو ، فقد أخذ صيحة « عمر بن الخطاب » : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ليترجمها إلى نظرية العقد الاجتماعى » Contrat Socialوالتى قال بمقتضاها ... إن الناس كانوا جميعا أحرارا لاقيد على حريتهم ، ولكنهم لحاجتهم إلى إقامة مجتمع ودولة تنازلوا عن قدر ضئيل من حريتهم

---

(٢) المسيحية لشلبى ص ٢٥٨ ، رسالة ماجستير للدكتور زين الهادى ص ٦٨ ــ ٦٩ .

ليحفظوا حريات الآخرين ، حتى يقوم مجتمع وتقوم دولة .

٤٧ ــ ثم كان نتائج ذلك ثورات حطمت فيها مئات الكنائس ، وقتل العديد من رجال الكهنوت :

١) **ثورة الفرسان** : فى ألـمانيا فى مطلع القـرن ١٦ ، هاجموا الكنـائس والأديـرة ودمروا ماكان فيها من تماثيل الكنائس وطردوا الرهبان من الأديرة .

٢) **ثورة الفلاحين فى ألمانيا** : بعد السابقة بعشر سنوات ، طالب فيها الفلاحون بتخفيف ضريبة العشور التى تؤدى للكنيسة ومنحهم الحق فى اختيار رجال الدين ، وامتدت إلى عدة جهات فى ألـمانيا ، وأدت إلى قتل عشرات الألـوف من الفـلاحين لاخمادها .

٣) **ثورة الأراض المنخفضة** : تم خلال أسبوع واحد تحطيم ٤٠٠ كنيسة وكثير من الأديرة ، وأخمدت بعد إعدام ١٨٦٠٠ مواطن ، وفر حوالى ثلاث أضعافهم خارج البلاد كانوا يكونون طبقة مستقلة عن بقية أفراد الشعب .

٤) **الثورة الفرنسية** : فى القرن ١٨ ، والتى رفعت شعار « اشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس » . (١)

اليهود فى الميدان :ــ

٤٨ ــ يقول الكاتب الأمريكى « وليام غاى كار » : « لقد كان اليهود وراء فكرة فصل الدين عن الدولة . (٢)

* ولعله يؤكد ذلك ماجاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » : « لقد بدأت ثمار جهودنا تؤتى أكلها ، إذ أخذ ذلك النفوذ الدينى العظيم على الناس يتضاءل رويدا رويدا ، وحلت حرية الضمير محله فى كل مكان » (٣) ، ثم : « لن يمضى غير سنوات معدودات حتى تشهد احتضار الـمسيحية ولن تتطلب الديانات الأخرى ، إلا

(١) التاريخ الأوربى الحديث د . / عبد الحميد البطريق ، د / عبد العزيز قوار ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٣) أحجار على رقعة الشطرنج وليم غاى كار . ويؤكد ذلك الأستاذ / أنور الجندى بقوله : « إن الدعوة العلمانية هى نتاج يهودى تلمودى أصيل كان له أبعد الأثر فى الفكر الغربى ص ١٧ من سقوط العلمانية .

اليسير من الجهد ، حتى تتبع المسيحية فى الانهيار ، وسنحصر الدين ورجاله فى أضيق نطاق ، حتى تزول عنهم الهيبة ، وتسقط الحرمة فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذى كانت تجده من قبل » . (١)

* ولقد يكون لليهود أكثر من مصلحة فى سقوط المسيحية :

فأولا : شفاء الأحقاد التى دفعتهم إلى محاولة قتل المسيح « صلبا » وإن لم تمكنهم القدرة الإلهية من ذلك ، ولكن ﴿ شُبِّه لهم ﴾وقد وقعت جريمة قتل ، وإن لم تقع على شخص « المسيح »

ثانيا : إزاحة سلطان الكنيسة التى كانت تساند التعصب المسيحى ضد « اليهود » فى أوربا .

ثالثا : بلوغ مايتمنون أولا من حريتهم (٢) ، وثانيا من سيادتهم على الأديان والأجناس الأخرى وفقا لتعاليم تلمودهم الذى صنعته أيديهم وجعلوه فى مقام فوق التوراه .

* ويبقى بعد ذلك : وجهة النظر التى ترى أن اليهود أنفسهم من معتنقى العلمانية رغم ادعائهم الانتماء الدينى أو الالتزام الدينى .

يؤكد ذلك طبيعتهم : إنهم أحرص الناس على حياة .. أية حياة ، كما يؤكده واقعهم المنحل ، واهتماماتهم المادية .

* ونحن نرى أن وجهة النظر هذه معقولة على المستوى الشعبى .

أما من ناحية المستوى الرسمى : فإن اليهود حريصون على إحياء توراتهم المحرفة وتلمودهم الموضوع ، وحريصون على الالتزام بها أكثر من التزامنا نحن بقرآننا الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) البروتوكول السابع .

(٢) ولقد يؤكد ذلك أن أول قرار لأول حكومة علمانية فى أوروبا كان اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته (الجمعية الوطنية الفرنسية ١٧ / ٩ / ١٧٧١ م) .. راجع الأستاذ أنور الجندى سقوط العلمانية ص ٢٢ والملل المعاصرة فى الدين اليهودى د . إسماعيل الفاروق أشار إليه فى المرجع السابق .

ومع ذلك فلا نحسب أن اليهود بإمكاناتهم المحدودة فى ذلك الحين ، وبأعدادهم المحدودة كذلك .. كانوا قادرين على صنع الأحداث ونحسب أنهم أرادوا نسبة بعض الأحداث إليهم ليستعملوا سلاح الرعب ضد خصومهم .. والإنسانية كلها خصومهم !

المذهب الفردى ـــ والثورة الفرنسية :ـــ

٤٩ ـــ سقط قناع الكنيسة .

وساد شعار فصل الدين عن الدولة بعد القرن « ١٦ »

وأعقب ذلك نداءات فولتير ، وجان جاك روسو ، وغيرهم من المفكرين والفلاسفة التى شكلت فيما بعد ماسمى بالمذهب الفردى « الذى ظهر فى القرن الثامن عشر » .

* والمذهب الفردى Individialism يقوم على شعار Liaissez Passer Laissèz Faire وهو مطبق أساسا فى المجال الاقتصادى ، لكنه كذلك طبق فى المجال السياسى ، ليحدد وظيفة الدولة بثلاثة : الأمن والسكينة والصحة ، وطبق فى المجال الاجتماعى ليطلق حريات الأفراد التى نص عليها بعد ذلك : Liberté Propviete, Egalité

* ثم انفجرت الثورة الفرنسية بعد ذلك (١٧٨٩ م) رافعة شعار : اقتلوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، ومهما قيل فى شأن الثورة الفرنسية من أنها أغرقت الأرض ببحار من دماء ، وأنها صارت تأكل بعضها بعد إذ لم تجد ماتأكله ، وأنها خلصت الناس من إرهاب لتوقعهم فى إرهاب وأن ضحاياها على المقاصل كان منهم الكثير من الأبرياء .

٥٠ ـــ فقد أفرزت الثورة الفرنسية :

١) تأكيد تقييد سلطان الكنيسة برفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

٢) تقييد السلطان السياسى للملوك والحكام الذين ادعوا الحق الإلهى Droit Divin والذين حين عدلوا عن الحق الإلهى نادوا بأنهم الدولة Létat C'est Moi .

٣) إعلانات حقوق الإنسان Declarations dedroits del'hommeالتى ركزت على حقوق الإنسان فى : الحرية ، الملكية ، المساواة ، حق مقاومة الظلم Leberté ProPrieté Egalité, Resistencea l'oppressionثم صدرت الدساتير المختلفة مؤكدة لهذه الحقوق ، ومنظمة علاقة الحاكم بالمحكوم وموزعة الاختصاصات بين السلطات الثلاثة : التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بعد تأكد الفصل بين السلطات باعتباره ضمانا هاما للشرعية .

العلمانية فى أوربا :ــ

٥١ ــ ارتفعت صيحة فصل الدين عن الدولة ، أو العلمانية Secularismوارتفع معها شعار المذهب الفردى Endividialismeالذى طبق فى النطاق الاقتصادى بالتمكين للرأسمالية .

وفى المجال السياسى بالتمكين للديمقراطية .

وفى المجال الاجتماعى بانطلاق الأفراد فيما أسموه بالحرية الشخصية وغذى ذلك كله العلمانية .

ــ واتخذ تطبيقاتها .. فى مجال التعليم
ثم فى مجال الإعلام.
ثم فى مجال حرية المرأة (أو ماأسموه ذلك)

ــ **وصاحب ذلك نهضة صناعية** .. كانت أوربا قد أفادتها بعد نقل العلوم من الجامعات الإسلامية فى قبرص وقرطبة وأشبيلية .

ــ وأعقب ذلك اتجاه الدول الأوربية بعد نهضتها وقوتها إلى استعمار بلاد العالم الثالث لأغراض كثيرة من بينها : البحث عن الموارد الأولية اللازمة للصناعات .

*** * وتصور الكثيرون ذلك كله « بركة » العلمانية .**

ولاشك أن الكنيسة (لا الدين) كان عقبة كبيرة فى سبيل نهضة أوربا باعتبار ماأقامته من حجر على العقول .. بلغ حد إنكار المخترعات العلمية ، والعقاب عليها

« كما حدث لجاليلو الذى قال بدوران الأرض ، ونيوتن الذى قال بقانون الجاذبية وغيرهما » كما أقامت حجرا على القلوب بإقامتها سدا بينها وبين الله متمثلا فى كرسى الاعتراف ، وصكوك الغفران وقرارات الحرمان .

ولم يكن لأوربا أن تنهض بغير ثورة على الكنيسة بعدما تردت الكنيسة إلى تلك الهاوية ، وتردى « أربابها » فى مستنقع الرذيلة ، تحت ستار « الرهبنة » وتوزيع « البركات » مع قيام « العصمة » حائلا دون أن يسأل البابا أو يساءل من دونه باعتبارهم ممثلين له !

ـــ ومن ثم زاد ترداد شعار العلمانية **Secularism** باعتباره العاصم الوحيد دون عودة سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ، وباعتباره باب الولوج إلى الحرية ، والنهضة ، والتقدم .

ـــ وأشعل المستفيدون من هذه الشعارات لهيب الحماس للعلمانية باعتبارها « الإنقاذ » للشعوب مما هى فيه من تخلف ، وتعصب ، وبعد عن الحضارة والمدنية ... وبقيت إشارات إلى اليهود باعتبارهم المستفيد الأول من هذا الشعار .

ـــ وانتقلت العلمانية إلى شعوب مختلفة ، وانتقلت معها تطبيقاتها فى مجالات مختلفة .. وكان نصيب الشرق الإسلامى وافيا ... على نحو ماسنشير . بمشية الله .

« المبحث الثانى »

انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامى

تقدمة :ـ

٥٢ ـ الفكر أشبه بالماء . ينتقل من أعلى إلى أدنى.....

وعندما كنا الأعلى .. كان فكرنا .. وقبله ديننا .. وعلمنا .. ينتقل إلى غيرنا .. إلى الأدنى ..

وعندما صرنا الأدنى .. عندما رضينا بالسفح دون القمم .. نزل إلينا كل وافد وكل رافد .. يحمل معه بعض الخير .. لكنه يحمل شراً كثيراً بل شراً مستطيراً ، يحمل مع الماء الزبد والغثاء ويحمل داخل الماء الكثير من السموم ..!

هذا تصوير أو تقريب !

وهناك آخر ...

إن الإنسانية فى امتداداتها المختلفة أشبه بالأوانى المستطرقة .. فإن كان ثمة « امتلاء » فى جانب وفراغ فى جانب آخر ... إنتقل السائل من الامتلاء إلى الفراغ .

ولقد عاش العالم الإسلامى فترة « امتلاء » بعد امتداد نور الإسلام وفيضه فيه .. فكان « يفرغ » فى الآخرين ..

ثم ارتد وانحسر .. فعاش فترة « فراغ »

فكان للآخرين أن يفرغوا ماعندهم فيه .

والفرق فى الحالين :

أنَّا أفرزنا الخير ، وأفرغناه إلى غيرنا .

وأن غيرنا أفرز « الشر » و« أفرغه » إلينا!

ولقد كانت هناك عوامل ساعدت على انتقال « الفكر إلينا » .. وكانت هناك

وسائل أو « مجارى » حملت إلينا هذا الغثاء وكانت هناك نتائج لهذا أو ذاك ..

فلنبحث ذلك بمشية الله :

أولا : عوامل انتقال العلمانية :ــ

٥٣ ــ كانت عوامل انتقال العلمانية منها ماهو مخطط مرسوم ومنها ماجاء عفوا بغير تخطيط .. لكنها تجمعت لتساعد على انتقال هذا الفكر الجديد لتجد له مكانا فى شرقنا الإسلامى ...

لم تكن ظروفنا مماثلة لتلك الظروف التى قامت فى أوربا ، لم يكن عندنا حجر على القلوب ولاحجر على العقول ، لم يكن عندنا اضطهاد للعلم والعلماء ، لم تقم فى بلادنا محاكم تفتيش .. تحاكم الضمائر والوجدان ! وتحكم بالحرق والتعذيب والسجن والتشريد !

ومع ذلك قامت عندنا عوامل أخرى بعضها خارجى وبعضها داخلى ، بعضها عفوى وبعضها عمدى .

أما العامل الأول فقد كان نهضة أوربا مع العلمانية :

ذلك أن نهضة أوربا « المادية » واكبت وأعقبت العلمانية ، أو فصل الدين عن الدولة ، ومن ثم أحدث ذلك شعوراً بأن التحضر والتمدين ومناهضة التخلف لايكون إلا بطرح الدين خلف الظهور ، وإلا فلم نهضت ، أوربا . وبغض النظر عن مدى صحة ذلك من ناحية الحقيقة والواقع ، فإن الذين خرجوا من مجتمعات « التخلف » الذى فرض على المنطقة الإسلامية وشاهدوا مجتمعات « التقدم » و « التحضر » تخلف فى « لاشعورهم » هذا المعنى من حيث لايشعرون وظنوا بدينهم غير الحق ظن الجاهلية أو ظن الجاهلين ، فما بالك إذا أضفت إلى ذلك العوامل الأخرى .

العامل الثانى : تخلف المنطقة الإسلامية :ــ

وهو عامل داخلى فى مواجهة العامل الخارجى السابق .

وبغض النظر عن أسباب هذا التخلف .. فقد كان ــ واقعا قائما ، كان ثمة

تخلف فكرى ... بعد فترة من النشاط الفكرى الذى لم يشهد له العالم مثيلا والذى أنتج علوما عديدة فى كافة الـميادين[(١)]

ولعل هذا التخلف بدأ مع إغلاق باب الاجتهاد ثم مع البعد شيئا فشيئا عن النبع الصافى الذى كان يستقى منه الأولون ﴿ ومن لم يَجعلِ اللّٰهُ له نوراً فما لهُ من نور ﴾[(٢)] . وكان ثمة تخلف حضارى ومادى .. وفى كل الجوانب .. نتيجة انصراف الحكام إلى شهواتهم وترك مصالح الناس ، ونتيجة الصراع على مناصب الحكم وكراسى الوزارة ، والنكبات التى صاحبت ذلك وأعقبت ذلك .

كان التخلف حقيقة واقعة . وإذا كان تخلف فى جانب .. وتقدم فى جانب آخر فلابد أن يفد الفكر من الأعلى إلى الأدنى ــ كما قدمنا ــ .

العامل الثالث : الاستعمار العسكرى ، وماأعقبه من سقوط الخلافة :ــ

كان التخطيط فى الـمسألة الشرقية للإجهاز على « الرجل الـمريض » وقد مر ذلك

---

(١) إذا أخذنا نموذجا لذلك بلدا واحدا كالأندلس ، فإننا نجدها قد أنجبت بعد الإسلام :

أ ــ ابن حبان القرطبى : شيخ المؤرخين ، وصاحب الجامع لأحكام القرآن ، والمقتبس فى تاريخ الأندلس عشرة أجزاء ومؤلفات أخرى .

ب ــ ابن خلدون : مؤسس علم الاجتماع ، ومؤسس فلسفة التاريخ ، وصاحب (مقدمة ابن خلدون) .

ج ــ ابن حزم الظاهرى : صاحب كتاب المحلى (٩ أجزاء) والأحكام فى أصول الفقه فضلا عن ٤٠٠ مجلد آخر .

د ــ أبو القاسم الزهراوى ــ الطبيب ــ الذى توصل إلى استخراج الحصا من المثانة وتفتيتها ، واجراء عمليات فى العين .. فضلا عن بقية أفراد عائلة زهر التى اشتهرت بالطب ــ رجالا ونساءا .

وفى العلـوم الأخـرى : فى مجال الكيميـاء : كان المسلمـون أول من جعـل البـارود مادة متفجـرة قابلــة لإطــلاق القذائف ــ ونقلها عنهم الأوربيون ، كما توصلوا إلى كثير من الصناعات فى الطباعة ، والدباغة ، وصناعة المعادن .

وفى مجال الفيزياء : وضعوا أسس هذا العلم ، ووضعوا نظرية الجاذبية وتحدثوا عن المغناطيسية والبصريات .

وفى مجال التعليم : ظهرت جامعات غرناطة وقرطبة وأشبيلية .. وفى هذا يقول ماك كيب : لم تطلع الشمس على أهنأ وأرغد عيشا ولاأكثر رغبة فى التمتع بالجمال والعلوم والأعمال المجيدة من غرب الأندلس (حاضر العالم الإسلامى ص ٨٤ ــ ٨٥) .

(٢) النور آية ٤٠ .

بمرحلتين :ـــ

ـــ مرحلة تقطيع أوصال الخلافة : بالاحتلال العسكرى لمناطق إسلامية وقد ضربنا لذلك الأمثال حتى احتلت الأرض الإسلامية كلها عدا الحجاز وأفغانستان ثم دولة الخلافة . وأعقب ذلك :

ـــ إسقاط دولة الخلافة ، بالترتيب الذى أشرنا إليه من قبل ، وقد حرص الاستعمار العسكرى ، وحرص الذين أسقطوا الخلافة على أن يحملوا معهم أفكارهم ... سواء بقصد الغزو الفكرى أو لمجرد الاعتزاز بها والفخر باعتناقها .. وفى مقابل ذلك كان العامل الرابع .

العامل الرابع : الهزيمة النفسية لدى المسلمين :ـــ

أعقب الاحتلال العسكرى ثم إسقاط دولة الخلافة ، هزيمة نفسية خطيرة .. فترسب فى نفوس المسلمين أن الغالبين هم الأعلى ، بما يحملون من حضارة مادية أوتوا أسبابها .

وإذا كان المغلوب مولعا بتقليد الغالب ، فقد قلد المغلوبون الغالبين .. قلدوهم فى كل شيء حتى مع اختلاف الظروف واختلاف التكوين . ومن ثم كان تقبل « العلمانية » وغيرها .. أمرا غير مستغرب .

العامل الخامس والأخير : الغزو الفكرى الخطير :ـــ

الذى مر بمراحل :

محاولة تنصير المسلمين

محاولة إخراج المسلمين من دينهم دون دخولهم النصرانية .

محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة ، وتحت أسماء خادعة رقيقة :

« التغريب ، التحديث ، التمدين ، التحضر ، التغيير الاجتماعى ، وعملت العلمانية فى مجالاتها ... وشقت طريقها فى مجاريها .

ثانيا : وسائل نقل العلمانية أو « مجاريها » :ـــ

٥٤ ـــ المجرى الأول : المستشرقون :

فى كتاباتهم التى اتخذت طريقها فى الغرب لدى المبتعثين أو اتخذت طريقها فى الشرق لدى الدارسين والباحثين .

وكان للشكل الذى اتخذه التأليف .. دخل كبير فى إقناع « السذج » ، بتقدم هؤلاء .. وكان للأسلوب « العلمى » الذى اتخذه المستشرقون دخل كبير فى ظن المسلمين خيراً بهؤلاء .. بينما كثيرا مما كتبوه حوى كثيرا من الافتراء إما عمدا عن حقد وقصد إلى إضعاف عقيدة المسلمين وأفكارهم ، وإما جهلا منهم بالمصادر الإسلامية ساعد عليه جهلهم بلغة الإسلام : اللغة العربية .

المجرى الثانى : المبشرون :

وهؤلاء مارسوا ما مارسوه عن عمد تنفيذا لوصية زويمر ، كما قدمنا ، فنقلوا العلمانية .. من خلال نشراتهم وكتبهم ، ومن خلال التمثيليات والأفلام ، ومن خلال المدارس المختلفة التى بدأت بالأجنبية ، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية كذلك ، كما أشار إلى ذلك أكثر من مبشر .

المجرى الثالث : المبعوثون والناقلون للفكر الغربى من أبناء المسلمين :

وهؤلاء كانوا أخطر الوسائل ، لأنهم عادوا يحملون ألقابا علمية وضعتهم بمساعدة ـــ المخططين ـــ فى مناصب التوجيه .

وأعقبها .. نظر الناس إليهم أنهم قدوة مع اسقاط أى مناعة أو تحفظ قبلهم لأنهم « وطنيون » .

انتقال العلمانية
(تلخيص)

عوامل انتقال العلمانية

(١) مواكبة العلمانية لنهضة أوربا .
(٢) تخلف المنطقة الإسلامية .
(٣) الاستعمار العسكرى
(٤) الهزيمة النفسية .
(٥) الغزو الفكرى .

مجارى العلمانية

(١) المستشرقون .
(٢) المبشرون .
(٣) التلاميذ .

« المبحث الثـالـث »

تعريف العلمانية (1)

٥٥ ـــ مفهـوم العلمانيـة كما يبين من العـرض ، هو فصل الديـن عن الدولـة أو عن الحياة لاتعنى كما يظن البعض إنكار الدين ، فذلك هو الإلحاد أو الكفر ، لكنها تعنى حصر دائرته وحصر سلطانه داخل جدران الكنيسة فلا يتعداها إلى المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فيمكن فى ظل العلمانية ممارسة الشعائر الدينية ، لكنه لايمكن أن يمتد سلطان الدين إلى المجتمع أو الدولة .

والقول بأن العلمانية إنكار للدين أو إلحاد خلط لها مع الإلحاد الذى تنادى به الشيوعية وغيرها من الـمـذاهب الـملحـدة وآيـة ذلك التطبيـق القـائم فى مواطـن نشأة العلمانية وهو أوربا .. ففى أوربا تمارس الشعائر الدينية داخل الكنيسة كما تمارس داخل البيوت « سواء كانت صحيحة أم خاطئة أم محرفة » لكنه لايسمح للكنيسة بممارسة ماكانت تمارسه من قبل على المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وحصر نطاق الدين فى أماكن العبادة ، وقصر معناه على الجانب التعبدى .

---

(١) لغة : لم يوجد لها مكان فى معاجم اللغة العربية ! أما فى بعض المعاجم الحديثة فقد جاء :ـــ

أ ـــ فى معجم المعلم البستانى : « العلمانى : العامى الذى ليس باكليريكى » .

ب ـــ فى المعجم العربى الحديث لاروس تأليف د / خليل الجسر : « علمانى : ماليس كنسيا ولادينيا » .

ج ـــ فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة فى القاهرة : « العلمانى : نسبة إلى العلم ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى » .

وعدم وجود الكلمة فى المعجم القديمة يدل على حداثتها ، ويلاحظ بعض الباحثين إنها وردت أولا فى المعاجم اللبنانية المسيحية فى وقت مبكر (١٨٧٠ م) ـــ وفى المعجم الوسيط لمجمع اللغة ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٠ م .

٥٦ ـــ ولقد صار علما على العلمانية فى الغرب Secularismبالإنجليزية Secularite بالفرنسية ، وكلاهما اشتقاق من لفظ Secular والغرب يفهم اللفظ بمعنى فصل الدين عن الدولة ، وعدم تدخل الكنيسة فى أعمال الدولة .

٥٧ ـــ لكن البعض توسع فى دلالة العلمانية إلى ماقد يوهم بأنها مرادف للإلحاد أو إنكار الدين :

ولننظر إلى معانيها فى بعض القواميس ودوائر المعارف

ففى القاموس الإنجليزى Secularismتعنى : The vicwthat Morality and edueation should not be based on religionوترجمته العلمانية هى : وجهة النظر القائلة بعدم تأسيس الأخلاق والتعليم على العقيدة و Secularist تعنى : Beliving or Supporter of Secilarismالمؤمن أو المؤيد فى العلمانية ويعلمن : Secularize تعنى :

Make Secular: Secularize Church, Property, Courts. Secularize Sunday E.C. When church going is replaced by sporting events.

يعلمن : يجعله علمانيا ، يعلمن الكنيسة ، والملكية ، والمحاكم ، يعلمن يوم الأحد عندما يجعل الذهاب إلى الكنيسة يحل محله ممارسة الأحداث العادية .

٥٨ ـــ وفى دائرة المعارف البريطانية :ـــ (١)

« هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها وذلك أنه كان للناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر ، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت Secularismتعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس فى عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق طموحاتهم فى هذه الحياة الغريبه ، وظل الاتجاه إلى ال Seularismيتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية »

---

(١) راجع الأستاذ محمد قطب فى : مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤٥ .

٥٩ ــ أما دائرة المعارف الأمريكية :

فقد جاء الحديث فيها عن العلمانية على النحو التالى : [(١)]

« الدنيوية هى : نظام أخلاق أسس على مبادىء الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة ، وإن المبدأ الأول هو حرية الفكر ـ حق كل إنسان فى أن يفكر لنفسه : وهذا هو المعترف به الآن على الأقل نظريا من أغلب المسيحيين ، ولكن الحال لم يكن كذلك عندما أعلن جورج « جاكوب هولى أوك » لأول مرة عن برنامج الدنيوية حوالى سنة ١٨٤٦ م فى انجلترا ، ويتضمن هذا المبدأ شيئا هاما يعتبر كتتمة له ، ألا وهو الحق فى اختلاف الآراء فى كل مواضيع الفكر . علما بأن هذا الحق يصبح غير ذى قيمة بدون الحق فى تأكيد ذلك الاختلاف . وأخيرا فإن نظام الدنيوية يؤكد الحق فى مناقشة ومجادلة كل المسائل الحيوية ، مثل الآراء المقبولة عند أغلب الناس عن أسس الالتزام الأخلاقى ، وعن وجود الله ، وعن خلود الروح ، وعن سلطة الضمير .. إلخ ، ومبدأ الدنيوية لايعترف بأنه لايوجدخير آخر سوى خير الحياة الدنيا ، وهو لايخوض فى هذه المسألة : ولكنه يؤكد بأن خير الحياة الدنيا هو خير حقيقى ، والسعى إليه هو خير أيضا ، كما أنه يهدف إلى إثبات « أن الحالة المادية الدنيوية يستحيل أن يكون الإنسان فيها محروما أو فقيرا » يؤكد بأنه توجد فى هذه الحياة قوى مادية لايمكن تجاهلها دون أن يكون هذا تصرفا أحمقا أودون أن يصاب بضرر ، ألا وهى « الحكمة والرحمه ، ووواجب مراعاتهما » وهو لايعارض ادعاءات المسيحية ، ولايقول بأنه لانور ولاهداية إلا فى الطبيعة ، ولكنه يؤكد بأن « هناك نور وهداية فى الحقيقة الدنيوية التى توجد ظروفها وفروضها بذاتها ، ولتعمل بحرية وإلى الأبد . » .

٦٠ ــ وقد نقلت إلى العربية تحت لفظ علمانية : « والأولى القول بفصل الدين عن الدولة أو بحصر الدين فى معنى التعبد دون امتداده لسائر شئون الحياة .

= وراجع : Encyclopacdia Britanieay. ix. p. 19 .

وراجع : الطبعة السادسة ــ ١٢ مجلد Every Mans Encydopacdia مجلد ١٠

(١) المجلد ٢٤ ــ

هذا وليس فى دائرة معارف القرن العشرين (لمحمد فريد وجدى) حديث عن العلمانية .

٦١ ــ وقد اعتقد البعض أنها بالفتح عَلمانية ، نسبة إلى العَلَمَ أو إلى العالم (١)، وقد ذهب إلى هذا الرأى عالـمان جليلان هما :

د / عبد الحليم محمود « شيخ الجامع الأزهر » رحمه الله حيث يقول :

« فالعلمانية هنا ترجمة عليها بصمات أداة النسب السريانية لكلمة Laique بالفرنسية ويقصدون بها « لادينية منسوبة إلى العَلَم بفتح العين لابكسرها كما يخطىء الأكثرون ، متوهمين أنها من العلم بكسر العين وليست به ، وهى بهذا تكون منسوبة إلى العَلم بفتح العين وهو العالم بفتح اللام أو الدنيا التى هى فى مقابل الآخرة .

وهذا التفسير Laique دهرى أو علمانى نشره اليهود فى أوربا وفى فرنسا بالذات فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر حيث تمكن دعاة العلمانية من الاستيلاء على الحكم فى فرنسا . (٢)

ــ **ويقول د / محمد البهى ــ رحمه الله ــ** : « وعرف هذا الاتجاه فى محيط المجتمعات الإسلامية بعد المخالطة الفكرية بين الغرب والشرق باسم الاتجاه العَلْمانى ، ولعله منسوب على غير قياس إلى العالم بفتح اللام ـــ وهذا الاسم ترجمة للكلمة اللاتينية Secularius التى تعرف فى الإنجليزية باسم Seular كوصف Secularism كاتجاه ومذهب . (٣)

٦٢ ــ لكن هذا لايتفق مع أصل الكلمة إذ هى فى أصل معناها العلم ، ذلك أن الأصل اللاتينى للكلمة Secularius ومعناه عالم متبحر . (٤)

---

(١) العلم لغة : العلامة ـــ الجبل . المعلم : الأثر ، يستدل به على الطريق العالم : الخلق . العالمون : أصناف الخلق .

(٢) مقدمة كتاب دلائل النبوة ومعجزات الرسول د / عبد الحليم محمود . طبعة دار الإنسان بالقاهرة ـــ ١٣٩٤ هـ .

(٣) الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ـــ مشكلات الأسرة والتكافل ص ١١ ، وراجع كذلك المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد ذهب هذا المذهب ، وهو ليس بحجة لما قدمنا .

(٤) وإن كانت ترجمة العلمانية بمعنى العلمية فى الإنجليزية Scientic من Science وهو العلم فإن الكلمة صارت مصطلحا على نحو ما قدمنا .

وإذ نشب الصراع أول مانشب بين الكنيسة والعلماء فقد صار العلم .. علما على الحد بين سلطان الكنيسة ومن ثم صارت Secularism علما على عدم امتداد سلطان الكنيسة إلى العلم والعلماء ، أو علما على حصر سلطان الدين والكنيسة بعيدا عن الدولة ، ومن ثم فإننا نرى أن الكسر أولى من الفتح ، لأنها مصطلح ، ولامشاحة فى الاصطلاح .

« المبحث الرابع »

تطبيقاتها وآثارها

تقدمة :ـــ

٦٣ ـــ طبقت العلمانية فى أوربا .. فماذا أنتجت ؟ وماذا كان آثارها ..؟ وانتقلت إلى شرقنا الإسلامى سريعا .. انتقال الماء أو انحداره من القمة إلى السفح فقد بدت أوربا فى عصر « العلمانية بدت فى قيمة الحضارة المادية .. وبدا الشرق الإسلامى فى السفح أو فى القاع .. معنويا .. وماديا ..

وكانت أول الهزيمة ـــ كما أسلفنا ـــ هزيمة النفس ، ولاتزال ! وامتدت آثار العلمانية فى الفراغ القائم أو الكائن فى المنطقة مع البعد عن الإسلام ومع غياب العقيدة الحقة التى كانت تملأ الألباب وتملك الألباب !

ـــ امتدت العلمانية إلى الأفراد فمسختهم !

فرأينا .. مصطفى كمال فى تركيا .. ورفاعة الطهطاوى فى مصر .. وآخرين أمسكنا عن ذكرهم !. (١)

ـــ وامتدت إلى المجتمعات فصبغتها : تعليما .. وإعلاما .. و« خلقاً » وانحلالا !

ـــ وامتدت إلى الدول فأتت بنيانها من القواعد أو كادت :

فى تركيا .. فى مصر .. فى الجزيرة العربية .. وسوف نرى بإذن الله .

أولا ـــ آثار العلمانية فى أوربا وأمريكا

٦٤ ـــ قد يكون من الصعب أن نقدم الصورة الدقيقة .. وليس تحت أيدينا من

---

(١) ليس ذكر بعض الأشخاص خروجا عن الموضوعية التى ارتضيناها منهجا ، لكنه « اضطرار » وهو ثانيا تمثل لأسلوب القرآن حين ذكر البعض بالأسماء « فرعون ، قارون ، عاد ، ثمود ، أصحاب الرس ، وأعقب ذلك « وقرونا بين ذلك كثيرا » ، وأخيرا لأن هؤلاء صاروا فى ذمة التاريخ فلم يعودوا ملك أنفسهم ولاملكا لأحد .

الإحصاءات إلا القليل .. لكننا نحاول تقديمها .. من خلالها ثم من خلال المشاهدة (١)

٦٥ ــ إذا نظرنا إلى الفرد : فإننا نجد العَلْمانية قد أفرغت قلبه وعقله من الدين .. لأنها أشعرته بعدم أهميته .. بل بعدم لزومه .. صحيح أننا مازلنا نرى فارقا بين العَلْمانية والإلحاد .. فالعلمانية تقدم « السلبية » بالنسبة للدين .. يستوى عندها أن يوجد أو لايوجد .. شريطة أنه إذا وجد فلا عمل له فى المجتمع ولادخل له بالدولة ــ غير الإلحاد الذى يقدم « الإيجابية » ضد الدين .. وهو الفارق الذى يقوم فى الإنجليزية بين لفظ NONولفظ Antiفلئن عنت العلمانية « اللادينية » Nonreligousفإنها مرحلة سابقة على مرحلة أشد ارتكاسا وهى « ضد الدين » أو « معاد للدين » Antireligousهذا الفراغ الذى يعيشه الأوربى أو الأمريكى ــ بعيدا عن الدين ، والذى اضطر الكنائس لاجتذاب « زبائن » لها (١) أن تشرع الرقص المختلط فى نهاية صلوات الكنيسة لتشجيع الشباب على الصلة بالكنيسة .

هذا الفراغ الذى يعيشه الأوربى أو الأمريكى ، خواء روحيا ، وخواء فكريا .. له أثر بعيد داخل الفرد ، فالفرد الأوربى أو الأمريكى وإن بدا سعيدا بتوافر إمكانات الحياة المادية ، لكنه فى حقيقته غير ذلك .. لأنه يحس هذا الخواء الذى لم تملأه

---

(١) فضلنا هذه الطريقة على النقل مما كتبه الأجانب حيث كثر النقل فى الرسائل والكتب .

(١) من إحصائية مضى عليها خمس وثلاثون عاما لكنها تعطى فكرة عن « زبائن » الكنائس والذى يتناقص فى كل يوم :

نوعية الناس	مدينة صناعية صغيرة	مدينة صناعية كبيرة	ابر شبه طبقية عائلية بباريس سانت ايوليب
مديرون ومهندسون	٥٠ ــ ٦٠	٤٢	٢٣
مهن حرة	٤٠	ــ	١٠
موظفون	٣٠	٣٢ ــ ٣٥	ــ
أصحاب حرف وعمال	٢٠	٩	٥ ر ٤
عمال مهرة يدويون	٥ ر ١٠	٦	٥ ر ٢

تاريخ البشرية المجلد السادس ــ القرن العشرين ــ الجزء الثانى ــ إعداد اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ ــ ص ٢٩٧ .

فلسفة حديثة ولاقديمة ، ولامحاولات اللهو الفارغة التى بلغت فى إسفافها وسقوطها دركا بعيدا .. تأنف منه بعض الحيوانات .

وكان من نتيجة ذلك إصابات بأمراض عصبية ونفسية أقلها « الاكتئاب » ، وأشدها « الصراع » و« الجنون » الذى تفشى بنسبة كبيرة لم تكن متوافرة قبل انتشار الحضارة المادية الحديثة ! وصاحب ذلك محاولات انتحار ترتفع نسبتها يوما بعد يوم وعاما بعد عام .

٦٦ ـــ وتفسير ذلك أن الغرب يعيش حياة « الضنك » التى قد تتوافر مع توافر أسباب الحياة المادية .. لأنها أمر نفسى داخلى لاعلاقة له بتوافر إمكانات الحياة أو عدم توافرها .

ومن ثم فإن « الضنك » أكثر انتشارا فى مجتمعات الرفاهية التى لهث الغرب للوصول إليها « ماديا » ونسى أنه قد ترك نصف تكوينه إذ أرضى « الأرض » دون « السماء » ، أو أشبع « الجسد » وتغافل عن « الروح » . وصدق رب العالمين : ﴿ ومن أعرضَ عن ذكرِى فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونَحْشُرُه يومَ القيامةِ أعمى ﴾ [1]. هذا فى مقابل المؤمن السعيد المطمئن إلى جنب الله : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ﴾ . [2]

وأى حياة أهدى من حياة بغير ضلال ؟
وأى حياة أسعد من حياة بلا شقاء ؟!

هذه لمحة عن الفرد فى أوربا ، يؤكدها النظرة الفاحصة لمن اتيح له أن يجوس خلال هؤلاء .. وتؤكدها النظرة الحزينة التى تجدها فى عينى المرأة إذا اقتربت من الخمسين لأنها عادة تعيش .. بلا رجل ، ولاابن ، ولابنت ، حتى ولو كانت قد أنجبت فإذا وصلت إلى سن أكبر من ذلك فأفضل أماكنها « مآوى » العجزة وملاجئهم ! [3]

---

(١) طه آية ١٢٤

(٢) طه آية ١٢٣

(٣) وقد صاحب ذلك ظهور مذاهب عدة : ١ ـــ ظهور القومية ٢ ـــ ظهور نظريات أصل الأجناس فى القرن =

أما الأسر :ـــ

٦٧ ـــ فقد قل الزواج إن لم يكن قد ندر ، وفترات الاختبار التى تسبقه والتى تمتد سنين .. هى فترات الزواج « الحقيقى » ، وإن كان فى حقيقته زنا وفحش !

وغالبا ماتنتهى فترات الاختبار بالاكتفاء بها للانتقال إلى اختبار آخر .. أو للعدول عن هذه الفكرة السخيفة « فكرة الزواج » إلى فكرة المعاشرة الحرة الاختيارية بينهما دون « أعباء » الزواج (١)، وحتى إذا اختاروا الزواج .. فهم ينفرون من الأطفال ، وقد بلغ الأمر حد أن أكثرهم إذا رزق بأطفال فإنهم غالبا لايصحبونهم فى فترات « الفسح » فى نهاية الأسابيع حتى يستمتعوا وحدهم بالفسحة دون ضجيج الأولاد ! (٢)

وبرغم التشجيع المستمر ، والميزات المادية التى تعطيها الأنظمة للأسر حتى تقوم

= ١٩ مثل نظرية داروين فى النشوء والترق . ٣ ـــ ظهور روايات تعكس التغييرات الاجتماعية مثل رواية تولستوى الحرب
والسلام عام ١٨٦٤ ، ورواية دستوفسكى (الأخوة كارامازوف) ١٨٧٩ ، والبعث لتولستوى عام ١٨٩٩ ، مدام بوفارى ١٨٥٧ (الرسالة المذكورة ص ٦٧ ـــ ٦٨) . وقد كثرت مدارس الضياع كما يسميها البعض : كالوجودية ومن زعمائها جان بول سارتر ، والرمزية ظهرت فى القرن ١٩ ومن زعمائها بودليرد رامبوا ، والسريالية ـــ من المدارس المتأثرة بفرويد ولكنها تهتم بالشعر ، وأدب التفسخ : وهو أدب يميل إلى التشاؤم والابتذال . وأدب المستحيل : وهو أدب يميل إلى الإلحاد ، والأدب العدمى : وهو أدب أكثر تشاؤما . وأدب الهروب والحلم : وهو أدب يرفض الحقيقة النفسية (راجع رسالة الماجستير للأخ حسين بركات ص ١٧٨ ـــ ١٧٩) .

(١) سألت سائقة « تاكسى » عن حالتها الاجتماعية فقالت : غير متزوجة وعندى ولد ، قلت كيف ؟ قالت : من معاشرة جنسية بغير زواج ، لأننا لانحب مسئوليات الزواج !! .

(٢) نشرت الصحف البريطانية فى عام ١٩٧٧ (١٣٩٧ هـ) أنه وجد ثلاثة أطفال ميتين فى أحد البيوت ، وتبين أنهم ماتوا جوعا نتيجة سفر أبويهم فى أجازة نهاية الأسبوع وتركهم الأطفال حتى لايزعجوهم ، وقد نسى الأبوان ترك طعام للأطفال ، فى الوقت الذى وجد فيه كلبان فى نفس السكنَ أحياء لأن الأبوان .. لم ينسوا أن يتركوا لهما الطعام بينما نسيا طعام أطفالهم !!! .
وفى إحصائية عن بعض البلاد الأوربية (النمسا) أن تناقص عدد السكان (الأصليين) فيها نتيجة البعد عن إنجاب الأطفال . هذا التناقص يؤدى إلى انقراض شعب النمسا خلال خمسين عاما ، والمشكلة عندهم ليست فقط انقراض شعبهم ، إنها مع ذلك من الوريث ؟ وهم يعتقدون أن العرب النازحين إلى هناك (وبعبارة اخرى المسلمين) هم الوريث الأول لهم .. ومن يدرى لعل الله يحقق (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها ...) « سورة الأحزاب » .

على الإنجاب فإن أكثرهم لايزالون معرضين ، حتى إن بلدا أوربيا ـــ فيما علمت ـــ مهدد أن ينتهى شعبه خلال خمسين عاما .. ليرثه الأجانب الوافدون .. وبالأخص من الدول الإسلامية لأن أكثر أبنائها حريصون على الزواج وحريصون على الإنجاب ...!

٦٨ ـــ وداخل الأسرة لاتجد دفء العواطف الأسرية فى الشرق ، ومجرد أن يصل الولد أو البنت سن « البلوغ » فإن أيا منهما يقوم بالانفصال عن الأسرة وإن تلكأ فيه طالبته الأسرة . لقد شكت لى إحدى المسلمات أن أسرتها تلومها لأنها جاوزت الثامنة عشرة ولاتزال تعيش مع الأسرة .

والذى شاع ـــ بكل أسف داخل الأسرة الأوربية لإشاعة « الدفء » هو أشد أنواع الفاحشة « جرما » هو « الزنا بين المحارم » ، وأكثره مايكون بين الأخ وأخته [(١)]، وأقله ـــ حتى الآن ـــ زنى الأب بابنته [(٢)]، وزنا الابن بأمه .. أ

أى إنحدار ذلك الإنحدار ...؟!

إن أكثر الحيوانات تعف عن ذلك ؟!

أما المجتمع :ـــ

٦٩ ـــ فإنه مجموع هؤلاء الأفراد « التعساء » ، ومجموع تلك الأسر المفككة المنحلة ، إضافة إلى « انعدام » العلاقات بين الجيران .. حتى إن الواحد إذا مات لايعرف إلا من رائحته النتنة التى تتصاعد بعد أيام من موته .

وذلك فضلا عن شيوع « الأمراض الجنسية الخطيرة » فى المجتمعات الأوربية نتيجة الزنا واللواط .

وإذا كانت الإحصاءات تدل على أن رجال الدين : ٨٠ ٪ منهم زناة ،

---

(١) الهيرالدتريبسون البريطانية نقلا عن مقال للدكتور / محمد على البار (المدينة العدد ٩٠٩٣ فى ٢٨ / ٢ / ١٤٠٤ هـ) .

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٨٢ ـــ مجلد ١٦ .

٤٠ ٪ منهم شذاذ [١].. فكيف تكون النسبة بين أفراد المجتمع الآخرين ؟ وقد كان نتيجة ذلك كما تدل الإحصاءات :ــ

ــ مليون حالة إجهاض سنويا فى الولايات المتحدة .

ــ مليون حالة إجهاض سنويا فى أوربا « عدا أسبانيا والبرتغال » .

ــ مليون حالة إجهاض سنويا فى أسبانيا والبرتغال « لتحريم الدين الكاثوليكى حبوب منع الحمل ، ولكثرة السياحة هناك » .

ــ ٣ مليون حالة إجهاض سنويا فى أمريكا اللاتينية .

ــ ٦٠٠٫٠٠٠ حالة ولادة من سفاح فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٠٠٫٠٠٠ حالة دون سن الرابعة عشرة !
(٢)
ــ ٨٠ ٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم وقريبا من النسبة زوجات تخن أزواجهن

ــ أما تجارة البغاء ، فرائجة ومنتشرة رغم رواج الزنا واللواط والإباحية ، أمر تعجب له ...

وفى رأى الأوربين فى سبب انتشار البغاء أنه ــ بمعاييرهم المادية ــ أقل تكلفة من الصداقة والمخادنة .. فمايقدمه الصديق لصديقته يفوق تكلفة البغاء ، فضلا عن أن صنفا من الرجال قد لايجد الصديقة بسهولة ، ومن ثم فهو يجد « البغى » بكل سهولة !!

والبغاء لم يعد قاصرا .. على حاملى رخصة البغاء .. إنه أحيانا يمارس من سيدة البيت المحترمة ــ بعلم زوجها ــ لتحسين حال الأسرة أو شراء شيء فى البيت لايتوفر من الدخل الثابت للأسرة !!!

هل هذه مجتمعات ينتظر لها البقاء .. أم أن الهلاك قد اقترب منها أيما اقتراب !

---

(١) المقال المذكور وآخر بالعدد ٦٠٥٨ فى ٢٢ / ١ / ١٤٠٤ هـ والمقال يرجع الإحصاءات إلى مصادرها ، وقد وافق مجلس اللوردات على إباحة الشذوذ الجنسى فى بريطانيا عام ١٩٦٥ .

(٢) راجع ماجاء بالمقاييس السابق الإشارة إليها .

ـــ أما نسبة الجرائم فقد تزايدت بصورة رهيبة ، وفى إحصائية عن الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة : ۱٫۷٥۰٫۰۰۰ جريمة خطيرة كل عام ، وقـــبض على ۱٫٥۰۰٫۰۰۰ طفل مابين ۷ ـــ ۱۷ سنة ، كما وصلت حالات الانتحار ۲۰۰٫۰۰۰ حالة كل عام .. [1]

ثانيا : آثار العلمانية فى المنطقة الإسلامية

۷۰ ـــ انتقلت العلمانية إلى شرقنا الإسلامى .. إما انحدار الماء من القمـــة إلى السفح ، أو انتقالها خلال الأوانى المتسطرقة ، وإما انتقال الجرثومة يحملها جسد صحيح أو مريض ، أو انتقال الجراثيم تنفثها حرب كيماوية رهيبة لاترعى « ضميرا » ولا « إنسانية » والنماذج الأولى نماذج لانتقال العلمانية « تلقائيا » وفقا لسنن الكون والطبيعة ..

والنموذجان الأخيران نماذج لانتقال العلمانية وفقا « للتخطيط » المسبق أو العمد والإصرار المقترنين بالجرائم الكبيرة !

وسوف نقدم نماذج لأفراد « مرضت » ونقلت الجراثيم .. ثم نقدم تحليلا للمجتمعات الإسلامية بعدما أصابتها الجراثيم ، ثم نماذج لبلاد إسلامية ـــ يتهددها الخطر .. بعد أن أصيبت مجتمعاتها بهذه الجراثيم !

۱ ـــ آثار العلمانية فى الأفراد :ـــ

۷۱ ـــ هذا هو النموذج الأول ، نقدمه من خلال بعض لأفراد :

فى تركيا .. مثل ضياء كوك الب ، ومثل مصطفى كمال (الشهير بأتاتورك) وفى مصر .. مثل : رفاعة بك رافع الطهطاوى ، على عبد الرازق ، طه حسين ! منهم من

---

(۱) ويشير أحد الكتاب إلى أثر العلمانية فى الفكر الغربى متمثلا فى :

۱ ـــ نظام الاقتصاد القائم على الربا .

۲ ـــ القانون الوضعى المنفصل عن شرائع الله .

۳ ـــ التعليم اللادينى المتحرر من نفوذ الكنيسة .

٤ ـــ الديمقراطية التى تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة .

راجع سقوط العلمانية ـــ أنور الجندى ص ۱۷ .

حمل العلمانية عن قصد .. قناعة منهم بأنها طريق التقدم ، أو عمالة منهم لحساب أعداء الله .. يأخذون مقابلها المناصب والأموال !

أوحملوها عن غير قصد .. عفوا منهم كما يحمل الجسد الصحيح الجرثومة دون أن يحس أنه يحمل جرثومة ينقلها ليبتلى بها غيره من الأجساد الضعيفة أو قليلة المناعة .. بل لقد كانوا هم الجرثومة التى أمرضت مجتمعاتهم ولنأخذ شيئا من الأمثلة لهذه النماذج « الوطنية » .

ضياء كوك الب :ـــ

٧٢ ــ من أبناء تركيا [1] بلغ حد التأثير فى الجيل التركى الجديد ، **وعين أستاذا أول لعلم الاجتماع بجامعة استنبول عام ١٩١٥ م** « بمواهبه الشخصية » **عين عام ١٩٢٢ رئيسا للجنة التأليف والترجمة ، كان يؤيد مصطفى كمال بقوة وحماس** ، وحمل لواء « علمنة تركيا » فكريا . يقول الأستاذ الندوى ـــ أكرمه الله :ـــ

« إن ضياء كوك دعا بكل قوة وصراحة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، وتكوينها تكوينا قوميا خالصا ، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك على زعمه فى تكوينها وحراستها .

يقول ـــ أى كوك ـــ فى مقالة له : « إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط القديمة ، وكان مؤسسو هذه الحضارة التى نسميها بحضارة البحر الأبيض المتوسط من الأتراك مثل الفينيقيين والرعاة ، لقد كان فى التاريخ عصر طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا ، وفى زمن متأخر جدا رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة ونقلوها إلى

---

(١) ولد بها عام ١٨٧٥ أو ١٨٧٦ (فى دياربكة) ومات فى عام ١٩٢٤ فى الثامنة أو التاسعة والأربعين ، التحق بالمدرسة الثانوية ثم العسكرية ، درس الأدب والرياضيات والتاريخ واللغة الفرنسية والعلوم الشرقية ، وكانت أفكار الثورة الفرنسية التى تسربت . أعجب بهيجل **Haeckel** وبشنر **Buchner** واسبنسر **spencer** ولى بون **Lebon** ، وسافر فى عام ١٨٩٦ إلى قسطنطينية ، التحق بجميعة الاتحاد والترقى وثارت هذه الجماعة عام ١٩٠٦ ضد النظام الجائر بقيادة ضياء ، خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ، أصدر ضياء جريدتين بيام ، **Pècle**
(الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ـــ الندوى ص ٣٩) .

الأوربيين ، وبتحطيم الامبراطوريتين الرومانيتين الغربية والشرقية أحدث الأتراك انقلابا فى تاريخ أوربا ، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية ولنا سهم فيها » .

ثم يقول : « حين تقطع أمة شأوا بعيدا فى نشوئها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضا ، لـما كان الأتراك قبائل رحالة فى آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، ولـما انتهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا فى مساحة الحضارة البيزنطية ، والآن فى طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية هم مصممون على قبول حضارة الغرب » .

ثم يقول : « وإن شعوبا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليهود واليابانيين يشاركون الأوربيين فى حضارة واحدة .»

وعلى ذلك فالدين شىء ، والحضارة شىء آخر ، وينسى الفارق بين طبيعة الدين الإسلامى والدين الـمسيحى فيقول : « ليس الدين اسما لـمجموعة من الـمؤسسات المقدسة والعقائد والتقاليد ، فالـمؤسسات التى لاتحمل قدسا وتـمجيدا دينيا (كالأفكار العلمية التطبيقية والأدوات الصناعية ومثل الجمال) تؤلف نظاما مستقلا يخرج عن نطاق الدين والعلوم الإيجابية : كالرياضيات والعلوم الطبيعية ، وعلم النفس وعلم الحياة ، والاجتماع ، والطرق الصناعية والفنون الجميلة لاتـمت بصلة إلى الدين ، لذلك لايصح أى ارتباط للحضارة بالدين ، ليست هناك حضارة مسيحية ولاحضارة إسلامية ، فكما لايصح أن تسمى الحضارة الغربية حضارة مسنيحية كذلك لايصح أن تسمى الحضارة الشرقية حضارة إسلامية .

ثم أشار إلى سبب نهضة الروس « رغم أنهم شرقيون » « وهذه الحقيقة التاريخية تكفى لإثبات أن الحضارة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم » (١)

« علينا أن نختار إحدى الطريقتين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب » ــ لابد أن نختار أحد الأمرين . (٢)

(١، ٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

ثم لايترك الاختيار إلى من يخاطب بل يمضى ليقول : [1]

« يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا واستقلالنا » كل ذلك بغير إشارة واحدة إلى تميزنا بشيء عن الغرب أو احتفاظنا بشيء غير الحضارة الغربية !!

ويعلق على ذلك صاحب كتاب القومية التركية والحضارة الغربية : « وكان — أى كوك — يتخيل القومية التركية كأساس دولى عالمى ، ويرى فيها عوضا عن الخلافة الإسلامية .. » [2]

ثم يقول : « ومع أن دراساته عن الاجتماع والمدينة الشعبية والتاريخ ليست لها قيمة علمية كبيرة إذا قورنت بمؤلفات علماء تركيا الحاضرة وغيرها ، ولكنه لايستهان بقيمته كزعيم لهذا الاتجاه ومؤسس هذه المدرسة » .

وإن بعض مفاهيمه نسيت أو أغفلت فى تركيا الجديدة ، أو أنها تعتبر اليوم تافهة ولايلاحظ فيها ابتكار وطرافة ، مع أنها كانت تبدو فى عصره جديدة ومبتكرة فذلك لأنها أصبحت الآن حقائق ، ويتجلى من ذلك عمق تأثيره وسعة أفقه ونظره . [3]

مصطفى كمال الشهير « بأتاتورك » :—

نأخذ من كتابات معجبيه [4] فنسجل عليه مايلى :—

٧٣ — يقول عرفان أوركا Irfan Orga « كان قليل الاختلاط فى حياته المدرسية يثور ويهيج بسرعة ، شديد الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس (Sex) كالمغناطيس .

— كان يتسلى بالخمر ويشغل بها نفسه لأنه لايجد ما يسلى نفسه وروحه كالإيمان

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ١٤٢١٣ — ٣١٢٣٠ .

(٤) الذئب الأغبر لارمسترنغ ، أتاتورك لعرفان أوركا ، مذكرات رضا نور (أحد وزراء مصطفى كمال) .

بالله واليوم الآخر ، لأنه كان لايؤمن بهما(!)

ـــ كان يشعر بفرح وسرور عندما يعتدى على الجنس الآخر ويسطو به وكانت هذه طبيعته التى فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة فى تصرفاته .

لم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لايرى أحدا يوازيه ...

(١)

ـــ ويذكر له رضا نور فى مذكراته « حوادث خلقية » نعف عن ذكرها ..

ـــ ويمضى أوركا : « وقد هضم فى شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك الب هضما جيدا ، وقد كافح ضياء كوك الب للتنور والحرية الدينية ، وكان رائد التنور الفكرى الغربى ، وقد تكهن فى سنة ١٩٠٠ م بانقراض الدولة العثمانية واضطراب حبلها ...

وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة المحاكم الدينية الذين هم يشرحون القانون الإسلامى ويفسرونه ، وكان يرى أن تقام المحاكم الحديثة والمحاكم المدنية .

ـــ ويذكر عنه أرمسترنج قصة لها دلالة بعيدة :

ذكر أنه تعرف أثناء حرب تركيا بفتاة أو سيدة تدعى « لطيفة هانم » وأنه حاول خلال المعارك أن يراودها عن نفسها بعد أن نقل مقر قيادته إلى « مخدعها » لكنها تأبت .. فتزوج منها .. ودام زواجه منها شهرا .. أيمكن أن يكون هذا الزواج الذى شرعه رب العباد .. وقد قال الفقهاء فيه أن من شروط صحته « نية التأبيد » .

وهل يمكن أن نستظهر وجود هذه النية « نية التأبيد » « من خلال هذه الوقائع » ؟ أم أننا يمكن أن نطرح السؤال بصيغة أخرى .. هل كانت هناك أصلا « نية الزواج » ؟!

ـــ ويمضى « أوركا » فى تحليل لنفسيته وشخصيته فيقول : « **لقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه الأكبر ، وكان يعتقد من صغره أن لاحاجة إلى الله** (!!) إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة (!)

وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس ، ويضيف أنه كان فى آخر عهده يرفع

(٢) مذكرات رضا نور ـــ نشر ملخص لها فى مجلة المجتمع على حلقات ، وهى تحت الطبع ككتاب .

قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا (!!) ، وكان يرى أن الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذى يخضع للقضاء والقدر ويقول : « هكذا أراد الله » « وهذا الذى قدر لى » وكان يعتقد أن لاوجود للاله والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول : **إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة الإله** ، ومضى يقول :... لذلك لم يمنعه شىء عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشيئا لاحاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو الإله الجديد أى : الحضارة الغربية .. وقد تعلم من تاريخ المرئيات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر .. لذلك لاتخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة » .

وفى موضع آخر :

« وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا شديدا .. وكان يقول .. نحن فى طريق الحضارة والمدنية ويجب أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين من نواحى العالم الإسلامى ماذا يعانون من المصائب والنوازل والدمار ؟ ـــ لماذا ـــ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للانسجام مع هذه الحضارة السامية المشرقة [1]وهذا سبب بقائنا مدة طويلة فى الحضيض ووراء الركب ... وفى موضع ثالث يتحدث عن بعده عن الدين بل رفضه له :

« لم يكن ذلك سرا أن مصطفى كمال رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام ... » ثم يعود لحديث الحضارة : « .. وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس ولهفة ، وكان له دائما أبدا وفيا ، وقد نشر هذه الكلمة « الحضارة » من أقصى البلاد إلى أقصاها ، وعندما يتحدث عن هذه الحضارة تتقد عيناه لمعا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة .

وأما تصوره للحضارة فتدل عليه كلماته ثم أفعاله :ـــ

٧٤ ـــ أما كلماته :

يقول مصطفى كمال لشعبه : « يجب علينا أن نلبس ملابس الشعوب المتحضرة

(١) المرجع السابق : ٢٧ .

الراقية (!) وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة راقية ، ولا نسمح لمن يجلهنا من الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة (!) نريد أن نسير مع التيار والزمن . (١)

وفى مناسبة إلغاء الخلافة « ٢ آذار / مارس ١٩٢٤ » تقيأ قيحا وصديدا فقال :

« إن الامبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام ، إن الإسلام بطبيعته ووضعه (عربى) وتصوراته (عربية) وهو ينظم الحياة من ولادة الإنسان إلى وفاته ، ويصوغها صياغة خاصة « انظر كيف كان يعلم حقيقة الإسلام » ، ويخنق الطموح فى نفوس أتباعه ، ويقيد فيهم روح المقاومة والاقتحام ، والدولة لاتزال فى خطر مادام الإسلام دينها الرسمى » . (٢)

وأخيرا فقد كان يردد :

« أنا تركيا ، هزيمتى هزيمة تركيا .. » (٣) وفى مكان آخر : « انتصرت على العدو وفتحت البلاد هل أستطيع أن أنتصر على الشعب .. » ؟

ففضلا عن كفره وجحوده بالدين .. فقد كان رجعيا فى تعبيره إذ استعمل تعبير لويس السادس عشر : الدولة هى أنا Létat C'wst Moi وكان يتمنى الانتصار على الشعب !!

٧٥ ــ وأما أفعاله :ــ

فقد ذكر مادحوه قبل قادحيه !

١) منع الطربوش ، وإلزام القبعة .. حتى سميت معركته فيها « حرب القبعة

---

(١) المرجع السابق ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

الدموية » (!)

٢) إعدام رجال الطبقة الدينية .

٣) طرد الخليفة وإلغاء الخلافة .

٤)جعل الدولة عَلَمانية .

٥) العمل بالقانون المدنى السويسرى .

٦) العمل بالقانون الإيطالى الجنائى .

٧) العمل بالقانون التجارى الألمانى .

٨) منع التعليم الدينى .

٩) إلغاء الحجاب وفرض السفور وتقرير التعليم .

١٠) إلغاء الحروف العربية وفرض الحروف الاتينية .

١١) منع الآذان بالعربية وفرضه بالتركية ، ذكر مؤلف : « الرجل الصنم » أنه سمع الآذان يوما يردد : « أشهد أن محمدا رسول الله ... فقال كيف يذكر اسم هذا الرجل « يعنى رسول الله ﷺ » خمس مرات في اليوم أكثر مما يذكر اسمه (!!!) ويذكر أن هذا كان سبب تحطيم مئذنة جامع أيا صوفيا وتحويله إلى متحف .

وفى عبارة موجزة « لقد حطم الأساس الدينى ، وغير وجهة نظر الشعب التركى والحكومة التركية » .[١]

٧٦ ــ وفى تقويم سريع لمصطفى كمال ، نقول بعون الله :

أنه أحدث وقتها ردود فعل مختلفة :

ــ فالجاهلون والحمقى والخائنون[٢].. أعجبوا به أيما إعجاب ، وتمثل الإعجاب فى تقليد البعض له أو إعلان الإعجاب بمبادئه ، وتقليد خطواته مع شيء من التنقيح أشرنا إليه عند الحديث عن صناعة الزعماء .

ــ وأعداء الله ... قد سجلوا إعجابهم كذلك وبدأت من بعدها صناعة

---

(١) ارمسترنج فى : Grey Woolp - P. 287 .

(٢) وبلغ الإعجاب حد قبول بعضهم أن يكون طبعة جديدة له .

الزعماء . (١)

ـــ أما المسلمون ... فقد انقسموا فريقين : الغالبية العظمى .. لم تملك غير الدموع تسكبها على الخلافة وتسجل حزنها على ذهابها ، وترجمها البعض ترجمة شعرية أمينة . (٢)

أما الأقلية فلجأت إلى العمل .. فكان فى مقدمتهم إمام ملهم .. أقام جماعة فى

---

(١) وقد بدأت من يومها فى المنطقة الإسلامية صناعة جديدة هى : صناعة الزعماء .. وقد أشار إليها صاحب كتاب لعبة الأمم حين أشار إلى أنهم لو لم يجدوا « ناصرا » لصنعوا « ناصرا » وقد كان المذكور هو الطبعة المقحة لمصطفى كمال وكان لايكتم إعجابه بمصطفى كمال ، أما الطبعة الثانية من مصطفى كمال فقد كان أنور السادات الذى أعلن أكثر من مرة إعجابه وإعجاب أبيه بمصطفى كمال ، كما كان يردد شعار العلمانية التى أكدها فى تركيا مصطفى كمال .. لادين فى السياسة ولاسياسة فى الدين .

(٢) عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... فى كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكى عليك بمجمع سحاح
والشام تسال والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح
ياللرجال لحرة موءودة ... قتلت بغير جريرة وجناح
خلعوا عن الأعناق خير قلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالى دونه ... قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها ... كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... فى كل غدوة جمعة ورواح
إن الغرور سقى الرئيس براحه ... كيف احتيالك فى صريع الراح (*)
نقل الشرائع والعقائد والقرى ... والناس .. نقل كتائب فى الساح
تركته كالشبح المؤله أمة ... لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهمو ... حتى تناول كل غير مباح

* * *

فلتسمعن بكل أرض داعيا ... يدعو إلى الكذاب أو لسجاح (* *)
ولتشهدن بكل أرض فتنة ... فيها يباع الدين بيع سماح
يفتى على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدها الملحاح

(*) براحة أى بخمرة إشارة إلى نشوة الغرور بالانتصار الزائف والراح هى الخمر .

(* *) (الكذاب : هو مسيلمة الذى ادعى النبوة ، وسجاح امرأة فعلت مثله) أمير الشعراء أحمد شوقى .

مقدمة أهدافها « إعادة الخلافة الإسلامية العظمى » .. مرة أخرى ، وأن تحفظ بأن دون ذلك خطوات .. وخطوات .[1]

٧٧ ـــ وأما نهايته ، فقد سجلتها له وثيقة عرفت أخيرا ، لقد كان يريد أن يستخدم سلطته الدستورية فى اختيار خليفة له فاختار السفير البريطانى ليحكم الشعب[2]

---

(١) راجع ماكتبه الأستاذ الندوى تحت عنوان « تأثير أتاتورك فى العالم الإسلامى » وإن اكتفى بتسجيل الشعور الأول .

(٢) نشرت (صنداى تايمز) صفحة من أغرب صفحات أسرار التاريخ الدبلوماسى بعنوان « كيف رفض رجلنا أن يحكم تركيا » ، قالت الصحيفة : « أنه فى نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لباس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية . وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى أولا أن لايجد شخصا يخلفه قادرا على استمرار هذا العمل الذى بدأه فاستدعى السفير (بيرى لورين) السفير البريطانى إلى قصر الرئاسة فى استانبول
أما مادار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما ، وها هو اليوم يكشف النقاب عنه ـــ لأول مرة ـــ على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (السيربييرسون ديكسون) فقد كان بين أوراق (ديكسون) برقية بعث بها (بيرس لورين) إلى اللورد (هاليناكر) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة تاريخية فى التاريخ البريطانى المعاصر على الإطلاق ففيها يروى (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الدكتاتور ، المختصر :

عندما وصلت .. وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحيط به طبيب وممرضتان .. وما أن دخلت حتى نادى الرئيس الطبيب والممرضتين قائلا لهم : إنه سيضرب لهم الجرس إذا احتاج لهم ، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة وقال لى : إنه أرسل فى طلبى لأنه يريد أن يطلب منى طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابى عليه بطريقة قاطعة .

ولقد كانت صداقتى ونصيحتى إليه هى الوحيدة التى كانت ثابتة لاتتغير وكان هذا هو السبب الذى جعله يستشيرنى فى مناسبات متعدده .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا فى مجلس الوزراء التركى . ولقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته ، وقد كانت أخلص رغبة له هو أن أخلفه فى منصبه الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلى لمثل هذا الاقتراح . وبعد بضع دقائق من التفكير الصامت قلت لفخامته : إن جوابى هو أنى عاجز تماما عن أن أجد الكلمات التى تعبر عن مشاعرى بصدق أو بما فيه الكفاية ، وبالفعل فقد كانت مشاعرى فى هذه اللحظة مهزوزة بأعمق مما أستطيع أن أذكر أننى أحسست به من قبل أى وقت آخر من حياتى ، فبهذا الاقتراح أطال فخامته لونا فريدا من الثناء والمديح لالشخصى أنا فحسب ، وإنما للسياسة الخارجية لحكومة صاحب الجلالة ... ولكننى كنت أشك تماما فيما إذا كانت أفضل ملكاتى تتركز فى المقدرة الادراية كما أن مسئوليات السفير البريطانى تختلف تماما عن مسئوليات رئيس الجمهورية التركى ، وأضفت بأن قدراتى وتجربتى تليق أكثر ما تليق باستمرارى فى صفتى الثانية ، وعلى ذلك فإننى لاأجد سوى أن أعتذر آسفا ولكن بحزم ...
(راجع كتاب ـــ الرجل الصنم ـــ وقد أشار إلى تفصيلات أخرى ...) .

التركى المسلم !! .

رفاعة بك الطهطاوى :ــ

٧٨ ــ لايزال هذا الاسم يقرن « بحرية الفكر » فما هى القصة ؟

رجل من صعيد مصر .. الذى يلتزم الكثير من التقاليد وهو فضلا عن ذلك .. من علماء الأزهر الشريف .

كان ابتعاثه فى أول بعثة ذهبت فى عهد محمد على إلى أوربا ، وقد طلب الأخير إلى شيخ الجامع الأزهر « الشيخ العطار » اختيار إمام (!!) للدفعة فوقع اختياره على الشيخ الطهطاوى ، وقد كان يعامل ماليا معاملة « اليوزباشى » (١) وصحبه مدير البعثة الفرنسى مسيوجومار والمستشرق البارون دى سامى .

وتعلم رفاعة اللغة الفرنسية ثم درس التاريخ والجغرافيا والفسلفة والآداب الفرنسية ، وقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ، ومونتسكيو وراسين ، كما كان يجتمع بطائفة من العلماء والمستشرقين .

ابتعث إلى باريس بين عام ١٨٢٦ ــ ١٨٣١ وعاد فألف :

* * مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية :
* * المرشد الأمين للبنات والبنين .
* * تلخيص الإبريز فى وصف باريز « يقصد باريس » عاصمة فرنسا .

وكان من آرائه التى حملها :

١) جميع مايجب على المسلم للمسلم يجب على أعضاء الوطن « تعبير جديد » ، من حقوق بعضهم على بعض ، لما بينهم من الحقوق الوطنية ، فضلا عن الحقوق الدينية ، فيجب أدبا (!) لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه . (٢)

---

(١) رتبة عسكرية تساوى « النقيب » حاليا .

(٢) مناهج الألباب .. ص ٦٦ . مصر ١٢٨٦ هـ .

٢) ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنساويين ، وهى من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية .. ومايسمونه بالحرية عندهم ويرغبون فيه هو عين مايطلق عندنا العدل والإنصاف ، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو التساوى فى الأحكام والقوانين ، فهذه البلاد حرية بقول الشاعر :

وقد ملأ العدل أقطارها وفيها توالى الصفا والوفا (١)

٣) ويصل إلى أن مدنية الغرب تقدم على نفس أسس مدنية الدين ، إن صح التعبير .

لأن من زاول علم أصول الفقه ، وفقه مااشتمل عليه من الضوابط والقواعد جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الأمم المتمدنة إليها وجعلوها أساسا لوضع قوانينهم « قوانين تمدنهم » وأحكامهم قلّ أن تخرج عن تلك الأصول التى بنيت عليها الأصول الفقهية ، التى عليها مدار المعاملات فيما سمى عندنا بعلم أصول الفقه ، يشبه مايسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهو عبارة عن قواعد عقلية تحسينية وتقبيحية ، يؤسسون عليها أحكامهم المدنية ، ومانسميه بالعدل والإحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية ، ومايتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والتوسع بحمايته ، ممايفضلون به على سائر الأمم فى القوة والمنعة يسمونه محبة الوطن . (٢)

٤) وبالجملة (فالتياترو) (أى المسرح) عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل . (٣)

٥) وأن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لايأتى من كشفهن أو سترهن (!!) بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك فى المحبة بين الزوجين (٤)

٦) أن الرقص عندهم فن من الفنون ... فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء ودفع قوى بعضها إلى بعض ، فليس كل قوى يعرف المصارعة .. وما كل راقص

---

(١) مناهج الألباب .. ص ١٠٥ .

(٢ ، ٣ ، ٤) تلخيص الإبريز ص ١٦٦ .

يقدر على دقائق حركات الأعضاء ، وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يعرف بالتأمل ، ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة (الأناقة والفتوة) ، بخلاف الرقص فى أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات ، أما فى باريس فإنه نمط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبدا ! ، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا سواء كان يعرفها أم لا . (١)

٧٩ ــ وقد علق على ذلك أحد الكتاب : (٢)

يزعم فريق من الناس أنهم ملائكة مطهرون ، ويخاصر أحدهم المرأة الناعمة الحسناء بيسراه وأصابع يمناه تضغط أنامل يسراها ، وصدره على نهدها ، وعيناه تناجيان عينيها ، وشذى عطرها يسكره ، وبخار لهيبه يحرقها ، والساق تلتف بالساق حينا ويتجاوزها حينا آخر ، والقدان يمسيان ذات اليمن ، ويموجان ذات الشمال ، كل ذلك ودقات « الجازباند » هائجة تثير من الغرائز وتفور بها كما يفور التنور ، والأضواء تسطع تارة لتبهر الأبصار وتضؤل أخرى لتوحى إلى المتخاصرين أشجان الظلام وصاحبنا لحم ودم ، وصاحبتنا لحم ودم ثم يزعم هو و تزعم هى أنهما يفعلان طلبا للرياضة البدنية الطاهرة ، وتنشيطا للدورة الدموية الراكدة ، كما يمشى الجندي على أنغام الموسيقى ، وكما يلاعب الرجل صاحب كرة القدم .

٨٠ ــ وفى تقييم سريع لرفاعة رافع الطهطاوى نقول بعون الله :

إنه فيما يبدو لنا ــ لم يكن عامدا إلى العلمانية عالمها بها ، وإنما حدث لديه « خلط » و« خبط » نتيجة الانتقال من « الانغلاق » إلى « الانفتاح » فأفلت منه الزمام .. فجعل حقوق الوطنية كحقوق المسلم على المسلم .. مع اختلاف النبعين اختلافا بينا ... اختلاف الأرض عن السماء ! وخلط الحرية التى قيل إنها تعنى الانطلاق من كل قيد حتى قيد الدين بالعدل والانصاف المستمد من الله العدل فى كتابه العدل !

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٢) محمد توفيق دياب (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ٢ ص ١٩٧) .

وخلط كذلك بين أصول الفقه التى تقوم عليها الاجتهادات الفقهية التى غايتها بيان حكم الله فى أمر من الأمور ، خلط بينها وبين الأسس التى تقوم عليها قوانينهم وهى أسس وضعية لاتخلو من الظلم والهوى والباطل والقصور ! صورة من النبع الذى استقت منه !

ثم يخبط بعد ذلك فى حديثه عن « التياترو » « المسرح » ، وحديثه عن مصدر العفة فى النساء ، وحديثه عن الرقص الذى تتلاصق فيه الأجساد وتختلط الأنفاس وترقص حوله الشياطين ... فينفى عن هذا اللون من الرقص عهر ...

وقد قسونا على الرجل فى غير هذا المكان .. (١) لكنا نحسبه من « الجاهلين » والله يغفر لنا وله ، آمين .

على عبد الرازق :ـــ

٨١ ـــ أحد علماء الأزهر ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده (٢) كان يعمل قاضيا شرعيا ، أخرج كتابه « الإسلام وأصول الحكم » غداة إلغاء الخلافة ، قيل إن المندوب السامى البريطانى كان يسانده ، ولذا وجه إليه فاتحة الكتاب ، ولاذ به من إيذاء المؤذين ، وقيل إن ذلك كان فى مواجهة الحملة التى قادها الأزهر بتشجيع من ملك البلاد (٣) الذى كان يشرئب لتكون إليه الخلافة بعد إلغائها فى تركيا وطرد خليفتها .

وأيا كانت الظروف والأسباب فإننا نترك لكلمات الرجل الحكم عليه :ـــ

أ) أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعا من الدين فى شيء ووصفها بأنها « خطط دنيوية صرفة ، لاشأن للدين بها ، فهو ـــ أى

---

(١) الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك .

(٢) يقول : H.R. Gibb وقد بدأ تلاميذ الشيخ محمد عبده المخلصون حتى فى حياته يظهرون بمظهر واضح صريح ، وقد كان هو نفسه فى مادة العقيدة يعارض قبول كل شيء دون مناقشة ، أى يعارض (التقليد) كما يقال فى الإسلام ، وهذا الآن يعتبر لبنة فى بناء الحركة المتميزة أو خشية الخلاص فى حركة التحرر العلمانية . (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ص ٧٢) .

وفى مكان آخر « إن تلامذته الحقيقيين يمتزجون بالصفوف التى أنشئت إنشاء أوروبيا وينضمون للحلقات العلمانية (الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ص ٨٤) .

(٣) الملك فؤاد الأول .

الدين — لم يعرفها ولم ينكرها ولاأمر بها ولانهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسية » . (١)

ب) اتبع طريقة « التساؤل لإثارة الشك أو التشكيك .. فكان منها : هل جمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والملك ، أم انحصرت كل مهمته فى الرسالة ؟ .. ثم يمضى : لايهولنك البحث فى أن الرسول ﷺ كان ملكا أم لا ، ولاتحسبن أن ذلك البحث ذو خطر فى الدين قد يخشى شره على إيمان الباحث ، فالأمر إن فطنت إليه أهون من أن يخرج مؤمنا من حظيرة الإيمان ، بل أهون من أن يزحزح المتقى من حظيرة التقوى .» (٢)

جـ) إذا ترجح عند بعض الناظرين اعتبار تلك الأمثلة ، واطمأن إلى الحكم بأنه ﷺ كان رسولا وملكا ، فسوف يعترضه عندئذ بحث آخر جدير بالتفكير فهل كان تأسيسه ﷺ للمملكة الإسلامية وتصرفه فى ذلك جانب شيئا خارجا عن حدود رسالته ﷺ ، أم كان جزءا مما بعثه الله له وأوصى به إليه ؟

د) ثم يعود إلى أسلوب « لبس الحق بالباطل » فيقول : « ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ، منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال تلك ولاية هداية من الله وإرشاد إليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية ، وهذه زعامة سياسية ، ويابعد مابين السياسة والدين » (٣)

هـ) ثم يعود للتساؤل المشير إلى الشك أو التشكيك :

« هل كان له ﷺ صفة غير صفة الرسالة بها يقال أنه أسس فعلا أو شرع فى تأسيس وحدة سياسية أم لا ؟ وهل كانت زعامة النبىّ ﷺ فى قومه زعامة رسالة أم

---

(١) ص ١٨٢ من المرجع المذكور — نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت — الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

(٢) المرجع المذكور ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٧ .

زعامة ملك ؟! »

وهل كانت مظاهر الولاية التى تراها أحيانا فى سيرة النبى ﷺ مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رياسة دينية ؟

وهل كانت الوحدة التى قام على رأسها النبى عليه الصلاة والسلام وحدة حكومة ودولة ، أم وحدة دينية صرفة لاسياسية ؟ وأخيرا هل كان ﷺ رسولا فقط أم كان ملكا ورسولا ؟ (١)

و) ويحاول الإجابة بعدما أشار :

« لعلك الآن اهتديت إلى ماكنت تسأل عنه قبلا ، من خلو العصر النبوى من مظاهر الحكم وأغراض الدولة ، وعرفت كيف لم يكن هناك ترتيب حكومى ، ولم يكن ثمة ولاة ولاقضاة ولاديوان ، ولعل ظلام تلك الحيرة التى صادمتك قد استحال نورا ، وصارت النار عليك بردا وسلاما » .

وأخيرا يكشف الأوراق فيصرح : « لاشىء فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى فى علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق (٢) الذى ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ماأنتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت عليه تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم » .

٨٢ ــ وفى تقويم سريع :

حمل على عبد الرازق بطريقة التساؤل والتشكيك فكرة فصل الدين عن السياسة ذلك الفكر الذى تردد من قبل على ألسنة دعاة العلمانية فى الغرب ، وراح يدعم رأيه بأمور من السيرة يلتوى فيها التواء .. ولم يقدم دليلا واحدا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ...

ــ وفى رد سريع على : على عبد الرازق نقول بعون الله :

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) يقصد نظام الخلافة (!!!) كما هو واضح من السياق .

لقد كان تعريف الخلافة التى يحاول إبعادها عن الدين « خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » ، والبعض يجعل العبارة الأخيرة وسياسة الدنيا به » وهى مفهومة بالضرورة من السياق .

ومعنى ذلك أن سياسة الدنيا قسم لاقسيم ، فسياسة الدنيا لاتكون بغير الدين .. ومن ثم فلا فصل بينها وبين الدين ، والدولة والحكومة والتشريع وغير ذلك من وظائف الدولة مسخرة فى حراسة الدين ، وفى سياسة الدنيا بهذا الدين ، أيحتاج ذلك القول بعد ذلك إلى بيان .؟!

ــ ونعرض بعد ذلك عن البحث وراء النوايا ...

هل كان على عبد الرازق مسخرا للاستعمار البريطانى الجاثم على أرض مصر ، والذى كانت دولته العظمى تقف بالدرجة الأولى وراء إلغاء الخلافة فيما تمثل بشروط كبرزون وزير خارجيتها ؟

أم كان مارده على عبد الرازق « زلة عالم » سقط فيها تأثرا بالفكر الوافد .. ؟

ــ بعبارة أخرى وعلى طريقته :

هل ارتكب ماارتكبه عامدا عالما .. أم ارتكبه جاهلا غير عامد ؟

وهل يقبل من مثله فى ثقافته ، ومنصبه ادعاء الجهل ؟ وادعاء العفو .. ؟

وأخيرا .. هل صح أنه عاد عما كتب ، وإن لم تنشر تلك الأوبة وهذه التوبة .. ؟!

ــ أسئلة نعرض عنها مكتفين بما سجلناه موضوعيا من أنه حمل ــ إن عمدا وإن جهلا ــ فكر العلمانية الفاصلة للدين عن الدولة أو للدين عن السياسة ــ والله أعلم .

وأخيرا .. نختم بطه حسين :ــ

٨٣ ــ الذى ثار حوله ماقيل من محاولة « هدم الشوامخ » !

ونأخذ طه حسين من لسانه :

أ) « السبيل إلى ذلك ليست فى الكلام يرسل إرسالا ، ولافى المظاهر الكاذبة

والأوضاع الملفقة ، وإنما هى يعنى الطريق ـــ واضحة بينة ـــ مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهى واحدة فذة ليس لها تعدد : وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ومايحب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب ومن رعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع »

ب) وفى حديثه « عن الأم التى أرضعته » يقول :

« كل شىء فى فرنسا يعجبنى ويرضينى ، خير فرنسا وشرها حلو فرنسا ومرها ، نعيم فرنسا وبؤسها ، كل ذلك يروقنى ويلذنى وتطمئن إليه نفس اطمئنانا غريبا ، إنى أحسب أن نفسى تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار (!!)

جـ) وفى حديثه عن أحد أساتذته « كازانوفا » :

« عرفته أستاذا فى (الكوليج دى فرانس) ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجابا لم أعرف له حد ، كان يفسر القرآن (!) وكنت حديث العهد بباريس كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين ، ولكن لم أكن أقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا فى إصابة وتوفيق لألفاظ القرآن ومعانيه ، والكشف عن أغراضه وأسراره ، فلم أكد أجلس إلى كازانوفا حتى تغير رأيى ، أو قل حتى ذهب رأيى كله ، وماهى إلا دروس سمعتها منه حتى استيقنت أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن وأمهر فى تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله (!!)

فتنت بهذا الرجل (!) لا لأنه كان عالـما صادقا (!) ولا لأن منهجه فى البحث كان منهجا دقيقا بل لهذا ولشىء آخر خيرا من هذا ، كان حرا خصبا رفيعا لايتعصب لرأى ولايتأثر بهذه العواطف المنكرة التى تفسد على الناس علمهم وأدبهم وفنهم وحياتهم العقلية والشعورية بوجه عام .

كان « كازانوفا » مسيحيا شديد الإيمان بمسيحيته يذهب فيها إلى حد التعصب

ولكنه كان إذا دخل غرفة الدرس فى « الكوليج دى فرانس » نسى من المسيحية واليهودية والإسلام كل شيء إلا أن لها نصوصا يجب أن تخضع للبحث اللغوى، كما تخضع المادة الصماء يتناولونها فى معاملهم بما يشاؤون من ألوان البحث والإمتحان (!) نعم لم يكن مسيحيا ولايهوديا ولامسلما حين كان يعرض لنص من النصوص القرآنية يدرس لفظه ويكشف عن معناه » (١)

د) وفى مكان آخر يردد دعوة سلفه التركى ضياء كوك :

« إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط » (٢)

« إن من السخف الذى ليس بعده سخف واعتبار مصر جزءا من الشرق، اعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » . (٣)

هـ) ويدعو دعوة صريحة :

« أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب ، وأن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها . (٤)

٨٤ ــ وفى تقويم سريع لطه حسين نقول :

إن نشأته التى كتب عنها فى الأيام وماتعرض له من بؤس فى طفولته ، وماتعرض له فى صباه وشبابه إبان دراسته فى الأزهر مع تقدير فقدانه لبصره ... كل ذلك جعله ينفر من مجتمعه الأصلى ، فلما انتقل إلى المجتمع الفرنسى ، ووجد منه عطفا وتعاطفا حقيقا أو مصطنعا ، عفويا أو مخططا ... وأحيط بالمستشرقين من أساتذة يعرضون ماعندهم عرضا علميا شيقا يأخذ بالألباب ،

---

(١) طه حسين ، حياته وفكره فى ميزان الإسلام ــ أنور الجندى ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٢،٣،٤) مستقبل الثقافة ص ٤١ ــ ٤٤ .

ثم أحيط بحنان الأسرة التى زوجته إحدى بناتها ، وهو بعد فى مصر ربما لم يجد من يقبل به ... ثم اللقب الذى حظى به من السوربون « دكتور » .

كل هذه الظروف وغيرها وراء التحول النفسى الكبير ، الذى صاحبه أو أعقبه تحول عقلى كذلك .. دفع طه حسين أن يحب فى فرنسا حتى بؤسها ومرها وشرها ، وجعل نفسه تسبق القطار إلى باريس حين يرتادها !
وجعله يفضل « كازانوفا » على الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله !
مع أن الأول فى اعترافه « مسيحى متعصب » .. والآخرون مسلمون أيا كانت درجة إسلامهم !

فطه حسين وقع فيما يخالف الفطرة .. أن يحب فرنسا أكثر من وطنه ، وأن يحب قومها أكثر من قومه ... على النحو الذى قدمنا ، والحكمة ضالة المؤمن :

بلدى وإن جارت على عزيزة ... وأهلى وإن ضنوا على كرام

فإذا أضفنا للفطرة الدين وهو كذلك فطرة ، فالبلد مسلم وأهل القرآن مسلمون .. أما الآخرون فقد وصفهم هو بأنهم « متعصبون » !

* * * *

٢ ــ آثار العلمانية فى المجتمعات الإسلامية :

٨٥ ــ لاجرم أن المخططين لنقل العلمانية .. بحثوا علميا عن وسائل النقل السريعة والمؤثرة ..

فكان اهتمامهم بالتعليم

وكان اهتمامهم بالإعلام

وكان اهتمامهم بإقصاء الحكم عن الدين

وسوف ننظر فى هذه الثلاثة ، ثم ننظر فى آثر العلمانية فى الأخلاق والتقاليد ! .

أ ـ علمنة التعليم :

٨٦ ــ لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتعليم ، ولكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليها جميعا أن التعليم هو الجهد الذى يقوم به آباء الشعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها .

إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ ، القوى الروحية التى تتصل بفطرية الحياة ، وتربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام .

إن جون ديوى John Dewey الذى كان تأثيره فى نظام التربية الأمريكى أكبر من تأثير كل رجل فى هذا العصر ، يقول فى كتابه « الديموقراطية والمعارف » Democracy and education إن الأمة إنما تعيش بالتجديد ، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم فى قوالب عقائدها ، ومناهج حياتها .

ويقول البروفسور كلارك Prof Clark : مهما قيل فى تفسير المعارف فمما لامحيص عنه أنه سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها ، وعليها تقوم حياة الأمة وجهادها فى سبيل تخليدها ، ونقلها إلى الأجيال القادمة لذلك ليس من المعقول وليس من الجائز أن تستورد أمة شخصيتها ورسالتها ، ولها عقائدها ومناهج حياتها ، ولها طبيعتها ونفسيتها ، ولها تاريخها وماضيها ، ولها محيطها الخاص وظروفها الخاصة ، ليس من المعقول أن نستورد نظاما تعليميا من الخارج ، ولا أن نكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال وصياغة العقول إلى أناس مهما بلغوا من البراعة فى تدريس مواد تعليمية ، وإتقان اللغات والفنون لايؤمنون بهذه الأسس والعقائد ولايتحمسون لشرحها وتعضيدها ، يقول الأستاذ الأمريكى Dr . J.B. Conanr فى كتابه Education And Liberty إن عملية التعليم ليست عملية تعاط وبيع وشراء وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم

الإنجليزية أو الأوربية إلى بلادنا .
« هذا مع ملاحظة تقارب البلدين : دينا ولغة وحضارة !! » .

ويقول عالم سوفيتى كبير (فى نظرهم) : « إن العلم الروسى ليس قسما من أقسام العلم العالمى ، يشغل فى البلاد السوفيتية إنه قسم منفصل بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف فإن سمة العلم السوفيتى أنه قام على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لاتزال فى حاجة إلى أساس ، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المثالية التى قدمها مركس وانجلز ولينين وستالين ، إننا نريد أن نخوض (وفى أيدينا هذه الفسلفة) فى معترك العلم الطبيعى ونصارع جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا الماركسية بكل عزم وقوة . »(١)

وفى تعبير آخر :
« إن التعليم هو الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كيف يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أى مادة كيمائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب » . (٢)

وفى مكان آخر : « إياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » . (٣)

ثم يقول : « يالبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة فى التاريخ .» (٤)

ويقول « جب » :
« التعليم أكبر العوامل الصحيحة التى تعمل للاستغراب ، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ماتدل عليه ، ولاتستطيع الحكم على مدى الاستغراب فى العالم الإسلامى إلا بمقدار دراسة الفكر الغربى والمبادىء والنظم الغربية ، إن إدخال طرائق جديدة فى الفكر فى البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاما جديدا فى

(١) نقلا عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ونقلا عن : From Hitter to Britber .
(٢،٣،٤) نقلا عن الشاعر الإسلامى أكبر (الاله آبادى) راجع الصراع بى الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

التربية من عهد الطفولة فى المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العالية .. فقد انتشر فى منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس فى معظم البلاد الإسلامية ولاسيما تركيا وسوريا ومصر ، يرجع غالبا إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة .. هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التى جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربى فصاروا فى مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التى فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نُفذت هذه الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلمانى تحت إشراف الإنجليز فى مصر والهند .» .

ــ ويقول اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى (وهو من أخطر من حكموا مصر إبان فترة احتلالها المشئوم) :

« إن التعليم الوطنى عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ! والتى كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا فى طريق أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون فى هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى ولايصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة الخطر .

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى **إصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار** والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى » . (١) .

ــ ويقول عميد المبشرين زويمر فى (مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م ــ ١٣٥٤ هـ) :

(١) تقرير لورد كرومر لسنة ١٩٠٦ الفقرة ٣ ص ٥ الاتجاهات الوطنية د / محمد محمد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

« لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتم نشئا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ولايريد أن يعرفها .. وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية . » .[١]

ـــ ونختم هذه المقتطفات بقول « عميد » الأدب العربى : وقد تولى يوما منصب وزير التعليم : « التعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، **وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضى على النحو الأوربى الخالص** ، مافى ذلك شك ولانزاع ، نحن نُكَوِّن أبناءنا فى **مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لاتشوبه شائبة** »[٢].

ثم يمضى : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » .[٣]

ويختم : « ..أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها ومايكره ، وما يحمد منها ومايعاب(!!)[٤] « وأن نشعر الأوربى بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها » ...[٥].

٨٧ ـــ وبعد هذه النصوص نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن القائمين على تنفيذ علمنة المنطقة الإسلامية أدركوا خطر التعليم إنه هو الذى يشكل النماذج الجديدة التى إليها مقاليد البلاد ، فإن أردناها علمانية فليكن التعليم علمانيا .

(٢) أن علمنة التعليم سارت على ساقين :

أ ـــ إحداهما تقضى على التعليم الدينى وتكتم أنفاسه بسبيلين :

---

(١) أساليب الغزو الفكرى ص ٦٢ .

(٢ ، ٣ ، ٤) : مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ .

(٥) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ .

التطويق من الخارج ، والتطوير من الداخل .

أما التطويق من الخارج : فلم تقتصر فقط على الترحيب بالتعليم غير الدينى ، بل اعتمدت على الازدراء بالتعليم الدينى ، والازدراء لمعلمه وطالبه بالكلمة الخبيثة ، والكاريكاتير الخبيث ، والتمثيلية والمسرحية والفيلم ، كل ذلك استهزاء وسخرية حتى يبعد الناس عنه ، ومن ناحية أخرى اعتمدوا على وسيلة عملية وهي قفل باب الوظائف اللامعة أمام خريج الجامعة أو الكلية والمعهد الدينى ، وقصر وظائف الخريج على : التدريس أو الوعظ أو المأذونية وخفض رواتب هؤلاء بما يجعلهم دون خريج الجامعة غير الدينية بمراحل . (١)

وأما التطوير من الداخل : فقد نصح به كرومر عام ١٩٠٦ كوسيلة للتخلص من (جمود الأزهر وتعصبه ونفذ عام ١٩٦١ م بإصدار قانون تطوير الأزهر . وقد كان الهدف خبيثا بإزالة (التركيز) الذى كانت تتميز به الدراسات الأزهرية ، وكانت تحافظ به على التراث القديم ، ففضلا عن المناهج والبرامج (الهشة) فقد ضار إلى جوار الكليات الثلاث التقليدية أضعافها من التى تحمل اسم الأزهر وليس لها من دراستها إلا قشور القشور ! وبذا جرى تمييع هذا اللون من الدراسة الدينية .

ب ـــ أما الثانية : فكانت نشر التعليم العلمانى وتشجيعه فى مراحله المختلفة وبمناهجه المختلفة ، وساعد على ذلك :ـــ

* إضفاء إهتمام الدولة على هذا اللون من التعليم ، وإفساح المجال أمام خريجيه

---

(١) ف أوائل القرن العشرين (إلى ثلثه) كان راتب خريج الجامعة غير الإسلامية يزيد على خريج الجامعة الإسلامية أربعة أضعاف (!!) فبينما كان خريج الأزهر يتقاضى (٣ جنيهات) كان خريج الجامعة المصرية يتقاضى اثنى عشر جنيها ! راجع كتيبا تحت عنوان المشايخ والاستعمار ـــ مكتبة المنار ـــ الزرقاء . الأردن ومن أمثلة ماساقه الكتيب المذكور مانقله عن مجلة (كانت تملكها راقصة) من سخرية بشخصية الشيخ مخلوف وذلك إثر إقالة العالم الجليل حسنين محمد مخلوف من منصبه كذلك ماساقه عن جريدة يومية من سخرية بالعالم الجليل الشيخ محمد الغزالى إثر هجومه على الميثاق الوطنى عام ١٩٦١ إذ صورته الجريدة راكبا حمارا وقد وقعت عمامته على الأرض بتأثير « جاذبية نيوتن » والشيخ يصيح « نرفض القوانين الأوربية » ص ٢٠ ، ٢١ من الكتيب المذكور .

لتولى الوظائف العليا والـمناصب الهامة .

* ابتعاث البعثات من خريجى هذا اللون من التعليم لحمل الألقاب العلمية الرفيعة : الـماجستير ، الدكتوراه ، وإضفاء الهيبة والاحترام على أصحابها ... مع مايجرى معهم فى الخارج من علمنة شديدة رأينا فيما مضى نماذج لها !

* فتح الـمدارس الأجنبية التى اهتمت باستيعاب أبناء « الطبقة الراقية » (الأرستقراطية) يعلمونهم كيف يلوون لسانهم باللغة الأجنبية ، ويتباهون بها ، ويعزفون عن لغة القرآن ، بل وينفرون منها ، ويتعلمون كل ماهو « غربى » من التقاليد والأخلاق والـمثل والسلوك !.

وهذه الطبقة هى التى كان إليها الإمساك بقيادة البلاد .

* إجراء الاختلاط .. بدءا بالـمدارس الأجنبية التى تشملها حماية خاصة ، ثم تدرجا من أعلى بالنسبة للتعليم الوطنى فى الجامعات ثم نزولا إلى الـمدارس الابتدائية .. وأخيرا صعودا إلى التعليم المتوسط بل والتعليم الثانوى الذى تكون فيه سن الـمراهقة الخطيرة . [1]

* ولابد أن تتلو خطوة « ثنائية التعليم » دعوة إلى « وحدة التعليم » تـماما كالدعوة التى سبقت إلغاء الـمحاكم الشرعية فى مصر إذ كانت تشكو من ثنائية جهات التقاضى !

وعندما تروج هذه الدعوة فإنها لابد أن تكون لصالح التعليم العلمانى الذى يمسك خريجوه بمراكز القيادة التعليمية وغير التعليمية ! والله المستعان !

---

(١) وقد جرى التقليل من خطورة الاختلاط : « وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا ، إن خروج الفتيات فى صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التى يستطيع الآباء تقبلها فى الوقت المناسب على أى حال باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمى للمراهق ..! وفى كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما فى بعض الآحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعى ... !! فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية .. هذه ليست أمورا شائنة .. !! (أساليب الغزو الفكرى ـــ للمؤلف بالاشتراك ، فصل العلمانية) .

٨٨ ـــ **وهكذا نجد « علمانية التعليم » قد أدت حتى الآن :**

(أ) تقلص حجم التعليم الدينى ، وتقلص نفوذ خريجيه ، وإبعادهم عن مراكز التأثير ومراكز صنع القرار ، بل وعن المراكز التوجيهية العامة .

ب) ازدياد حجم التعليم العلمانى ، وانتشار آفاته فى الداخل والخارج وأهمية خريجيه فى مواقع التأثير والتوجيه وصنع القرار !.

ج) تصدر حملة الدكتوراة وبالذات الواردة من الخارج فى صدارة المجتمع لمعانا وأهمية بما يجعلهم موضع القدوة بعد أن صاروا موضع التأثير ! .

والغريب : أن بعضهم يحمل شهادات كتب عليها « لاتصلح للعمل بها بالولايات المتحدة الأمريكية » . لأنه كان من المهم أن يتصدرنا « الجهلة » الذين يحملون هذه الألقاب « زورا » فيردوا الجميل لأصحابها ومانحيها فى المناسبات المختلفة .

والأغرب من ذلك اشتراط ترددهم على الوطن الأم (من الناحية التعليمية) مرة كل خمس سنوات .. ليستمر « الرضاع » بغير فطام !!
هذا شيء مما ينبغى أن يقال حول « علمنة التعليم »
فلننظر ماذا فعلوا فى الإعلام !....

علمنة التعليم (تلخيص)

(١) القضاء على التعليم الدينى

أ ــ التطويق من الخارج

الازدراء بالتعليم الدينى

ازدراء معلميه وطلابه

قفل الوظائف اللامعة فى وجه خريجيه

خفض رواتبهم

ب ــ التطوير من الداخل

النتائج : ــ

تقليص التعليم الدينى

ازدياد التعليم العلمانى

(٢) نشر التعليم العلمانى

ــ اهتمام الدولة به

ــ الابتعاث

ــ المدارس الأجنبية

ــ الاختلاط

ب ـ علمنة الإعـلام :

٨٩ ــ لكن كان للتعليم خطورته من ناحية « تكوينه » و « تشكيله » لعقل المستقبل وقلبه ... فقد صار ــ للإعلام ــ بوسائله المختلفة ــ خطورته وتأثيره ... على عقل اليوم وقلبه مع مشاركته فى صياغة عقل الغد وقلبه ..

ولئن كان التعليم يمتد إلى قطاع « الطلبة » ، فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات ... ماكان منها متعلما وماكان غير متعلم ، ماكان منها قارئا وما كان غير قارىء ، بل ماكان منها راغبا وما كان غير راغب ، ليشارك بكل الإمكانات والحواس على صياغة « الرأى العام » صياغة خاصة يتقبل معها العلمانية ... وما هو أكثر من العلمانية ..

ــ ولقد كان من أوائل وسائل الإعلام الصحف ، ولازال لها خطرها ، ومعها المجلات .

ــ لكن الإذاعة تخاطب مساحة من الناس أوسع على اختلاف ثقافتهم واختلاف اهتماماتهم .

ــ « والتلفاز » من الوسائل الخطيرة التى غزت كل البيوت تقريبا .. لتنقل إلى الناس فى داخل بيوتهم مايرغبون ومالايرغبون ، بغير استطاعة منهم تجنب هذه الوسيلة أو توقيف بعض برامجها ! وباعتماد على حاستين خطيرتين فى وقت واحد : السمع والبصر ... ليتخللاهما إلى الفؤاد ! (ولتصغى إليه أفئدةُ الذينَ لايؤمنونَ بالآخرةِ وليرضَوهُ وليقترفُوا ماهم مقترفون) .[1]

ــ وتشارك التليفزيون « السينما » مع تأثير أشد ..

ــ وأخطر من هؤلاء .. « الفديو » الذى صار بعيدا عن كل رقابة ، وصارت تجارة أفلامه من أخطر التجارات ... وغزا بيوت المترفين يجلسون إليه الساعات ..

يفسدون أذواقهم ، ويفسدون قلوبهم ، ويفسدون عقولهم ...

وأخطر مافيه أنه يهون « الحرام » ويجرىء عليه :

---

(١) الأنعام آية : ١١٣ .

ومن بينه علاقات محرمة ، بل علاقات أشد تحريما ، والأخطر من ذلك أن تجلس إليه الأسرة مجتمعة : فيها الأخ وفيها الأخت وفيها الأب وفيها البنت ، وفيها الأم وفيها الابن .. وهو يحطم هذه العلائق والعواطف النظيفة النبيلة ليقيمها على أساس أشد انحطاطا مما عليه أكثر الحيوانات !

٩٠ ــ ونكتفى فى التعليق على الإعلام بما سجله مؤتمر عالمى [(١)] :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى إليها إعلامنا ولايزال إلى اليوم يتردى ، فبدلا من أن يكون منبر دعوة إلى الحق ، ومنار إشعاع للخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب ، وخفت صوت الدعوة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا وزلزل الناس فى إيمانهم وقيمهم ومثلهم .. ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق .

جـ - علمنة القانون :

٩١ ــ سارت هذه جنبا إلى جنب علمنة التعليم وعلمنة الإعلام لتصير العلمنة من السفح إلى القمة ، ومن القمة إلى السفح !

ــ وكان أول مظهر لعلمنة القانون فى تركيا عام ١٨٥٧ م ، ثم تلاه فى مصر عام ١٨٧٥ م صدور بعض القوانيين مستمدة من غير الشريعة الإسلامية .

ثم تلاه فى عام ١٨٨٣ م إنشاء المحاكم الأهلية تحكم بالقانون بعيدا عن الشريعة الإسلامية [(٢)] .

ــ وفى تركيا ومع إلغاء الخلافة تم (عام ١٩٢٤) :

١ ــ إصدار قانون مدنى مستمد من القانون السويسرى .

٢ ــ إصدار قانون جنائى مستمد من القانون الإيطالى .

٣ ــ إصدار قانون تجارى مستمد من القانون الألمانى .

---

(١) المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ــ المدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ .

(٢) وفى أهرام ١ / ١٢ / ١٩٨٣ يطالب د. مصطفى كيو بالاحتفال بالعيد المئوى للمحاكم : أفتتحت فى ٣١ / ١٢ / ١٨٨٣ وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، سجلت الحكومة فى خطاب أنها ستحتفل بمرور خمسين عاما على إنشاء هذه المحاكم ، واعتبر يومى ٣١ / ١٢ / ١٩٣٣ ، ١ يناير سنة ١٩٣٤ عيدا لرجال القضاء .

وفى مصر .

ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ اشترط المؤتمرون أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربى (بعيدا عن الشريعة الإسلامية طبعا) ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدنى عام ١٩٤٨ ناصا فى مادته الأولى على مصادر القانون جاعلا فى مقدمتها التشريع الوضعى ، ثم العرف الوضعى .

ووضع فى الدرجة الثالثة مبادىء الشريعة الإسلامية والقانون الطبيعى فجعل مكان (الشريعة) الدرجة الثالثة ، وجعل القانون الطبيعى مشاركا لها . وتبعتها فى ذلك أكثر الدول العربية بعد استقلالها ، وصار القانون المدنى المصرى أساسا لكثير من القوانين فى البلاد العربية .

ـــ ولما قضى على الازدواج فى القضاء بإلغاء المحاكم الشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وأحيل اختصاصها للمحاكم الوطنية ، فقد كان ينتظر إلغاء إزدواج التشريع بإلغاء التحاكم إلى الشريعة الإسلامية فى مجال الأحوال الشخصية .

وهذا ماحاولت جهود يائسة الوصول إليه تحت مظلة شعارات مختلفة ، وبادعاء ضرورة التوحيد بين قوانين المسلمين وغير المسلمين !! .

وإن لم تتم الخطوة الأخيرة بصورة نهائية فقد صار النيل من قوانيين الأحوال الشخصية فى الفترة الأخيرة خاصة منها مايتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات .. وكان أقساها وأقصاها ماصدر عام ١٩٧٩ (القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩) والذى صدر فى وقت وظروف تدل على الريبة .. إذ أصدره رئيس الدولة فى غيبة مجلس الشعب بقرار خاص منه ، رغم أنه لم تكن هناك ضرورة ملحة لهذا الإصدار والمجلس يجتمع بعد الإصدار بفترة بسيطة !

٩٢ ـــ بيد أن الدعوة إلى أن الإسلام دين ودولة ، وإلى استمداد القوانين من الشريعة الإسلامية ... والتى غذيت بدماء الشهداء فى بلاد وأوطان كثيرة قد أحدث أثرها فى محاولة « تملق » المشاعر الإسلامية بإصدرات قانونية ...

ينقصها الشمول ، كما يلزمها الإخلاص ، ونظافة اليد لتتولى تطبيقها . [1]

ومع ذلك لايزال شيطان العلمانية يعمل حتى فى البلاد التى أعلنت التزامها بالشريعة الإسلامية محاولة إحلال « النظام » والأنظمة محل الشريعة .. وتولى « اللجان النظامية » أعمال المحاكم الشرعية .

ثالثا : أثارها فى الدول

قلنا سوف نأخذ ثلاثة نماذج :

ـــ تركيا ـــ مصر ـــ الجزيرة العربية

أما تركيا :ـــ

٩٣ ـــ فقد جرفتها العلمانية .. تعليما وإعلاما وقانونا ، وأورثت مجتمعها :

ـــ فراغا عقديا .

ـــ وفراغا خلقيا .

ـــ واضطرابا فى الموازين .

ـــ وانحلالا وتفسخا .

★ وكانت النتيجة :

ضعف سياسى .. جعل تركيا التى كانت فى مقدمة الدول زمن الخلافة صارت فى مؤخرتها فضلا عن أنها قاعدة لحلف الأطلنطى .

ضعف اقتصادى .. جعل تركيا تستجدى القروض من الدول الأجنبية الأمريكية والأجنبية .

ضعف اجتماعى .. جعل المجتمع التركى يبدو حينا أوربيا وحينا إسلاميا مع تناقض داخل الشارع الواحد [2] وتناقض داخل البيت الواحد .

★ بيد أن القانون الطبيعى : لكل فعل رد فعل ... عمل ولايزال يعمل ..

ـــ وماأعلنه مندريس فى الستينات .. مما اضطر الراصدين إلى إحداث انقلاب عسكرى وإعدام عدنان مرتدريس .

---

(١) مثلها كذلك إصدارات دستورية باتخاذ الشريعة مصدرا رئيسيا للقانون أو المصدر الرئيسى للقانون ، دون ماتغيير يذكر اللهم إلا اجتماعات تجتمع وتنفض !! .

(٢) يشاهد فى تركيا فى بعض الشوارع .. محل الدعارة مجاورا لمحل المسجد ! .

ـــ ومافعله أربيكان فى السبعينيات .. مما اضطرهم مرة أخرى إلى إحداث إنقلاب عسكرى ... لايزال حكمه قائما .. وهو يحاول مقاومة التيار الإسلامى بكل سبيل .

ـــ وقبل هذا وذاك ماأعلنه خليفة أتاتورك (عصمت اينونو) : لقد زرعنا العلمانية وحصدنا الإسلام ولانزال ننتظر مزيدا من فضل الله ﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ . (١)

٩٤ ـــ أما مصر :ـــ

فقد تعرضت للعلمانية منذ عهد محمد على ... فى صورة البعثات المرسلة إلى الخارج ، والمدارس المفتتحة فى الداخل ، والقوانين التى صار اشتقاقها من مصادر أجنبية والمحاكم الأهلية التى أقيمت ، ثم استمرار العلمانية .. تعليما ، وإعلاما وقانونا وحكما .

ومحاولة تخريب المجتمع المصرى باسم تغريبه فى التقاليد ، والزى ، والصلات ومحاولة ربطه بعجلة السياسة الغربية ، وبعجلة الاقتصاد الغربى ، حتى لايقدر على الفكاك .

وما أحدثه الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٢ . (٢)

---

(١) الشعراء ٢٢٧ .

(٢) راجع تفصيلا لذلك « حاضر العالم الإسلامى » للمؤلف حيث أشار الكتاب إلى أنه : « لم يعد خافيا بعد ما نشر من كتابات رجال المخابرات الأمريكية ومن الوثائق الأخرى التى صدقتها الأحداث ، وبعدما شهد به رجال ثقات نثق فى أمانتهم وصدقهم ـــ لم يعد خافيا أن الانقلاب العسكرى الذى تم فى مصر سنة ١٩٥٢ كان انقلابا لصالح اليهود والنصارى فى مصر .

وأشار الكتاب إلى أدلة الخط اليهودى :

١ ـــ ماشهد به اللواء معروف الحضرى ـــ رحمه الله ـــ خاصا بقائد الانقلاب العسكرى .

٢ ـــ ماصرح به مؤسس إسرائيل (بن جوريون) قبل وقوع الانقلاب .

٣ ـــ ماذكره مايلز كوبلاند عن صلات رجال الانقلاب بالمخابرات المركزية قبل الانقلاب .

٤ ـــ ماقام به الانقلاب من حرب الإبادة ضد الجماعة التى حاربت اليهود .

٥ ـــ ما مارسه الانقلاب لصالح إسرائيل حتى انتهى بالإقرار الشرعى لها بالوجود على يد ولسان آخر حكامه .

أما الخطر النصرانى فنحيل إليه فى المرجع المذكور ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ أما مستقبل الإسلام فى مصر فنحيل إليه كذلك فى المرجع المذكور ص ٢١٧ ، ٢١٨ ـــ نشر دار المجتمع بجدة طبعة ثانية ، وثالثة .

وماحمله من لواء « التغيير الاجتماعى » بلوغا إلى التغريب المطلوب .

** كل ذلك أحدث أثره :

تفسخا فى العلاقات الاجتماعية ، ومشاكل داخل البيوت المصرية . واختلافات فى القيم والنزعات والاتجاهات . وبعدا عن دين الله واستهزاءً .. حتى أغرى ذلك قائلهم أن يطلق الصيحة غداة هزيمة ١٩٦٧ بـ « علمنة الذات العربية بإخراجها من الدين » . (١)

* بيد أن القانون يعمل : لكل فعل رد فعل ..

من هنا قامت كبرى الجماعات الاسلامية فى مصر ، تحمل لواء رد العلمانية على أعقابها وترفع شعار الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، عبادة وقيادة .. وقامت بعدها ومعها جماعات أخرى بعضها تعجل فى التنفيذ والبعض الآخر مشى أكثر هدوءا !

والجمر يتقد تحت الرماد .

ومحاولات كثيرة للصد عن سبيل الله كشفت عنها وثائق كثيرة ! (٢)

لكن أمر الله آت ﴿أتى أمر الله فلاتستعجلوه ،سبحانه وتعالى عما يُشركون﴾ (٣) وما قام به بطل من أبناء مصر تعبيرا عما يجيش فى صدور شعبها المؤمن لم يكن مجرد (فلته) إنه ظاهرة جديدة جديرة بالدراسة والتعمق ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

---

(١) وقد فسروا ذلك بقولهم « تحرير الذات العربية من إطاراتها الغيبية ، والإطارات الغيبية هنا تعنى الإسلام بالذات وليس الدين بعامة — راجع سقوط العلمانية — أنور الجندى ص ٩ — دار الكتاب اللبنانى . بيروت .

(٢) راجع تفصيلا « دعاة لابغاة » للمؤلف — الباب الأخير : من البغاة ؟ وفيه إشارة إلى ثلاثة وثائق :—

— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر تنادى باستئصال العناصر الداعية إلى إعتبار الإسلام دينا ودولة .

— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات تنادى باتباع طريق الاحتواء والتفريق .

— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات شارك فيها بعض العناصر اليهودية والنصرانية ، وهذه الوثيقة تجيب على السؤال من البغاة ؟ .

(راجع الكتاب المذكور ص ١٤١ وما بعدها) .

(٣) النحل آية ١ .

أما الجزيرة العربية :ـــ [١]

٩٥ ـــ فنكتفى فيها بالنقل عن واحد من أخلص رجال الفكر الإسلامى الحديث [٢] حيث يقول : « نعم فلم تطل هذه الفترة ، فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية وتدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، والمستوردات الغربية ، وأكثر من أسباب الترف والكماليات فشحنت الأسواق وملأت البيوت ، وقضت على التقشف فى الحياة وصفات الفتوة والفروسية التى عرف بها العرب من قديم الزمان ، وكانت من أسباب قوتهم وانتصارهم ..

ثم تحدث عن آثار الثروة المفاجئة بسبب الزيت (البترول) ، ونقل عن مؤلف أمريكى THE MIDDLE EAST TO DAY Donleretz فى كتابه : هذه الآثار فى مجال الطبقة الحاكمة ، ثم مجال الطبقة السفلى .

ثم يشير الأستاذ الندوى إلى أن من المقررات التى لاتقبل الشك أن الجزيرة العربية اليوم هى غرس محمد ﷺ وثمرة دعوته وجهاده !... وزيادة على ذلك ففيها الحرمان الشريفان ... إلخ .

---

(١) وتشمل الجزيرة العربية جغرافيا دول : ١ ـــ اليمن الشمالى ٢ ـــ اليمن الجنوبى ٣ ـــ عمان ٤ الإمارات ٥ ـــ قطر ٦ ـــ البحرين ٧ ـــ الكويت ٨ ـــ المملكة العربية السعودية .

(٢) الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام . لكهنو ـــ الهند . فى كتابه القيم (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) وراجع كذلك (إلى أن تتجه الجزيرة العربية) لنفس المؤلف .

الفصل الثانى
الديمقراطية
« الوجه السياسى الغربى »

تمهيد وتعريف : ـــ

٩٦ ـــ كما كانت العلمانية بالنسبة للغرب انتصارا ضد طغيان الكنيسة وافتئاتها كانت الديمقراطية انتصارا ضد طغيان الملوك والحكام فى القرون الوسطى ولذا اقترنت هذه بتلك فى صيحة الثورة الفرنسية « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

ولذا كان « ميلاد » الديمقراطية مصاحبا لميلاد « العلمانية » ـــ فيما نظن ـــ والله أعلم ، كما كان مصاحبا لميلاد الرأسماليه .. ولقد كانت الأولى والأخيرة .. فى الواقع تفرعا على المذهب الفردى [1] Individialisme والذى اعتنق العبارة الشهيرة : Laissez faire Laissez passer وهو وإن كان فى أساسه « اقتصاديا » لكنه سرى إلى الجانب السياسى ليكون أساسا هاما للديمقراطية .

٩٧ ـــ بيد أنه سبق ذلك تطور تاريخى داخل بريطانيا .. أدى إلى اعتناق المذهب الفردى بما أسهم فيه كل من هوبز ولوك « الإنجليزيان » وتبعهما بعد ذلك فى فرنسا جان جاك روسو ، وقد بدأ التطور داخل انجلترا ....
إثر الثورة المسلحة التى قام بها « البارونات » فى مواجهة طغيان الملك جون فى أوائل القرن الثالث عشر[2] مماأدى إلى توقيع الملك على « العهد الأعظم » Magna - Carta .. واستمر التطور حتى القرن السابع عشر حتى صدرت

(١) بدأ المذهب الفردى اقتصاديا ـــ كما سنشير ـــ على يد مدرسة الطبيعيين أو الفسيوقراطية ، لكن فلاسفة القرن الثامن عشر استفادوا منه ومدوه إلى النطاق السياسى فصار أساسا ـــ للديموقراطية وللرأسمالية فى آن واحد ـــ وعضده فى المجال الأول نظرية العقد الاجتماعى ومذهب القانون الطبيعى ـــ فالأول يفترض أن الإنسان كان فى حالة من الحرية ، والثانى يجعل الحرية والحقوق طبيعية لاصقة للإنسان .

(٢) إثر فرضه الضرائب الباهظة ومحاولة إجبار البارونات على تزويج بناتهم لأبناء الشعب .

وثيقة الحقوق Bill of Rights وبمقتضاها تحدد سلطان الملك وانتقلت السلطة إلى الشعب .

٩٨ — وإبان ذلك كانت كتابات هوبز « من فلاسفة القرن ١٦ » عن أن الناس ولدوا أحرارا ، ولكنهم لم يستطيعوا الحياة فوضى ، فتنازلوا متعاقدين فيما بينهم ليقوم مجتمع يحكمه فرد منهم .

وقد طور « لوك » النظرية من جانبين : **أولهما** — أن الأفراد لم يتنازلوا عند العقد عن كل حقوقهم وحرياتهم بل عن جزء منها بما يلزم لقيام المجتمع ، **وثانيهما** —أن الرئيس كان طرفا فى العقد ، وليس خارجا عن العقد كما فهم من كلام « هوبز » .

٩٩ — وقد تلقى جان جاك روسو هذه الفلسفة فصاغها إبان القرن الثامن عشر فى نظرية العقد الاجتماعى Contrat Social والتى أسسها على أن الأفراد كانوا أحرارا يتمتعون بكافة الحقوق ، لكنهم أمضوا عقدا اجتماعيا نشأت بموجبه « إرادة عامة لمجموع الأفراد » أو « إرادة المجموع » بديلا عن الإرادات الفردية السابقة على التعاقد ..

هذه الإرادة العامة ترعى حقوق الأفراد الطبيعية التى لم يتنازلوا عنها جميعا وإنما تنازلوا عن جزء منها ليقوم المجتمع .

١٠٠ — ومن ثم تدعم المذهب الفردى بنظرية العقد الاجتماعى كما تدعم كذلك بالمذهب الطبيعى (١)الذى يقر للأفراد بحقوق طبيعية غير قابلة للانفصال عن أشخاصهم(٢)وأثر ذلك كله فى انتقال السيادة Souverainté من الملوك

---

(١) كان موجودا من العصور القديمة ، وأخذ صبغة اقتصادية فى القرن الثامن عشر على يد مدرسة الطبيعين ثم ساند المذهب الفردى فى افتراض حقوق طبيعية للأفراد .

(٢) وظهر ذلك فى إعلانات حقوق الإنسان التى أعقبت الثورة الفرنسية « تأثرا بالمذهب الطبيعى وبالمذهب الفردى » . وأول إعلان صدر فى عام ١٧٨٩ نصت مادته الأولى : « يولد الأفراد ويعيشون أحرارا ويتساوون فى الحقوق » !

« غاية كل هيئة سياسية هى صيانة حقوق الإنسان الطبيعية ، وهى حرية التملك ، الأمن ، ومقاومة الظلم » .=

حيث كانت مختلطة بأشخاصهم « LetatCest Moi » لويس الرابع عشر — إلى الشعوب ممثلة فى برلماناتها .

« وصارت الديمقرطية علما على هذا الخليط من النظام .. » هى تعنى حكم الشعب[1] ومن ثم بتقرير سيادة الشعب . [2] وهى كذلك تقوم على مبدأ الشرعية Principede Legalité وهو يعنى سيادة القانون .

وهى فى الوقت نفسه تحفظ للأفراد حقوقهم وحرياتهم .

ومن ذلك نرى أن **الديمقراطية تقوم على أعمدة ثلاثة :—**

أولها : مبدأ سيادة الأمة Prircipede Souverainté denaitjon

ثانيها : مبدأ الشرعية Legalité

ثالثها : الحقوق والحريات العامة Droits etlibierteés de Ihomme وهو مانتناوله — بإذن الله — بشيء من الإيجازإن شاء الله .

أولا : مبدأ سيادة الأمة

Souverainté Souverainty Souveventat

١٠١ — أشرنا إلى أن هذا المبدأ نشأ مرتكزا إلى نظرية العقد الاجتماعى ، باعتبار أن الأفراد عندما تنازلوا عن حرياتهم وحقوقهم المسبقة عن بعضها « على خلاف بين هوبز ولوك » إنما فعلوا ذلك لتقوم إرادة جماعية تسود عليهم وتكون

= « الملكية حق مقدس غير قابل للمساس به . »

وهذه الحقوق الطبيعية لكل فرد لاتقدم ولاتحد إلا بقدر الفردى الذى يضمن لأفرادالجماعة الآخرين التمتع بنفس الحقوق .

وتبلورت حقوق الإنسان فى : الحرية ، الملكية ، الأمن ، المساواة ، حق مقاومة الظلم Liberté, Proprieté, Securеté, Egalité Resistenceà Ioppression وفى مقدمة دستور ١٧٩١ « لايجوز للسلطة التشريعية أن تضع أى قوانين من شأنها أن تضر أو تعرقل ممارسة الحقوق الطبيعية والمدينة المنصوص عليها فى هذا الباب « الباب الأول من الدستور » والتى يضمن الدستور حمايتها » .

(١) عرف الديموقراطية قديما عند اليونانيين وأصل الكلمة اللاتينى من شقين « ديموس Demos » : الشعب « كراتوس Kratos » : الحكم — السلطة .

(٢) وهى تنتقل إلى ممثليه فيكون لهم — بدلا من الملك — حق الأمر : Droit de Commardwe .

لها حق الأمر عليهم : وقد كان فى البداية مقررا للملوك بديلا عن الحق الإلهى لهم ، أو تفويض الله لهم ، ثم انتقلت السيادة من الملوك إلى الشعوب إثر الثورات التى حدثت من سلطانهم « فى انجلترا » ثم فى « فرنسا » وانتقل حق السيادة إلى الشعب ..

وتتمثل فى **التطبيق فى صور عديدة :ــ**

(١) **حكم الديمقراطية المباشرة** : بحيث يكون الحكم إلى الشعب كله .. هو الذى يقرر وهو الذى يقترح ، وهو الذى يشرع ، وهو أمر أقرب إلى الخيال .، إذ يستحيل عملا جمع الشعب كله فى صعيد واحد !

(٢)**حكم الديمقراطية شبه المباشرة** : وهو وسط بين الديمقراطية المباشرة ــ التى تستحيل تنفيذا ــ وبين االديموقراطية الثابتة التى يعهد فيها إلى أفراد بأمر السيادة نيابة عن الشعب .

وفيها ــ أى الديموقراطية شبه المباشرة ــ يبقى للشعب بعض مظاهر السيادة متمثلة فى : ــ
أ ــ الاقتراح الشعبى : كتقديم مشروع قانون ، أو فكرة أو رغبة إلى البرلمان .
ب ــ الاعتراض الشعبى : ويكون للشعب أن يعترض على قانون يصدره البرلمان فيوقف القانون ويلغى .
ج ــ الاستفتاء الشعبى : فى موضوع سياسى ، أو دستورى ، أو تشريعى ، وينفذ ما يقرره الشعب خلال الاستفتاء .
د ــ الحل الشعبى : « أى حل البرلمان » .
هـ ــ عزل رئيس الدولة : « باستفتاء من الشعب » .

١٠٢ ــ الحكم النيابى « حكم الأكثرية » : ــ

وفيه يختار الشعب « نوابا » عنه يمثلونه فى « البرلمان » يكون إليهم أمر التشريع وأمر الرقابة على السلطة التنفيذية ، وأحيانا اختيارها ، وأحيانا اختيار رئيس الدولة .

وهو يتفاوت بين النظام الرئاسى والنظام البرلمانى ، حيث يضعف فى الأخير سلطان رئيس الدولة ، كما يتفاوت تبعا للحكم الجمهورى بصورتيه السابقتين ، أو الحكم الملكى المقيد « كالحكم الإنجليزى » أو المطلق كما كان عليه حال أكثر الأنظمة الملكية من قبل .

وإذا كانت النظم الأجنبية قائمة على تعدد الأحزاب ، فإن الحزب الذى يفوز بالأغلبية هو الذى يحكم ، ويكون التصويت داخل « البرلمان » بالأغلبية كذلك .

إلا أن الدساتير تفرق بين الأغلبية المطلقة والأغلبية الساحقة ، فالأولى تتحقق بتوافر النصف يزيد واحدا .. وهو يسير عليه العمل فى أكثر شئون البرلمان ، أما الثانية فقد تكون أغلبية الثلثين أو أكثر أو منصوصا عليها بما يزيد على الأغلبية المطلقة ، وهى عادة تلزم فى المسائل الهامة « كمحاكمة رئيس الدولة ، أو عزله ، أو إجراء تعديل دستورى » وتسحب الأغلبية من الحاضرين .

ولايصح الحضور حتى تتوافر له الأغلبية المطلقة من العدد كله فى أكثر الدساتير والنظم ، وقد يشترط فى بعض الحالات حضور الثلثين .

سيادة الأمة فى الميزان : ـــ

الديموقراطية ـــ بصفة عامة ـــ وسيادة الأمة كأساس لها ـــ بصفة خاصة ـــ تعيش اليوم أزمة !

(١) فهى فى حد ذاتها منتقدة : إذ تستند إلى فكرة العقد الاجتماعى ، وهى فكرة خيالية بعيدة عن الواقع ، مما دعا البعض إلى إسناد فكرة السيادة إلى أساس آخر هو : أن السلطة نشأت من أجل الأمة ، ومن ثم وجب أن يكون للأخيرة رقابة على الأولى[١] .

(٢) ثم هى لم تمنع الاستبداد : فقد قدم لنا النظام الديموقراطى أمثلة كثيرة مستبدة سميت بالديموقراطية القيصرية Democratie Casarienne كنظام

---

(١) أزمان القانون الدستورى ـــ طبعة بارس ١٨٩٦ ج١ ص١٥٩ ، ١٦٨ .

نابليون بونابرت المستند إلى دستور السنة الثامنة Lanv III في ١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ، وكنظام لويس نابليون « ابن عم نابليون » عام ١٨٥٢ بل إن كثيرا من البرلمانات مارست نفس الاستبداد حتى قال بعضهم : إننا انتقلنا من الحق الإلهى للملوك إلى الحق الإلهى للبرلمانات Droit Divin de Parliaments - D. P. d. Rois

(٣) ومن ناحية أخرى : فإننا نردد قول دويجى Duguit لم يكن لبشر السيادة على بشر .. لم يكن لبعض السيادة على الكل ، والكل بشر .

وهو ماسنوضحه كثيرا فى المبدأ الثانى — إن شاء الله .

ثانيا : مبدأ المشروعية

Legalite , Legality

تعريفه ونشأته:ـــ

يعنى مبدأ المشروعية : سيادة القانون ، بمعنى خضوع المحكوم والحاكم للقانون على السواء .

ــ وقد ظهر مبدأ الشرعية مع حاجة المجتمعات إلى الحماية فى مواجهة افتئات السلطة وتجاوزاتها .. ذلك أن السلطة تغرى بإساءة استعمالها ، وبالتعسف فى استعمالها ، أيا كان البشر الجالس على كرسيها ، إلا أن يعصمه الله ، أو أن تقف فى وجهه الحواجز ... تحجزه عن ظلمه أو تقصره !

ومهما قيل فى قدم المبدأ ــ فى الفقه الوضعى (١) ــ فإننا نحسبه معاصرا لمبدأ سيادة الأمة بعد انفصال شخص الحاكم عن شخصية الدوله .. بحيث صارت السيادة للأمة لاللحاكم .

ذلك أننا نعتبره لازما لوجود المبدأ الآخر « سيادة الأمة » باعتباره الحاجز الحقيقى دون افتئات السلطة وهى تمارس السيادة باسم الأمة أو باسم الشعب .

مبدأالشرعية فى وضع جديد : ـــ

ولئن وجد مبدأ الشرعية انتعاشه وانتشاره فى ظل المذهب الفردى Individialisme Doctrine حيث المجال واسعا لحقوق الأفراد وحرياتهم ، وحيث السلطة محددة فى ممارساتها فى نطاق الوظائف التقليدية للدولة حيث تقوم على حفظ الأمن والسكينة والصحة Securité, Tranquillité, Santé فلقد تغير

---

(١) راجع طعيمة الجرف ــ مبدأ المشروعية وخضوع الدولة للقانون ــ الأستاذ الدكتور طعيمة الجرف ص٥ وما بعدها .

الأمر حين انتقلت الدولة فى وضعها الحديث من دور الدولة الحارسة Etat Protecteur إلى دور الدولة الموجهة E. Dirigé أو كما يسميها الأمريكيون « دولة الرخاء » Welfare State وغدا تدخلها فى مجالات كثيرة .. اقتصادية ، واجتماعية ، فضلا عن مجالاتها السياسية ، وهى تتدخل باعتبارها صاحبة سلطان لها أن تفرض سلطانها بقوة القانون أو بقوة القرار أو بغير ذلك من الإجراءات ، الأمر الذى قد تتعرض معه حقوق الأفراد وحرياتهم لكثير من الحيف أو الافتئات .

بيد أن لهذا التغيير وجه آخر فى نظرنا .(١)

إن حقوق الأفراد التى كانت ممثلة فى الخمسة التقليدية : حق الملكية ، حق الأمن ، حق الحرية ، حق المساواة ، حق مقاومة الظلم ... هذه الحقوق .. قد فصلت فى مجالها ، على ماسنبين بمشيئة الله تعالى ، وإن وضع عليها قيود لصالح الجماعة ، إلا أن حقوقا أخرى قد ضمت إليها ، وهى ماسمى بالحقوق الاقتصادية أو الحقوق الاجتماعية وهذه وتلك ... أتاحا لمبدأ الشرعية ميدانا أوسع وأرحب .

إنه يقف حارساً لهذه وتلك على السواء .. ومن ثم قوى مبدأ الشرعية ، ولم يضعف واتسع نطاقه ولم يقصر .

ضمانات لمبدأ الشرعية ::ــ

وقيل بضمانات لمبدأ الشرعية :

ــ **قيل بجمود الدساتير** .. Lamultabilité Juridique ليحول ذلك دون التغيير الكثير ، والتغيير المفاجىء . إن الأمر يلزم له أغلبية خاصة لاتتوافر كثيرا .

بيد أن الجمود لاقيمة له فى بلاد الدساتير المرنة ، كانجلترا والدول

(١) هذا عدول عما ذهبنا إليه فى رسالة الدكتوراه عام ١٣٩٥ هـ .

الأنجلوسكسونية التى حذت حذوها إذ تكفى الأغلبية الـمطلقة لأى تغيير ، كذلك لاقيمة للجمود فى بلاد أخرى كثيرة ، يشكل الحزب الحاكم فيها أغلبية ساحقة ، تجعل أفراده « النواب » يتجاوبون مع التغيير الـمطلوب عند عرضه على البرلـمان .[1]

وفى النهاية .. لاقيمة للجمود مع الانقلابات والثورات ـــ التى قيل بسقوط الدستور القديم بمجرد نجاحها بقوة القانون : Enplein Droït وقد أسمى البعض ذلك « بالفقه الثورى » .[2]

ـــ وقيل بالفصل بين السلطات : « Separation de pouvoirs

على أساس أن السلطة تحد السلطة **Lepouvoir arrete le pouvoir** بيد أن الفصل بين السلطات لاوجود له فى واقع دول كثيرة .

والبلاد التى تحرص عليه ـــ مثل الولايات الـمتحدة أو ماسار مسارها ـــ تـمثل شخصية الرئيس فيها الثقل الأول ، ويمثل الكونجرس الثقل الثانى بغض النظر عن الفصل بين السلطات .

ـــ وقيل كذلك بالرقابة القضائية : « Juridique Review »

بأعمال دستورية القوانين ، وشرعية اللوائح لإبطال أو إلغاء أوعلى الأقل الامتناع عن كل نص يخالف النص الأعلى منه .

وهى وسيلة جدية وجادة ... بيد أنها تفتقر إلى مستوى القاضى الرفيع ! فضلاً عن أن البلاد التى لاتأخذ برقابة الـمحاكم نصا ، تتردد كثير منها فى التطوع للرقابة ، ويقف جهدها فى هذه الحالة عند حد الامتناع فقط ، عن تنفيذ التشريع الـمخالف .

---

(١) ولذا فقد درج العمل على اجتماع « الهيئة البرلمانية » للحزب الحاكم قبل كل اجتماع هام لوضع الخطة لتنفيذ سياسة الحزب فى البرلمان !

(٢) مقالات للدكتور السيد صبرى بعد انقلاب مصر عام ١٩٥٢ م .

مبدأ المشروعية فى الميزان : ــ

* المشروعية بوضعها الوضعى تفتقر فى مجالها العملى إلى الضمانات ، فضماناتها التى تقدمت ضعيفة .. وهى بغيرها ضعيفة كذلك ، ومن ثم فإنها كحامية لحقوق الأفراد تحتاج إلى حماية تماما كمن يسند ظهره إلى حائط فإذا هو منهار وإذا هو على شفا جرف هار ، فأنى لها أن تواجه بها « ذئاب » السلطة « وآسادها » .. ولانجاوز هذا الوصف . !

* بيد أنها حتى فى أساسها تفتقر إلى التبرير ، ويفتقر عملها إلى الاحترام ... فالسؤال الذى يفرض نفسه .. لم يكن لمجموع من البشر أن يلزم باقى البشر .. ؟ بأى سلطان يملك هذه « السيادة » ليصير مايصوغه قانونا واجب الاحترام أيا كانت درجته ؟ وإذا صاغ هذا القانون . فلم يحترمه الآخرون ؟ !

ولم ... وقد رأى ــ وله الحق ــ أن ماصيغ هو عين الظلم ، أو عين الباطل !

* وأخيرا وبنظرتنا الإسلامية ..

كيف للبشر أن يفتات على حق الله فيصوغ القوانين ، إنه مهما بلغ العدل فإنه لن يتجرد من الهوى أوالجهل أو الظلم .

ولئن تجرد ــ جدلا فعدله الظلم إذ افتات على حق الله ، ووضع نفسه موضع الألوهية فى هذا الجانب !

المشروعية الإسلامية العليا : ــ

صعب أن نعرض فى سطور إلى ماكتب فى رسالة وسجلته كتب.[١] لكننا نقول ــ بعون الله ــ **أنه يلزم لقيام الشرعية الإسلامية :**

أولا : إقامة شرع الله بشروط ثلاثة :

---

(١) راجع : المشروعية الإسلامية العليا ــ للمؤلف ــ مبدأ المشروعية د / مصطفى كال وصفى ــ رحمه الله ــ ، مبدأ المشروعية د / فؤاد النادى .

أ ــ عدم التجزئة

ب ــ أن تكون شريعة الله هى العليا

ج ــ أن يكون لله الشرع ابتداءً .

ثانيا : إقامة الأمة المسلمة ــ تقوم على الالتزام لاعلى مجرد الانتماء ، وتتوافر فيها الشروط القرآنية للأمة المسلمة .

ثالثا : إقامة السلطة الشرعية : ــ

ــ التى تقيم شرع الله بشروطه .

ــ والتى يرضى الناس عنها .

ــ والتى يتوافر فى رأسها شروط الإمامة ويتوافر فى المحيطين به شروط الإسلام .

﴿ لاتتَّخِذُوا بطانةً من دُونِكُم لايَألونَكُم خبالًا ﴾ (١) لأن المسلم لايحكم بغير المسلم .

---

(١) آل عمران آية ١١٨ .

ثالثا : الحقوق والحريات العامة

تقدمة : ــ

ــ لئن كانت الشرعية هى « العمود الفقرى » للقانون العام كله ، ولئن كانت سيادة الأمة هى التعبير « النظرى » لانتقال السلطة إلى الشعب بدلا من الحاكم الفرد الذى كان يمارسها تحت دعوى الحق الإلهى للملوك .

فإن الحقوق والحريات العامة ، هى الغاية التى تغيتها .. الثورات والفلسفات والنظريات التى سادت منذ « عصر النهضة » .

وهى التى من أجلها كان « المذهب الفردى » مدعوما « بالمذهب الطبيعى » ، وبالعقد الاجتماعى ، وكانت الشرعية حماية وحراسة لها ، وكانت السيادة صونا من تحكم الفرد حتى لايحيف عليها ..

ومن ذلك الحين: صدر الإعلان الأول لحقوق الإنسان عام ١٧٩٨ م وصدر قبله فى انجلترا العهد الأعظم عام ١٢١٥ م

وبعده وثيقة الحقوق **Billof Right** وبعده الدستور الأمريكى .

وتوالت الدساتير ، والإعلانات ، وكان من آخر ماصدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ م ، وحرصت كل الدساتير ــ حتى فى الدول التى لاتعطى الفرد حقوقا ولا حرية إلا النزر اليسير ــ حرصت على أن تضمن فى صدرها نصوصا حول هذه الحقوق .

ورغم أن حديث الحقوق والحريات .. شهى ، طويل .. فإننا نستطيع أن ندرجها تحت اثنين : ــ

ــ المساواة . وتدرج تحتها أربعة : أمام القانون ، أمام القضاء ، أمام الوظائف ، أمام الضرائب .

ـــ الحرية . وتدرج تحتها ثلاثة :

ـــ الحرية الشخصية .

ـــ الحرية السياسية .

ـــ الحرية الاقتصادية .

(١) المساواة .

وفى المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان : « إن جميع الأفراد يولدون متساويين فى الكرامة والحقوق » . ويدرج علماء السياسة وفقهاء القانون الدستورى تحت المساواة :

أ ـــ المساواة أمام القانون .

ب ـــ المساواة أمام القضاء .

ج ـــ المساواة أمام الوظائف .

د ـــ المساواة أمام الضرائب .

(٢) الحرية : ـــ

أ ـــ الحرية الشخصية ويدرجون تحتها :ـــ

« الحريات المادية » :

ـــ حق الحياة :

ـــ حق التنقل أو حرية التنقل :

ـــ حق الأمن :

ـــ عدم جواز استرقاق الإنسان

ـــ حرمة المسكن

ـــ سرية المراسلات

« الحريات المعنوية » :

ـــ حق التفكير العلمى .

ـــ حرية العقيدة .

ـــ حرية التعبير عن الرأى .

ـــ حرية الشكوى « وتقديم العرائض »

ـــ حرية التعليم .

« حريات اجتماعية » :

ـــ حرية عقد الاجتماعات وحضورها .

ـــ حرية تكوين الجمعيات والانضمام إليها .

ب ـــ الحرية السياسية :ـــ

ـــ حق الانتخاب .

ـــ حق الترشيح .

ـــ حق التشريع .

ـــ حق مراقبة الحاكم .

ـــ حق عزل رئيس الدولة .

ـــ حق تولى الوظائف العامة .

ـــ حق تكوين الأحزاب .

ج ـــ الحريات الاقتصادية :ـــ

ـــ حق التملك .

ـــ حق العمل .

ـــ حق الأجر .

ـــ حق الراحة .[1]

الحقوق والحريات فى الميزان :

* * لاتنكر أن الفرد فى الغرب نال قدرا من الحرية والمساواة لايتوافر لا فى العالم الشرق ، ولا فى العالم الثالث .

---

(١) الديموقراطية وموقف الإسلام منها ـــ درجة الماجستير ـــ إعداد محمد نور مصطفى الرهوان .

ـــ فالـمساواة أمام القانون ، وأمام القضاء ، وأمام الوظائف العامة ، وأمام الضرائب متوافرة لايخرمها إلا بعض التفرقات العنصرية فى الولايات الـمتحدة « أو فى بعض ولاياتها » .
وإلا بعض التشريعات تعفى « اليهود » من الضرائب فى بعض بلاد أوربا .. علما بأن الضرائب تصاعدية هناك أقلها فى الـمجال التجارى « حوالى ٥٠ ٪ » وقد يتجاوز ال ٩٠ ٪

ـــ والحرية الشخصية متوفرة بغير استثناء .
ولقد شهدت فى هذا الجانب نماذج كثيرة .

والحرية السياسية كذلك متوافرة ، لايفضى منها إلا قدرة الـملىء اقتصاديا على الدعاية أكثر من غيره .

وقد عمدت بعض الدول إلى تحديدالحد الأعلى للإنفاق الدعائى .
ـــ والحرية الاقتصادية ، بدأت تأخذ مكانها بما لايقل عن وضعها فى الـمعسكر الشرقى . (١)

** ومع ذلك نقرر بعون الله :
إن الإسلام يستوعب هذه الحقوق والحريات ويزيد عليها كما وكيفا ، كما بالزيادة وكيفا بالتعمق فى أساسها لكن فى تخلف أصحابه عن التزامه والنهوض به . فى التطبيق الخاطىء الذى تدعيه بعض الأنظمة انتسابا للإسلام .

ـــ فالاسلام يقرر فوق الحقوق السابقة جميعا حق العدل :
وتتوافر نصوصه وتتضافر على إعلاء العدل ونبذ الظلم ...(٢) حتى ليقرر بعضهم : (٣)« إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على الكفر ، ولايقيمها بالظلم ولو على إسلام » .

---

(١) ونسجل هنا ماقال البعض من أن الجائع قد يحصل على الخبز ويظل عبدا ـــ جلال أحمد أمين ـــ الماركسية ط ١٩٧٠ ص ١٥١ .

(٢) وإن كان تطبيق البلاد الإسلامية للعدل شائها يسىء إلى الإسلام .

(٣) الإمام الغزالى فى التبر المسبوك « راجع المشروعية الإسلامية » .

ويبلغ فى تأصيله العدل أن يجعله : اسما من أسماء الله « فمن أسمائه سبحانه العدل » واسما لشريعته أو وصفا لها ﴿ وتَمتْ كَلِمَةُ رَبِّك صدقاً وعدلاً ﴾[1] ، ثم أمرا فى تنفيذها بالعدل ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾[2] . فيتوافر العدل فى المصدر ، والتشريع ، والتنفيذ .

ويربط الظلم بظلمات يوم القيامة ، ويجعله قرين الشرك والكفر ﴿ إنَّ الشرك لظُلمٌ عظيم ﴾[3] كما يجعله وصفاً لمنع إقامة شريعة الله ﴿ ومن لم يحكُم بما أنْزل الله فأولئك هم الظّالمون ﴾[4] وأخيرا يوضح عاقبة الظلم ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾[5] ﴿ وتِلكَ القُرى أهلكنَاهُم لما ظَلموا ﴾[6] .

﴿ وكذلك أخذُ ربِكَ إذا أخذَ القرى وهى ظالمة ﴾[7] ، « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة » .

وأشد من ذلك كله .. أن يجعل مقاومة الظلم ليست مجرد حق ، بل هى واجب « تحجزه أو تمنعه عن الظلم فذاك نصره »[8] ، ويجعلها صفة للجماعة المسلمة ألا ترضى بالظلم بينها وأن تقاومه ﴿ والذين إذا أصَابَهُم البغْى هم ينتصرون ﴾[9] ، ﴿ وسيعلمُ الذينَ ظَلموا أىَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون ﴾[10] .

* * ويربط الحرية بالتوحيد فيعمقها كيفا ..

فالشبطر الأول من التوحيد تحرر من كل عبودية « لاإله إلا الله » « فمن يكفر بالطاغوت » .. وكل ماعبد أو قدس دون الله فهو طاغوت بشرا كان أو حجرا ، أو شعارا ، أو نظاما !

---

(١) سورة الأنعام آية « ١١٥ »

(٢) سورة النساء آية « ٥٨ » .

(٣) سورة لقمان آية « ١٣ » .

(٤) سورة المائدة آية « ٤٥ » .

(٥) سورة النمل آية « ٥٢ » .

(٦) سورة الكهف آية « ٥٩ » .

(٧) سورة هود آية « ١٠٢ » .

(٨) أخرجه البخاري .

(٩) سورة الشورى آية « ٣٩ » .

(١٠) سورة الشعراء آية « ٢٢٧ » .

ويجعل كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة ، ويعبر بعض المفسرين عن ذلك فيقول : أمات نفسا ، وأحيا — بالعتق — نفسا ، فكأن الحرية إحياء .. وهى كذلك إحياء ، والاستعباد موت .. وأى موت . هذان مثلان سريعان . (1)

مع التنويه بما يصنع الإسلام من ضوابط حول هذه الحرية . والله أعلم .

---

(1) وربما أشرنا فى نهاية هذا المنهج إلى الخطوط الرئيسية للنظام السياسى وربما أضفنا نموذجا لإعلان دستورى إسلامى ، هذا وقد أصدر المؤتمر المنعقد فى إسلام آباد نموذجا لدستور إسلامى .

كما قامت رابطة العالم الإسلامى ، والمؤتمر الإسلامى المنبثق عن الأزهر نماذج أخرى فيما نعلم ، وتحتاج هذه جميعا إلى دراسة للاستفادة منها جميعا أو من بعضها .

(2) فلا يسمح بالحرية التى تصل إلى الإباحة كما لايسمح بالحرية المطلقة فى التشريع ، لأن الأولى عدوان على قيم أصيلة يقوم عليها المجتمع ، والثانية عدوان على حق الله الذى له — وحده — أن يشرع ابتداء وإن كان للذين يستنبطون أن يشرعوا بناء لا ابتداء ..

الفصل الثالث

الرأسمالية

« الوجه الاقتصادى الغربى »

تقدمة :

قدمنا أن الرأسمالية والديمقراطية توأمان .. أيهما سبق الآخر فإن الفاصل قليل ، وإن المذهب الفردى **Individialisme** الذى أخذ طريقه من خلال كتابات هو جوحروشيوس ، وتوماس هوبز ، وجون لوك ، وجان جاك روسو .. هذا المذهب فرض نفسه فى المجال الاقتصادى حاملا شعار : دعة يمر دعة يعمل **Laissez Passer, Laissez Faire** الأمر الذى انتقل إلى المجال السياسى ، وتدعم بنظرية العقد الاجتماعى ، وأرسى دعائم الديمقراطية متمثلة فى نظرية السيادة ، ومبدأ الشرعية ، والحقوق والحريات العامة ـــ على نحو ماأسلفنا ـــ ولئن مثلت الديمقراطية الوجه السياسى « للنظام الحر » ، فإن الرأسمالية تمثل الوجه الاقتصادى لذلك النظام ... ومن ثم وجب التعرض لنشأتها ، ثم خصائصها ، ثم آثارها وأخيرا تقويمها والله المستعان .

١ ـــ نشأة الرأسمالية :

لاشك أن الرأسمالية كانت فى عصرها ـــ طورا جديدا للنظام الاقتصادى .. الذى كان غارقا قبلها فى النظام الإقطاعى ، بيد أن الأمر لم يتم نقله واحدا من نظام إلى نظام ، لقد مر خلال كتابات عديدة ، ومدارس مختلفة دعت إلى مبادىء فيها تصحيح لنظام الإقطاع وتقرير لبعض حقوق الإنسان .. أفاد منها النظام الاقتصادى ، بل والنظام السياسى ـــ كما أسلفنا ـــ ونشير إلى عديد من هذه المدارس والكتابات .

ـــ **كانت الصيحة الأولى هو جوحروشيوس** الذى أصدر كتاب قانون الحرب

والسلام ، وأشار فيه إلى أن للفرد حقوقا لاتقبل التبديل ولاسبيل للقضاء عليها وتبعه فى ذلك توماس هوبز (١٦٥١) ثم جون لوك (١٦٣٢ ـــ ١٧٠٤ م)

وقد كان لهم تأثيرهم فى إعلان الحقوق الأمريكى الذى صدر فى شكل دستور للولايات المتحدةالأمريكية وتبعهم جان جاك روسو مناديا بنظرية العقد الاجتماعى Contrat Social التى دعمت حقوق الأفراد الاقتصادية فضلا عن الحقوق السياسية ، وقد أثرت وأثرت إعلان الحقوق الفرنسى للإنسان !

ـــ وجاءت مدرسة التجاريين

تقيم الدولة على أساس قومى ، وتجعل قوتها من خلال التجارة ، وتجعل تحسن حالتها الاقتصادية رهينة بزيادة صادراتها على وارداتها .
ومن ثم كان الاهتمام بالزراعة وزيادة الانتاج الزراعى وكان الاهتمام بإنشاء شركات تجارية وتشجيع الصناعة ـــ وزيادة الصادرات من كل هذا الإنتاج .

ـــ وجاءت مدرسة الطبيعيين .

تقرر للأفراد حقوقا طبيعية .. فى مقدمتها حق العمل ، وحق التنقل ، واقتناء الثروة والتصرف فيها وارتفع من خلال هذه المدرسة شعار دعه يمر دعه يعمل Laissez Passer Laissez Faire واستغل الشعار فى المجال الاقتصادى ، وفى المجال السياسى كذلك ووضعت هذه المدرسة أساس المذهب الاقتصادى الحر

... ولئن كانت الكتابات السابقة كلها .. تمهيد للرأسمالية ، فإن الرأسمالية تدين بالولاء لكاتبها الاقتصادى الأول آدم سميث Adam Smith ومن ثم وجبت الكتابة عنه مستقلة

آدم سميث ..

صار آدم سميث علما للاقتصاد الرأسمالى بعد إذ وضع أسسه فى كتاب أنفق

فيه اثنى عشر عاما من عمره [1] ، وقد ساعدت ظروف على نجاحه نذكر منها :

أ ـــ أنه ساد قبل كتابه « عصر التنوير » .

ب ـــ أنه عاش فى بداية الثورة الصناعية .

ج ـــ أنه تميز بدقة الملاحظة مع القدرة على التعليم والدوافع الخلقية والظرف الأول والثانى خارجيان ، أما الأخير فخاص به .

ـــ وقد نادى سميث بعدة مبادىء :

أ ـــ القيمة الحقيقة للشىء بقدر ما بذل فيه من عمل ، وثروة الأمة بانتاجها الناجم عن العمل ، ويضيف أن الانتاج يزيد بتقسيم العمل واستخدام الآله

ب ـــ المنافسة لازمة لقيام الحرية الاقتصادية .

ج ـــ النقود أداة التبادل ، والمقادير الاضافية منها تسبب إرتفاع الأسعار

د ـــ لاغضاضة فى إقتضاء الفوائدعن الديون .

هـ ـــ ربط بين رفاهية الفرد وبين الحجم الكلى للعمل وعدد السكان .

ـــ ويعد سميث فيصلا بين عصر سبقه وعصر يليه

ففى مصدر الثروة : قال التجاريون إنها زيادة الصادرات ، وقال الطبيعيون إنها الزراعة ، وقال هو إنها العمل وفى الغاية من الانتاج قال من سبقوه إنها الربح أى مصلحة المنهج ، وقال هو إن الاستهلاك وقد تلا سميث كثيرون لكن أهمهم مثلا نشير إليهم على عجل : مالتس ، ريكاردد ، كينز .

مالتس Malthus (١٧٦١ ـــ ١٨٣٤)

اقترن اسمه بالحديث عن « الانفجار السكانى » المتوقع وقام مبدؤه على ثلاث دعائم :

أ ـــ أولها فى الدنيا هدفان : الغذاء ، والجنس ، أى بلغتنا الإنسان يعيش لشهوتى

(١) بدأه فى ١٧٦٤ وأصدره فى ١٧٧٦ ـــ وهى السنة التى أعلن فيها استقلال الولايات المتحدة وأسمى كتابه بحث فى طبيعة وأسباب ثروة الأمم ، وقد تنقل به بين جامعتى اسكفورد وجلاسكو وعين أستاذا بالأخيرة .

البطن والفرج .

ب ــ قانون تناقص الغلة : وطبقا له فإن الانتاج بعد حد معين تصبر نفقاته أكثر من قيمة الغلة .

ج ــ تكاثر النسل يتم بمتوالية هندسية لاتتناسب مع تزايد الموارد الغذائية ومن ثم نادى مالتس . بتأخير الزواج وتحديد النسل ويبدو أن زعماءنا وساستنا قد اعتنقوا فكر مالتس ونسو قول الله .. ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾[1] وقوله ﴿ ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليْهِم بركاتٍ من السماء والأرض ﴾[2]

وبلغه الاقتصاد .. فإن (الندرة) غير قائمة فى الوطن الاسلامى عقيدة وواقعا[3]

دافيد ريكاردو Ricardo (١٧٧٢ ــ ١٨٢٣)

تحدث فى كتابه « مبادىء الاقتصاد السياسى ونظام الضرائب » عن :

ــ مشكلة توزيع الثروة .

ــ الريع هو الذى يكون من غير مقابل ، والربح يكون بمقابل والأول مصدره امتلاك نوع نادر من المصادر الطبيعية ، والثانى مصدره العمل .

ــ الأجور تخضع للعرض والطلب وترتفع بارتفاع ثمن الحاصلات الزراعية .

كينز Keinz (١٨٢٣ ــ ١٨٧٥)

ايرلندى الوطن ، أدخل الرياضة للاقتصاد ، كان أهم ما قاله :

ــ قدم آخر النظريات فيما يتعلق بالنقود .

ــ تحدث عن الدورات الاقتصادية .

ــ تحدث عن أنه لابد من أن تفعل الحكومة شيئا لتخفيف البطالة وتحقيق الرفاهية Welfarestate

---

(١) سورة هود آية ٦ .

(٢) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٣) شرحنا ذلك فى مكان آخر ــ أما عقيدة فقد تقدم من القرآن ماينفى القول بالندرة وأما واقعا فقد جبى الله| ج

٢ ــ خصائص الرأسمالية :

نستطيع من خلال ما تقدم ، ثم من خلال التطبيق ، أن نتبين للرأسمالية خصائص ثلاث .

أ ــ الحرية الاقتصادية :

تلك الحرية المستمدة أولا من حقوق الإنسان الطبيعية التى نادى بها المذهب الفردى والقائمة على أصلين : حرية العمل ، وحرية التنقل وهى فى تطبيقها تقوم على :

ــ المنافسة الحرة .

ــ قانون العرض والطلب .

وقد مرت تلك الحرية بمرحلتين :

ــ أولهما : اقتصاد الرفاهية Welfare Staté

ــ ثانيهما : الاقتصاد الموجه Economie Derigé وفى الأخير تم تشذيب الرأسمالية أو تطعيمها بشىء من الاشتراكية .

ب ــ الملكية الفردية :

تعترف الرأسمالية بالملكية الفردية ، وتعدها حافزا هاما للإنتاج وللتقدم الاقتصادى .. بيد أنها قد مرت كذلك بمرحلتين :

مرحلة الملكية المطلقة من غير قيود .

مرحلة الملكية المقيدة أوالتى أطلق عليها أنها تؤدى وظيفة اجتماعية وكانت المرحلة الثانية تأثرا بالاشتراكية .

إلا أن الأخيرة تأثرت بالرأسمالية حين اعترفت بالحافز الفردى ، وحين أبقت على الملكية الفردية فى بعض البطاقات « حديقة المنزل ، أثاث المنزل ، سيارة صغيرة ثم ملكية صغيرة » .

= وطننا الإسلامى الكثير الذى ينفى عنه إمكان وقوع الندرة فيه اللهم إلا أن يكون عقابا ربانيا بذنوب أبنائه ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ﴾

ج ــ **الفائدة أو الربا :**

النظام الرأسمالى نظام ربوى ، وقد يشير ذلك إلى الأصابع اليهودية التى تعيش بالربا ، وللربا ، على الربا .. ويعترف التاريخ بأنهم أول من أنشئوا نظام المصارف وأنهم كانوا أول المستفيدين بالتكاثر « السرطانى » من غير جهد وقد أدى النظام الربوى إلى أزمات اقتصادية فى الدول الرأسمالية وقد رفضته الأنظمة الاشتراكية .

٣ ــ آثار الرأسمالية :

أما آثارها النفسية والاجتماعيه :

أ ــ فقد أدت إلى ضعف الوازع الدينى ، وطغيان الوازع المادى ، وصدق الله ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾(١)

ب ــ استغراق حياة الأفراد فى السعى على الرزق وفى المزيد من المادة « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » وما ترتب على ذلك من فقدان الإحساس بالآخرين ، ومن التعالى « ومعه الريال ، والدولار » والكبر والغرور وأخيرا أمراض الترف وقمتها الفجور ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾(٢) فضلا عن الأمراض العصبية التى تصاحب تضخم رؤس الأموال وزيادة نسبة الانتحارات .

ج ــ تثبيط الرغبة فى الخدمات الاجتماعية وهى مترتبة على فقدان الإحساس بالآخرين ، وانفصال الطبقة المالكة عن بقية الطبقات المسحوقة ، ومايترتب على ذلك من حسد وحقد .

أما الآثار السياسية :

فأولها ضعف طبقة الناخبين وتأثر ذممهم بمحاولات الشراء الرأسمالية .

وثانيها سيطرة رأس المال على الحكم

وثالثها انفصال الديمقراطية عن الرأسمالية .. بمعنى أنه لايلزم للديموقراطية أن يقوم نظام رأسمالى ، فإن دولا بعيدة عن الرأسمالية تقيم الديمقراطية مثل الدنمرك

---

(١) العلق / ٦ ، ٧ .

(٢) الإسراء / ١٦ .

والسويد والنرويج ، والديموقراطية فيها أكثر ازدهارا من الولايات المتحدة الأمريكية .

٤ — نقد الرأسمالية :

والنقد يشمل الوجهين وجه المزايا ووجه العيوب أما المزايا فيكفى فيها :

أ — الاعتراف بالفرد ، وشخصيته ، وحقوقه.. وهو أمر لابديل عنه ولا عوض عنه مهما كانت المزايا الأخرى !

ب — وفرة الإنتاج وجودته ، وهو أمر شاهد ، وعكسه قائم فى الأنظمة القائمة على الاشتراكية .

ج — اقترابها من الفطرة . فى شأن حب التملك ، وتوافر الحافز الشخصى على الإنتاج ... إلخ .

أما العيوب فيكفى فيها :

أ — انتشار البطالة ، وما يترتب عليها من مخاطر اجتماعية وسياسية .

ب — الكساد الاقتصادى ، فإن وفرة الإنتاج تؤدى بعد فترة إلى الكساد .

ج — الاحتكار :

وهو واضح فى النظام الرأسمالى وله عيوبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأخطره ما يتخذ نظام « الكارتيلات » الذى يترتب عليه التحكم فى السوق العالمية وفى الأسعار وأحيانا فى المواد النادرة وقد نشأت صورة أخرى حديثة للاحتكار وهى المشروعات المتعددة الجنسية حيث تقوم الشركات الكبرى بإنشاء فروع لها ولمصانعها فى دول عديدة كذلك يظهر ظلم النظام الرأسمالى فى فرضه سعر الفائدة .

وبعد

فلقد نشير فى نهاية هذه الكلمات إلى أن النظام الإسلامى إذا يأخذ مزايا النظام الرأسمالى فإنه يرفض عيوبه ، ويقيم نظامه الاقتصادى على أساس من التكافل

الاجتماعى عموده الزكاة التى هى حق معلوم وليست صدقة أو هبة أو فضلا ، فضلا عن رفضه الاحتكار بكل أنواعه ، والربا كذلك بكل أشكاله ، وعلاجه للكساد والبطالة بما يقيمه من توازن بين الفرد والجماعة وتكافل صادق بين أفراد المجتمع جميعا .

الفصل الرابع

الوجودية

« الوجه الاجتماعى الغربى »

تقدمة :

لئن كانت العلمانية تمثل « ردة » فكرية فرضت نفسها على الغرب رد فعل لسلوك الكنيسة ، فلقدكانت الوجودية « ردة » اجتماعية فرضت نفسها على الغرب وكانت هى الوجه الآخر للعملة الجديدة التى أفلتت من الدين أو ثارت عليه !

ولقد يذهب البعض إلى أن اليهود كانوا وراء مذاهب الوجودية بأسمائها المتعددة ، ولقد يؤكد ذلك ماجاء فى مخططاتهم أو كتبهم ، أو يفوح به سلوكهم . بيد أن الأمر لم يكن فى حاجة إلى تدخل يهود ... إن الإنسانية تميل إلى التردى ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ﴾[1] ، وإن الهبوط دائما أيسر من الصعود ، ولذلك فإن المجتمع الذى يفتقد التزكية ... فإنه يتردى إلى الهاوية سلوكاً وخلقا ومعاملات أمر يشهده كل باحث فى التاريخ أو فى الاجتماع ..

وإذا تفلتت أوربا من دينها ، وثارت على كنيستها .. فقد كان لابد أن يصحب ذلك .. تحلل فى سلوكها وانحلال فى أخلاقها ، وهبوط فى قيمها ، الأمر الذى صاحبته « الفلسفة » أو فسرته ، فضلا عن أنها حاولت نشره !

ولئن عرفت الفلسفة متأخرة ، فلقد كان السلوك سابقا عليها ، ملازما لذلك التفلت من الدين أو الخروج عليه .

---

(١) سورة التين آية ٤ ، ٥ .

نشأة الوجودية :

لن نفرق فى الحديث عن الفلسفة ومذاهبها .. إنما يكفى أن نشير إلى أن من أوائل من تحدث عن الوجود والوجودية كيركجورد[1] الذى أشاد « بالوجود الفردى » مشيرا إلى أن الإنسان يهتدى إلى وجوده بنفسه مستقلا عن الآخرين ، مؤكدا أن الطريق إلى ذلك« الهدى » إما الصدمة العاطفية القوية ، أو يقظة الضمير ، أو ضربة من ضربات التجارب

بيد أنه يسبق ذلك الكيركجورد فيلسوف فرنسى يدعى[2] « بسكال يليز » الذى راح يردد كل ماأراه فى الطبيعة هو موضوع شك وقلق ، وإن كنت لا أرى شيئا يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده ، ولو شاهدت آيات خالق فى كل شىء لاسترحت بالإيمان ، ولكن ماأراه هو أكبر من أن أستطيع إنكاره ، وهو أقل من أن يقنعنى فأنا فى حالة تستوجب الشفقة »[3]

ولقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك ، فيربط الوجودية بالفيلسوف اليونانى سقراط الذى عارض فلاسفة عصره فيما ذهبوا إليه من بحث فى طبيعة الكون أو أصل المادة ليرد الناس إلى حقيقتهم ولينادى نداءه الشهير « اعرف نفسك بنفسك »

ومن بعده « الرواقيون » الذين فرضوا « سيادة النفس » وأعرضوا عما غرق فيه السوفسطائيون من جدل عقيم [4]

بيد أنه يبقى ارتباط الوجودية ببسكال الذى رسم طريق « الوجودية الحديثة » ثم كيركجورد الذى عده رجال الفكر الغربى أبا للوجودية .[5]

---

(١)ولد عام ١٨١٣ وهلك عام ١٨٥٥

(٢) ولد عام ١٦٢٣ وهلك عام ١٦٦٢

(٣) الوجودية المؤمنة والملحدة د. محمد غلاب وراجع : الدكتور عبد الرحمن عميرة فى بحثه القيم المذاهب المعاصرة

(٤) راجع د. عميرة ــ المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق ولقد ظهر فى روسيا أمثال بيرد يائيف ، شبستوف ، سولوغييف .

عوامل ظهور الوجودية وانتشارها :

يذكر البعض عدة عوامل ساعدت على ظهور الوجودية وذيوعها من أهمها :

١ ـــ تحكم الكنيسة فى شئون الناس ، وفرضها آراء تصادم العقل ، وتصادم من قبله الفطرة ..

ويعبر « كيركجورد » تعبيرا ساخرا عن أثر الكنيسة فى نفسه بقوله « إن الصليب هو الصورة الوحيدة ، والانفعال الوحيد اللذان كانا عندى عن المنقذ ، ورغم طفولتى كنت كأنى رجل مسن ، وقد رافقتنى هذه الصورة كل حياتى ، ومنذ طفولتى الأولى نفذ سهم الحزن فى قلبى ، ومادام فيه فإننى سأظل ساخرا ولو انتزعته لمت » .

٢ ـــ الحروب .. العالمية التى أورثت الشعوب الجوع والتشرد والحرمان ومن هذا الباب نداء ترديبف الذى عاش عصر القيصرية ثم أزمة الشيوعية وما ساقته من مشانق وهلاك ، ثم شاهد فى برلين دمار الحرب ، وذاق ذل الاعتقال ، وشاهدالجماجم والجثث وسنابك الاحتلال تدوس هذا وذاك .. وكان مع هذا دعوته للجرذان التى عاشت تحت الأنقاض سنوات ، وفى الخنادق أعواما أن هبوا من نومكم ، وأفيقوا من سكرتكم ، وأعيدوا مافقدتم من أيامكم ، واطرحوا وراء ظهوركم كل مايربطكم بأمور الدين ، ومبادىء الخلق ، وقواعد العرف[1] .

٣ ـــ ونضيف إلى هذين عاملا ثالثا .. أشرنا إليه من قبل هو الميل البشرى إلى التردى ، وهو ميل يساعد عليه خفة الوازع الدينى أو اختفاؤه ، كما يساعد عليه كراهية « رجال الدين » من خلال سلوكهم مع الناس وأمام الناس وقد توافر ذلك كله فى الغرب .. بل توافرت له ثورة على الدين تمثلت فى قولتهم « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس !

---

(١) المرجع السابق .

ارتباط الوجودية الحديثة بسارتر .[1]

ليس هو منشيء الوجودية ، ولاباعثها ، وإن كان ذلك ليس بالشرف الذى يستحق الادعاء ! ... بيد أن تلاميذه ــ وهم كثر ــ له ولها مروجون وتقريرا للواقع فقد ذاعت الوجودية مقترنة باسم جان بول سارتر ولقد يكون له « فضل » أو بعبارة أصح « إثم » أو « كِبْر » إذاعتها ، بيد أن الظروف التى عاشهـا ، والحروب التـى قضى عمره مصاحبا لها « الحرب العالـميـة الأولى . والحرب العالـميـة الثانيـة » وهما حربان ذاقت أوروبـا منها وفيهـما الويـلات ــ كل ذلك كان له الأثر الأول فى ذيوع الفكرة وشيوعها ، واعتناق الشباب الكافر بالمثل ، الـمرتدعن كل القيم لهذه الأفكار .

وكان لإعلان سارتر « إن الإنسان لايستطيع أن يوجد ذاته إلا باطلاق العنان لرغباته وشهواته ، بحيث يفعل مايشاء ويترك ما يريد ، ولايبالى العرف والدين .

وكان لسلوكه الخاص فى ارتباطه بمن تدعى « سيموردى بوفوار » ارتباطا غير شرعى ــ أى بغير عقد زواج وترددها معه على الـمؤتمرات والاجتماعات والمحاضرات ، وإعلانها عن هذا الارتباط الآثم باعتباره « مثلا » ونموذجا للإخلاص بغير زواج ... كان لهذا السلوك أثره فى ضرب القدوة السيئة لشباب هذا الجيل .

ولقد أخطأ البعض حين ظن « الوجودية مدرسة واسعة النطاق ينتمى إليها الـمؤمنون والـملحدون ، وبين فلاسفتها أناس متدينون ، إذ ليست الوجودية فى ذاتها دعوة مخالفة للدين ولا للعقائد الخلقية ، وليس بين مذاهبها من وحدة

---

(١) ولد المذكور فى عام ١٩٠٥ ، وظهر بالأجريماسبون فى الفلسفة عام ١٩٢٩ وأصدر فى عام ١٩٣٨ روايته « الغثيان » وفى عام ١٩٣٩ مجموعة قصص « الحائط » .وأسر فى عام ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ وفى عامى ٤٢ ، ١٩٤٣ أصدر « المتخيل » و « الوجود والعدم » كما أصدر مسرحيتى « الذباب » و « الباب المغلق » وقد استغل تلاميذه بعض المواقف فى حياته لوصفه « بالبطولة » ووضعه موضع « البطل » منها قتاله ضد المحتلين فى باريس ، ورفضه استعمار الجزائر ، ورفضه جائزة نوبل ولسنا فى مجال (تقويم) الرجل ومواقفه ، لكننا فى مجال تقويم فكره .. وهو بلاشك فكر ساقط بالمعيار الإسلامى السليم ، وكذلك بكل معيار يعتد بالقيم والأخلاق !

مشتركة غير إنصاف « الشخصية الإنسانية » أمام الجماعة فى عصر شاعت فيه قيمة الكثرة والزحام ، وقلت فيه قيمة المزايا والصفات .

نقول أخطأ البعض إذا أحسن الظن بالوجودية ، وهى فى بدئها على يد كيركجورد خروج على الدين وفى خاتمتها على يد سارتر خروج واضح على العرف والدين وإطلاق العنان للرغبات والشهوات .

تقويم الوجودية :

* إطلاق المبدأ على الوجودية .. ظلم للمبادىء .
وإطلاق النظرية عليها كذلك .. ظلم للنظريات !

* وهى لاتعدو أن تكون « ارتكاسة » أو تسجيل لهذه الارتكاسة ، أو تبرير نظرى لواقع عملى مترد !

* وهى بنصوص أصحابها خروج صريح على الدين ، ودعوة فاضحة لإطلاق الشهوات ومن ثم فالقول بأن فيها الملحد وغير الملحد .. قول غير دقيق يفتقد الأساس من أصحاب النظرية نفسها !
ولعل ما يمكن أن نقدم فيها قول الله سبحانه

﴿ أفرأيت من اتخذ الـٰهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا ، وما يُهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علمٍ إن هم إلا يظنون ﴾[1] .

---

(١) أخذنا هذا التعليق القرآنى الأصيل الكريم ـ د. عميرة ـ المرجع السابق والآيتان من سورة الجاثية ٢٣ ، ٢٤ .

ملخص للاتجاه الغربى

العلمانية

(الأيدلوجية الفكرية)

الديموقراطية

الوجه السياسى الغربى

١ ــ مبدأ سيادة الأمة

٢ ــ مبدأ المشروعية

٣ ــ الحقوق والحريات العامة

الرأسمالية

الوجه الاقتصادى الغربى

الوجودية

الوجه الاجتماعى الغربى

الباب الثانى

التيار الفكرى الشيوعى

١ ـ فصل تمهيدى .
٢ ـ أسس الشيوعية الفكرية « الأيديلوجية الماركسية
٣ ـ النظام الاقتصادى الاشتراكى « الشيوعي » .
٤ ـ النظام السياسى والاجتماعي « أسس الدكتاتورية

الفصل الأول
فصل تمهيدى
أولا : بواعث الشيوعية وحقيقتها . *

فكر اليهودى مرد خاى ماركس لـم يعد خافيا فى بواعثه ولا فى حقيقته على أحد ! فالـماركسية ــ بمقاييس العلم ــ ليست بالنظرية المبتدعة التى لم يسبق لها أحد بل هى تكرار لأفكار قديمة ترجع إلى ماقبل الـميلاد ، ثم هى فى الحديث سرقة علمية من مجموعة فلسفات قال بها هيجل وفيورباخ وجرى التوفيق أو التلفيق بين أجزائها ، ومع ذلك بقيت تحوى التناقض وتصطدم بالعلم فى مسلماته الحديثة كما تصطدم بالفطرة والطبيعة فى حالتها السوية السليمة .

ولاجرم أن بواعثها كثيرة :

منها **الباعث الشخصى** فيما تحويه شخصية مرد خاى ماركس .. من حقد على الـمجتمع الذى عاش فيه فقيرا محروما عالة .. حتى على أفراد عائلته من النساء .. مما اضطره فى مرحلة من مراحل حياته أن يلجأ إلى « النصب » كوسيلة للتكسب . (١)

وما تحويه بعد ذلك من رغبة في الإتلاف والتحطيم ظهرت عليه فى باكورة حياته واعترف بها والده وكفى بشهادة الوالد دليلا على ولده . (٢)

وما تحويه أخيرا من ميل إلى التدلى والقذارة .. ظهرت على مظهره وملبسه وظهرت فى سلوكه الـماجن وحياته البعيدة عن القيم ، والتى انعكست أو تورثت فى إحدى بناته التى عاشت تعاشر إنسانا بغير زواج فلـما اكتشفت أنه متزوج من أخرى انتحرت . (٣)

ذلك الباعث الشخصي .. لابد أن يكون له تأثيره على فكر ماركس .. حقدا ،

---

* هذا الجزء مأخوذ من كتابنا « حاضر العالم الإسلامى »

(١) نشير بذلك إلى قيامه ببيع كتابه رأس المال لأكثر من دار نشر في وقت واحد وقبض ثمن الكتاب أكثر من مرة من أكثر من جهة .. وهذا بلغة القانون ولغة الواقع عملية نصب على مستوى التأليف والنشر .

(٢ ، ٣) راجع فى ذلك كتابنا شريعة الله حاكمة ــ فصل الشيوعية شبهة وفتنة وراجع كذلك كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد الشيوعية والإنسانية .

وإتلافا وتدليلا ، فإذا أضفنا إليه أنه يهودى من سلالة يهود انطبعت كل انحرافات اليهود فى نفسه ، وغذت ما فيها من حقد وإتلاف وتدل .

وكل إناء بما فيه ينضح .

فلا عجب إذا حوت الماركسية الحقد ، والإتلاف ، والتدلى !

أما البواعث الأخرى :

فقد تكون فى البيئة التى شجعت على نشأة هذا الفكر وعلى انتشاره .

تلك البيئة التى بلغ فيها طغيان الإقطاع الزراعى ومن بعده الإقطاع الصناعى أقصى صنوف الاستغلال .

والتى بلغ فيها طغيان الكنيسة وافتئاتها على العقول والقلوب أقصى درجات الطغيان ، كما بلغ فيها تحلل أكثر رجالها أقصى درجات التحلل واستغلالهم الدين لتحقيق الكسب المادى وفرض الإتاوات والتحالف مع الإقطاع الحاكم أقصى الدرجات كذلك .

كل ذلك على حساب شعوب أكثرها فقير ومحروم .. يتطلع إلى الإنقاذ فيسمع الصيحة الخادعة : ياصعاليك العالم اتحدوا ، فأمامكم عالم تغنمونه ، وليس فى أيديكم ماتفقدونه سوى الأغلال . فينخدع العالم المحروم بالصيحة ، ويحسبها صيحة الإنقاذ ، تماما كما قال رب العالمين :

﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شيء بأمر ربها .... ﴾ [1]

وهكذا تبدو الشيوعية بخداعها عارضا ممطرا ..

فإذا حلت كانت ريحا فيها عذاب أليم تدمر كل شيء ...

وقد تكون فى الأفعى التى تخفى رأسها وتنفث سمومها لتحقيق ما تواصت به فى

---

(١) الأحقاف آية ٢٤ .

توراتها الـمحرفة ، أو فى تلمودها الـمنحرف ، أوفيما أعقب ذلك .. تدميرا للأديان بل تدميرا للجنس البشرى من الجوييم « غير اليهودى » لتصل إلى خرافة سيادة الجنس اليهودى وامتلاكه للعالم . (١)

ولقد يؤكد ذلك :

١ ــ أن صاحب الفكر « مردخاى ماركس » يهودى
٢ ــ أن ممولى الثورة الشيوعية يهود (٢)
٣ ــ أن صانعى الثورة الشيوعية يهود (٣)
٤ ــ أن الذين توارثوا دولتها .. لينين ، ستالين .. كانوا يهودا .
٥ ــ أنها تواصت بالإبقاء على الدين اليهودى وحده ، رغم حملتها الساحقة .. على غيره من الأديان « يقول ماركس : الدين أفيون الشعوب ويقول روجية جارو دى فيلسوف الحزب الشيوعى الفرنسى السابق أن الدين انعكاس لشقاء فعلى واحتجاج على هذا الشقاء » . (٤)

أما حقيقة الفكر :

فهو سرقة علمية سطا فيها مرد خاى ماركس على فكر هيجل وفورباخ ليشكل منها نظرية تقوم على الـمادة والتناقض .

ثم هي ــ كما نسجها ماركس ــ صارت متخلفة عن ركب العلم ، تتمثل فيها الرجعية لـمن يصر عليها ..

---

(١) يقول ماركس نفسه : إن حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الأديان وذلك بتطبيق ما أسماه التحويل الاشتراكى للعالم بأسره ، وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية » عن كتاب المخطوطات التلمودية للأستاذ أنور الجندى ص ٧٩ » .

(٢) هم اسحق مونتمر شبشو ليفى ، درون وشيث .

(٣) هم : لينين ، بينهانون ، بوتريسوف ، تردتسكى ، مارتون ، اكسلرود ، تسازوتش ، وكانو ايكونون مجلسا للثورة منذ سنة ١٩٠٠ وسكرتيرته يهودية هى كريسا كابا زوجة لينين .

(٤) روجية جارودى ــ ماركسية القرن العشرين ص ١٤٢ ــ الطبعة الثالثة سنة ٧٢ تعريب نزيه حكيم وعنوانه الأصلى الفرنسى « التحول الكبير فى الاشتراكية » .
ومن فضل الله أن هذا الرجل ترك الشيوعية ، وترك الدين النصرانى ودخل الإسلام !

ذلك أن العلم لم يعد يعترف أن المادة هى ماتقع عليه الحواس كما قال بذلك ماركس ، ومن خلال نظريات الثقب الأسود وصل العلم إلى أن ماتدركه الحواس من المواد لايمثل إلا ٧ ٪ أما الـ ٩٣ ٪ فهى مواد لم تدركها بعد الحواس .

فماذا يضير قول ماركس عن المادة بمعيار العلم ؟

وهل يصح بعد ذلك أن يضفى صفة « العلمية » على اشتراكيته؟!

أما حديثه عن أن فى كل مادة تناقضا ، فإنه يفتقر كذلك للأساس العلمى ، إذ أن الملاحظ من الاستقراء والتتبع أن مافى المواد هو التزاوج والتكامل وليس على النحو الذى نرى ونشاهد ابتداء من الذرة وانتهاء إلى الجرم الكبير .

﴿ لاالشمسُ ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليلُ سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١)

وأن عنصرى السالب والموجب الموجود فى المادة على اختلاف طبائعها وأنواعها « مثل الذرة والكهرباء والمغناطيس بل والنبات والحيوان والإنسان » .

هذان العنصران ليسا متناقضين .. بل متكاملين ومتزاوجين .. ماداما فى حالتهما الطبيعة وهو الوضع الأغلب الذى تبنى عليه الأحكام .

ومن هنا كان قول الله سبحانه :

﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ . (٢)

لكن ماركس لم يستطع إدراك هذه الحقيقة وظن التزاوج والتكامل متناقضا بنى عليه نظريته وتطبيقاتها الخاطئة .

ومن خلال تلك النظرية الخاطئة علميا فى أساسيها « المادة والتناقض » قال ماركس بالتفسير المادى للتاريخ وبفائض القيمة « فى المجال الاقتصادى » .

---

(١) سورة يس آية ٤٠ .

(٢) سورة الذاريات آية ٤٩ .

وبالصراع بين الطبقات فى الـمجال الاجتماعى وبدكتاتورية البروليتاريا ودولة الصعاليك « فى الـمجال السياسى » .

وكذب العلم والتاريخ ماركس

وكان من أول الـمكذبين له فى القانون الأول صديقه انجلز ، إذ أعلن أن عوامل هامة تشكل التاريخ غير الـمادة ومن بينها الدين ذاته وهو ليس بمادة . (١)

وفى فائض القيمة الذى اعتبره حق العامل الكادح يأخذه الرأسمالى بغير مبرر لم يعد فى عصر « السبيرنتيكا » أو التشغيل الأوتوماتيكى لعمليات الإنتاج ، ولم يعد الربح مقابلا لجهد العامل .. بل إن العامل خف أو اختفى فى كثير من الـمواقع ليحل محله الـمهندس أو الـمدير الإدارى والفنى والاقتصادى .. وصار الجهد الـمادى الأكبر هو للآلة التى تـمثل الجانب الأكبر لرأس الـمال فى الـمشروع . (٢)

وتساقطت « علميا » دعاوى ماركس .

وفى الـمجال الاجتماعى تساقطت كذلك دعاوى الصراع بين الطبقات بتساقط دعوى التناقض نفسها التى قامت عليها دعوى الصراع .

وكذب التاريخ كذلك دعاوى الصراع بين الطبقات .. بما أثبته من قيام مجتمعات وعلى مدى طويل ليس فيها الصراع بين الطبقات وإنما بينها الـمودة والرحمة يتمثلها قول رسول السلام عليه الصلاة والسلام « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٣)

وفى الـمجال السياسى سقطت دعاوى دكتاتورية البروليتاريا بما قام فى الأنظمة

---

(١) شريعة الله حاكمة ـــ ليس بالحدود وحدها . ص ٢٠٤ للمؤلف .

(٢) مقالا طيبا للدكتور صلاح عدس لسبيرنيكا ضربة علمية للماركسية .
مجلة الثقافةالمصرية ـــ السنة الثالثة ـــ العدد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧٥ م .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب ٨./ ١٢ . ومسلم فى البر والصلة ٤ / ١٩٩٩ رقم « ٢٥٨٦ » . عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

الشيوعية الحاكمة من دكتاتورية طبقية لاتمت إلى البروليتاريا بسبب ، تعيش عيشة القياصرة أو الأكاسرة ولايزال ذهب الكرملين يظلهم ، وزادوا عليه أن صارت لهم شوارع خاصة لايسير فيها غيرهم من أبناء البروليتاريا أو الطبقة الكادحة ...

وقامت دولة الصعاليك .. على صعاليك الفكر والسياسة ولصالحهم .. وليس لصالح الطبقات المحرومة الكادحة .

انتقال الفكر إلى الشرق الإسلامى :

نشأ هذا الفكر كله فى أوروبا وطبق فى روسيا لكنه بكل أسف انتقل إلى الشرق الإسلامى وهو دخيل وغريب على أهله ودياره نقله اليهود كما صنعه اليهود وهكذا تسامع الناس فى مصر بنقلة الشيوعية إليها :

هنرى كوريل ، وداؤول كوريل ، وريمون اجيون وهم يهود .. عاشوا بالشيوعية فى مصر فى مطلع هذا القرن .

ولاتزال الصهيونية تغذى الشيوعية بالعملاء وهى تفتح لها فى إسرائيل حزبا شيوعيا كان أول من دعا إلى الإسلام مع دعاة الاشتراكية فى الوطن العربى .

لكن هذا الفكر اصطدم فى الشرق الإسلامى بعقيدته لم يقبل الناس دعوى الإلحاد التى تحملها الشيوعية .

ومن ثم تلوث الأفعى وتلونت . وظهر تكتيك شيوعى جديد يعلن المسالمة مع العقيدة ،[1] والاعتراف بالأديان كمرحلة انتقالية حتى يتحقق التمكين

---

(١) فى مجلة العلم والدين التى تصدر فى الاتحاد السوفيتى « أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا .» لقد أدركنا فى الاتحاد السوفيتى منذ البدء خطورة لقاء الميراث الدينى على حاله فى المجتمعات السوفيتية مسيحية أو إسلامية ولازلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصا فى المناطق الإسلامية لذا قرر المؤتمر الثانى والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى زيادة اليقظة والحذر وتجديد العزم على قهر البعث الدينى فى المناطق الإسلامية .

وحين نستخدم الميراث الدينى وتظهر الاهتمام به فى مرحلة التحويل الاشتراكى فلنفعل ذلك وبين أعيننا وصية =

للشيوعية ثم يجرى بعد ذلك القضاء على الدين ، ومن ثم أعلنوا أنهم يريدون الشيوعية نظاما اقتصاديا مع الإبقاء على الإسلام كعقيدة ، ونصحوا عملاءهم بألا يهاجموا الدين ، بل نصحوهم بأكثر من ذلك بأن يؤدوا شعائر الدين .. كالصلاة والصيام والحج .. ليمكنهم من خلال ذلك أن يغزوا قلوب المسلمين « السذج » أو « البسطاء » ونجح العملاء إلى حد كبير ..

وتسمى بعضهم « بالحاج » وأصر آخرون على التردد على بيت الله الحرام معتمرين أو زائرين أو حاجين .

وهم فى التكليف الشرعى الصحيح كفار ليس لهم أن يدنسوا المسجد الحرام ، ﴿ إنما المشركُون نَجس فلا يقربوا المسجِدَ الحرامَ بعد عامِهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ﴾ .[1]

لكنه الخداع من ناحية .

والسياسة من ناحية أخرى .

وأعلنا فى أكثر من مكان أن الصلح بين الإسلام والشيوعية مرفوض ،[2] وأن التعايش بينهما مستحيل .

لأن الكفر والإيمان لايتعايشان .

والحق والباطل لايصطلحان .

﴿ بل نَقْذِفُ بالحقِ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هو زاهق ، ولكم الويلُ مما تصفون ﴾[3]

= الحجز التى تقول « حتى لو كان فى الإنجيل والكتب الدينية الأخرى صفحة هنا وآية هناك تصلح لتأييد التفسير الاشتراكى للأشياء فإن علينا دائما أن نتذكر بأن جوهر الدين معاد للاشتراكية . »

« بلشفة الإسلام — الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٢١ — ٢٣ .
الطبعة الثانية »

(١) التوبة آية ٢٨ .

(٢) راجع الغزو الفكرى للعالم الإسلامى وشريعة الله حاكمة ليس بـ حدود وحدها للمؤلف .

(٣) الأنبياء آية ١٨ .

وهى فتنة ننهى الأمة الإسلامية عنها ، ونسأل الله أن تنأى بنفسها عنها ، فلا تقبل بالشيوعية أو الاشتراكية نظاما اقتصاديا وللإسلام نظامه الاقتصادى .

﴿ واحْذَرهُم أن يفَتنوك عن بعضِ ماأنزلَ الله إليك ، فإن تَولوْا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناسِ لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسنُ من الله حكماً لقومٍ يوقنون ﴾ (١)

---

(١) المائدة آية ٤٩ ــ ٥٠ .

ثانيا : خطورة الشيوعية وحقيقتها .

* كيف تم للشيوعية امتلاك أضعاف مساحتها داخل الاتحاد السوفييتي ؟

* كيف تم للشيوعية الامتداد خارج الاتحاد السوفييتي ؟
كيف تم لها « السيطرة السياسية » على أكثر من نصف الأرض ؟
ماذا ينتظر خلال ال ٥٠ سنة القادمة .. إذا تم التوسع بنفس المعدل الذى تم خلال الخمسين سنة الماضية ؟

* من يمهد للشيوعية في العالم وفي أوطاننا ؟
كيف يخدع الجاهلون — وهم الأغلبية — بنداء الشيوعية الخادع ؟
كيف يمهد « جاهلون » آخرون للشيوعية بتصرفاتهم .

* كيف تقف أمريكا موقف الضعف إزاء التوسع الشيوعي .. ؟
هل يبرر « الوفاق الدولي » الموقف الأمريكى ..؟ أم أن هزائم أمريكا في فيتنام ثم لبنان ما يدفعها إلى التحسب إزاء مواجهة « الاتحاد السوفيتى » ؟
هل ينتظر للشيوعية أن تزحف إلى أرض أوروبا وأرض الولايات المتحدة .. وكم من الزمن تحتاج ؟

* مامدى تأثير موقف الشيوعية من الأديان على تحديد خطرها ؟

تلك أمور أجبنا عنها فى أماكن أخرى[1]، ونكتفى بتناول خطورة الشيوعية من ناحيتين

---

(١) راجع : التخطيط للدعوة الإسلامية — للمؤلف - أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ، الكيد الأحمر للشيخ حبنكة .

ا ــ من جهة المبادىء *

الشيوعية تقوم على مبادىء وقوانين ، وهى فى حقيقتها وجوهرها متخلفة وتافهة .. فالمادية الجدلية لم تعد تثبت أمام التحليل العلمى المنصف ؛ لأنه بعد استقرار نظرية « الثقب الأسود » أصبح من المستقر عليه علميا أن ما اكتشف من المواد يمثل ٧ ٪ وما بقى بغير اكتشاف يمثل ٩٣ ٪ ، وإذا كان ماركس لايعترف إلا بما هو محسوس من المادة فمعنى ذلك أنه بنى نظريته على ٧ ٪ وهوبناء منهار تماما من الناحية العلمية ..

والجدل عند ماركس القائم على افتراض وجود الشيء ونقيضه مع افتراض وجود الصراع بينهما .. هو الآخر غير سليم من الناحية العملية ..

فالثابت بالاستقراء على مستوى الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، ثم الجماد فى أصغر جزئياته أن السالب والموجب عنصران متكاملان وليسا متناقضين ما داما فى الحالة المستقرة لهما ــ وهى الأصل ــ .

ومن تكامل العنصرين وتزاوجهما توجد الحياة وتعمل وتتحرك ، ولايوجد التناقض إلا إذا خرجا على الأصل إلى الاستثناء ، والاستثناء ــ علميا ــ لاحكم له .

ومن ثم فالجدل القائم عليه نظرية ماركس متخلف وغير صحيح علميا .

وصدق الله العظيم :

﴿ ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زَوْجين لعلَّكم تَذَكَّرون ﴾ (١)

ومابنى على المادية الجدلية من قوانين ينهار بانهيارها كذلك .

فالقول بالتفسير المادى للتاريخ ينهار بانهيار أساسه من المادية الجدلية ويؤيد انهياره ويؤكده اعتراف ماركس نفسه ورجوعه عنه كما جاء على لسان رفيقه

---

* هذا الجزء عن كتابنا (التخطيط للدعوة الإسلامية) ــ رابطة العالم الإسلامى ــ الدعوة الإسلامية بين اليوم والغد ــ دار المجتمع ــ جدة .

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ .

وصديقه إنجلز ، كذلك يؤيده ويؤكده أحداث التاريخ ..فالتاريخ الإسلامى الذى استطاع أن يفتح نصف الدنيا فى نصف قرن لم تكن المادة هى التى تحركه وتدفعه والذى امتلك فى ثمانين عاما ماامتلكته الإمبراطورية الرومانية فى ثمانمائة عام لم يكن لمادة ماركس مكان فيه ..

والقول بالصراع بين الطبقات ينهدم بهدم فكرة التناقض ، وبما قام فى المجتمع الإسلامى ومن قبله مجتمعات الأنبياء والصالحين وأن صاحب رأس المال باستئثاره بالربح الزائد عن أجر العمل يكون مغتصبا لحق هذا العامل هذا القول صار متخلفا وغير صحيح فى عصر « السبيرنتكيا » أو التشغيل الآلى للإنتاج إذا لم يعد جهد العامل محسوسا بل صار قاصرا على مجرد إدارة زر كهرباء فى أكثر الأحيان بل لقد حل المدير الفنى والمهندس محل العامل فى حالات كثيرة ، ليقوم دون حاجة إلى أيد عاملة بالإدارة الفنية لآلات المصنع .

ومن ثم إذا صح أن يُرّد الفضل إلى أحد بعد الله .. فهو إلى الآله التى تتعب وتنتج وليس إلى العامل الذى يتفرّج ويقتصر دوره على تشغيل الآلة تشغيلًا ذاتيا « أوتوماتيكيا » !

وهكذا لاتصمد مبادىء ماركس كثيرا أمام التحليل العلمى ..

ولاتصمد كثيرا أمام تطبيقاتها العملية فى الدولة الأم ..

فالفردوس الذى منّت به الشيوعية العمال .. ليس له وجود فى الاتحاد السوفيتى بل إن الملوك الجدد للشيوعية يعيشون حياة لم يعشها قياصرة الأمس الذين ثاروا عليهم !

ــ لكن يبقى للمبادىء خطران :

« أولا » : جهل الناس بها ، وخاصة الطبقات التى تخاطبهم الشيوعية ، وهى طبقات الصعاليك كما يسميه ماركس نفسه ــ فهذه الطبقات بمقتضى قلّة حصيلتها ، بل وقلة حصانتها غير قادرة على التمييز بين الغثّ والسمين ، وبين الخبيث والطيب .

« ثانيا » : تمهيد الجاهلين لها ، والجاهلون الذين يمهدون فى بلادهم للشيوعية غير راغبين فيها ولكنهم بحماقتهم يُمهدون لها ، فيمارسون الظلم الاجتماعى الذى يظن فى ظله الناس أن الإنقاذ لهم فى الشيوعية بما تنشر من خداع العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الطبقات ، ويمارس بعضهم مع الظلم الاجتماعى تصرفات شخصية طائشة يبدو فيها الترف الداعر فى أقصى بل أقسى صورة .

يساعد على هذا وذاك قصور فى نشر الدعوة الإسلامية ، وهى وحدها الدعوة الحق القادرة على الصمود فى وجه أية مبادىء أخرى ، ثم خلو الساحة من مبادىء تقف فى وجه الشيوعية !

ويجرنا هذا الحديث إلى الخطر الثانى ..

ب — تهيؤ الأرض للنبت الخبيث :

هذا هو الخطر الثانى للشيوعية :

وهو خطر ليس فى ذات الشيوعية ولكن فى خارجها .. فى انفساح الأرض أمامها .. وهذا الانفساح راجع إلى عدّة عوامل منها ما قدّمناه من جهل المستمعين ، ومن جهالة الحاكمين ، لكن هناك سببا رئيسيا يرجع إلى سكوت الكتلة الأخرى ووقوفها موقف المتفرج إزاء التوسع الرهيب للشيوعية فى الأرض التى تبسط عليها سلطانها ، هذا السكوت الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى ظن البعض بتقسيم مناطق النفوذ وفقا للوفاق الدولى بين الكتلتين وهو وإن كان صحيحا فى بعض المواقف وبعض الأحيان إلا أنه ليس صحيحا على الإطلاق ... لأن ترك الشيوعية على هذا المعدل من التوسع معناه أنها فى أقل من نصف قرن يمكن أن تملك الدنيا بما فيها أرض الولايات المتحدة نفسها ! وهو الأمر الذى لانظن أن الولايات المتحدة قد أعطت عليه التوافق أو الوفاق ! وإلا لافترضنا منتهى السذاجة فى سياسة الولايات المتحدة إن لم نقل منتهى الخيانة الوطنية فى جانبهم !!

ونظرة إلى المساحة التى فرضت عليها الشيوعية سلطانها غداة انتصار ثورتها المشئومة ثم نظرة إلى المساحة التى بلغتها بعد عشر سنوات (تقريبا عشر أمثالها)

ثم نظرة إلى المساحة التى بلغتها اليوم بعد نصف قرن من قيامها (عشر أمثال أخرى تقريبا) .. كل ذلك يؤكد النتيجة التى انتهينا إليها ... أنه لو بقى سكوت الكتلة غير الشيوعية لانتهى العالم إلى سلطان الشيوعية المطلق بعد نصف قرن من الزمان !

ولقد أحسنت روسيا استغلال الوفاق الدولى ، واجتهدت أن تضم كل يوم أرضا جديدة ، مرة عن طريق الانقلابات العسكرية التى قلدت فيها الولايات المتحدة ، ومرة عن طريق الثورات الشعبية التى تمدها وتغذيها بكل شيء ، ومرة ثالثة وأخيرة عن طريق الغزو العسكرى الذى عادت به إلى سيرتها الأولى ، فكانت بذلك تمثل قمة الرجعية إذ عادت إلى مالفظته المجتمعات الدولية فى القرن العشرين ، وماأكدته مواثيقها الدولية والعالمية من رفض انتزاع الأرض بالقوة ، ومن تصفية للاستعمار العسكرى القديم ووقفت أمريكا موقف العجز إزاء ماتفعله روسيا .

ــ أحيانا تحسبا من انهيار الوفاق واندلاع حرب عالمية .

ــ وأحيانا تخوفاً من الهزيمة ومايلحقها من عارخاصة بعد هزيمتها فى فيتنام والدرس القاسى الذى خرجت به .

ــ وأحيانا لاستحالة التدخل لاقتراب المكان من النفوذ الروسى وبعده عن الأرض الأمريكية وأحيانا القواعد الأمريكية .

ولم يحسن الكثيرون تفهم حقيقة الموقف الأمريكى .

وراحوا يفسرونه أحيانا بأنه تقسيم لمناطق النفوذ ، وأحيانا أخرى بأنه رغبة فى القضاء على الحركة الإسلامية أو الدعوة الإسلامية ...

ولم ننكر فى يوم هذا ولاذاك ، ولكن لاينبغى دائما أن نطلق الشعار بغير نظر لما يجرى وحقيقة مايجرى !

وربما فضلت الولايات المتحدة أن يفسر تصرفها بالاتفاق أو الوفاق على أن يفسر بالعجز الذى ابتليت به السياسة الأمريكية القائمة على الحسابات الألكترونية فى مواجهة السياسة الروسية التى تتسم بشيء من التهور المحسوب مستغلا

الجمود الألكتروني الروتيني الأمريكي !

وتكفينا هذه الكلمات عن الوجه الثاني من أوجه الخطر لننتقل إلى الوجه الثالث من الخطر وهو خطورة الأهداف كعنصر مستقل لأهميتها وخطرها .

(جـ) الأهداف :

ــ قد يقال إن خطورة الشيوعية فى أهدافها والتى تتمثل فى :

١ ــ فى نظامها السياسى

الذى تنهار فيه القيم بدعوى هدم القديم ، والقضاء على البرجوازية ، وتمكين طبقة البرولتاريا ، إلى غير ذلك من الشعارات التى تطلقها الشيوعية .

وماتعتنقه الشيوعية فى هذا السبيل من تحريض على الثورة باعتبارها السبيل الأمثل للتمكين للشيوعية ، وهو سبيل اتبعته الشيوعية فى مرحلتها الأولى لكنها فى مرحلة ثانية لجأت إلى اللعبة التى لجأت إليها الولايات المتحدة الأمريكية وهى لعبة الانقلابات العسكرية وفى مرحلة ثالثة رجعت إلى سياسة الرجعية البغيضة وهى رجعية الاستعمار والاحتلال العسكريين كما حدث فى أفغانستان ، وكما حدث من قبل فى تشيكوسلوفاكيا والمجر وإن بررت التدخلين فى البلدين الأخيرين بوقوع العدوان على المبادىء الشيوعية داخل الدائرة الشيوعية التابعة لها !!

والشيوعية فى كل أساليبها : الثورة ، أو الانقلابات العسكرية ، أو الاحتلال العسكرى تستحل الدماء بشكل رهيب ورعيب لم يماثلها فيه استعمار قديم أو جديد !

وبالتأكيد تستحل مادون الدماء من أعراض وأموال !

والأحداث ليست بالبعيدة .

مافعلته على أرض المسلمين فى الاتحاد السوفيتى غداة انتصار ثورتها ضحاياه ملايين ! ما فعلته فى انقلاباتها وثوراتها يرتفع إلى مئات الآلاف !

مافعلته فى احتلالها الأخير لأرض أفغانستان ، وسفك الدماء ، ووسائل الفتك المحرمة دوليا ... أمر يعجز البيان عن وصفه أو الإحاطة به .

تلك هى الفوضى التى نعنيها ... يليها دكتاتورية بغيضة تفرضها الشيوعية فى كل بلد تمكنّت فيه . وهى دكتاتورية جعلت روسيا نفسها تعيش وراء ستار حديدى حوالى أربعين عاما !

والغريب أن يتم ذلك باسم طبقة الكادحين أو كما يسمونها الصعاليك ، والكادحون أول من يُلْقى فى أفران الدكتاتورية ... ليكونوا وقود الدفء لسادة الكرملين ومن شابههم من الحكام الشيوعين !!

٢ ــ ماتشيعه الشيوعية من فوضى اجتماعية :

تتم تحت ستار إزالة الفوارق بين الطبقات ، ويتم معها إزالة القيم الاجتماعية التى تعيش فى ضمير المجتمع وتحكم علاقاته ، ليحل التطاول محل الاحترام ، ويحل أكل حقوق الناس محل صيانتها ، وتحل مع ذلك كله صور الانحلال والحيوانية التى تغذيها الشيوعية وتحرص عليها لتلهى الناس وتغرقهم فى مستنقع الغريزة الآسن ... فلا ينظرون ولايفكرون . ولئن لم تصل الشيوعية بعد إلى فرض إلغاء الأسرة وشيوعية النساء وتبعية الابن أو نسبته إلى الدولة باعتبار ذلك مصادرة للفطرة والطبيعة ، فلقدْ وصلت فى مجال علاقات الرجال بالنساء حداً حيوانيا فاق ماوصلت إليه بعض دول الغرب تحت اسم التحرر أو الوجودية ، يساعد على ذلك ما عجزت الشيوعية فى بلادها عن توفيره للأسر وهو المسكن ، مما ألجأها إلى إسكان الأسرة فى حجرة واحدة ، وأحيانا أكثر من أسرة فى حجرة واحدة ، مما جعل ممارسة الغريزة ترتفع عنها السمة الإنسانية وتهبط إلى مستوى حيوانى تأنف منه بعض كرائم الحيوانات .

كل ذلك بالإضافة إلى أن الشيوعية وإن نجحت فى إلغاء الطبقات فقد أبقت على طبقتين : طبقة أسيادهم الحكام والحزب الواحد ويتبع هؤلاء وأولئك جواسيس وأجهزة مراقبة ، أما الطبقة الثانية فهى « طبقة عبيد » ... وهى تشمل الشعب كله فيما عدا الطبقة الأولى ... !

والذين اتبعوا طريق الشيوعية من حكّام العالم الثالث ـــ بتعبيرهم ـــ أقاموا نفس العبودية بين الناس فى الوقت الذى رفعوا فيه وزعموا شعارات الحرية ، ورفع الرأس ، وماعدا ذلك من الكذب الذى كشفته الشعوب متأخرة !

كل ذلك إلى جوار ما تشيعه الشيوعية من تباغض وتنافر بين الطبقات ربما لـم يكن له وجود قبل تطبيقها فى أكثر الأحيان وهو ناجم عن مايشيعه أعلامها من تحريض بعض الطبقات على بعض ليحل التنافر والتفرق فيسود معه حُكامُ الشيوعية ، ويضمنون به عدم اجتماع الناس عليهم أو ضدهم !

٣ ـــ فى نظامها الاقتصادى :

نتيجة إلغائها الحافز الفردى الذى يدفع دائما إلى مزيد من الإنتاج الأمر الذى أكدته الإحصاءات وصدقه التطبيق فى كل البلاد التى سلكت سبيل الشيوعية فتحقق لها فى مجال الإنتاج :

ضعف الانتاج كماً ، وضعفه كيفاً ...
أى تحقق تناقص الإنتاج من ناحية ورداءته ناحية أخرى .

وهو مااضطر روسيا فى الستينات إلى التراجع لإدخال شيء من الحوافز الفردية بعد أن فشلت وسائل القهر والإرهاب فى الحفاظ على وفرة الإنتاج وجودته ! وبرغم الأراضى الشاسعة الصالحة للزراعة فى الاتحاد السوفيتى فقد انحدر الإنتاج الزراعى بسبب إلغاء الملكية الفردية ثم بسبب المزارع الجماعية بأشكالها المختلفة ـــ انحدر حتى مدَّت روسيا اليد إلى أمريكا لتصدِّر لها القمح كما مدَّت يدها إليها لتصدر إليها التكنولوجيا والأجهزة الإلكترونية الحديثة !!

والجانب الوحيد الذى نجح فيه النظام الروسى الشيوعى هو جانب الإنتاج الحربى ، ويرجع ذلك إلى مايتسِّم به الإنتاج الحربى من خضوع للنظام العسكرى الذى يتمشى ويتجاوب مع الدكتاتورية التى يفرضها النظام الشيوعى ـــ بيد أن لنا أن نُسجّل ملاحظتين :

أولهما : أن هذا الإنتاج من ناحية الجودة والكفاءة أقل من الإنتاج الغربى .

وثانيهما : أن الشيوعية حين غزتها النازية وهزمتها لجأت إلى الإفراج عن الدين بل واستثارته عند الروس وبخاصة المسلمين منهم ، والهزيمة التى حاقت بهتلر فى النهاية كانت على أيدى أبناء الإسلام فى روسيا من بعد أن ظنوا بالحكام الروس خيراً إزاء وعودهم وتصريحاتهم ! هذا ما قد يسجله البعض أو يتصوره البعض من خطورة الأهداف .

ـــ لكن فى ظننا أن ثمة هدفين آخرين للشيوعية هما **أخطر الأهداف** جميعا !

أولهما القضاء على الأديان غير الدين اليهودى ...

وهو ماأكدته وثيقة من عهد لينين تنصح بعدم التعرض لليهود (ولا للدين اليهودى) ـــ باعتبارهم طائفة مضطهدة فى الوقت الذى طبقت على الدينين الآخرين (الإسلامى والمسيحى) شعارهم « الدين أفيون الشعوب » .

وما أكده واقع الاضطهاد للمسلمين والنصارى داخل الاتحاد السوفيتى . والتعرض حتى لحرية شعائرهم وإغلاق الكثير من المساجد والكنائس .*

وما أكده اضطهاد المسلمين فى كل بلد تصل إليه يد الشيوعية الآثمة .

ثانيهما : اتجاه الشيوعية إلى عالمية الدولة بعد مناداتهم لعالمية الفكرة :

الأمر الذى صار واضحاً لكل ذى عينين . ولم نعد بحاجة إلى التدليل عليه ويكفى أن نردد ماقلناه من قبل من أنه لو بقيت الولايات المتحدة ومن ورائها الغرب على نفس السياسة السابقة ، فإننا ننتظر أن تمتلك الشيوعية بقية العالم فى نصف قرن ... إلا أن يشاء ربّى شيئاً وسع ربى كل شيىء علما ! .

وهذا الذى نقوله تقرير فوق أنه نذير ! .

وهذا مانراه فى خطورة الشيوعية تحمل فيه النذير .

* كان عدد المساجد في الاتحاد السوفيتى آلافا وصار الآن خمسمائة لخمسين مليونا من المسلمين .

ثالثا : صلة الشيوعية باليهودية وصلتها بالأديان .

أ ــ صلتها باليهودية :

* كيف تنبأ العالم « سرجي نيلوس » بعد قراءة البروتوكولات عام ١٩٠١ بقيام الثورة في روسيا ؟

* ماذا قالت جريدة أمريكا هبيرد في ١٠ / ٩ / ١٩٢٠ « الثورة الشيوعية من تدبير اليهود » .

* ماذا قال لينين حين كتب إلى وايزمان : « على نجاح الثورة فى روسيا يتوقف بتحرير اليهود من كابوس ملوك أوروبا وحكامها الرجعيين ، ورفعهم إلى أسمى مراتب الدولة وسوف تحقق الثورة للشعب اليهودى المشتت أمانيه ، وبعد أن تزول القيصرية وكنيستها في روسيا تقام الدولة الماركسية الاشتراكية على الأسس التي خطط لها لتحقيق أهدافها البعيدة المدي في الغرب والشرق .

وكتب وايزمان إلى لينين : « إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود في فلسطين يتوقف على تدمير الإمبراطورية العثمانية ، وبتدميرها تزول العقبات والحواجز التى تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد ، وعندما يتحقق ذلك تبدأ المسيرة اليهودية إلى أرض الميعاد « فلسطين » ونقيم دولة اشتراكية في المشرق ، وسوف نتخطى العقبات ونقود الشعب اليهودى وفقا للمخطط الذى وضعناه » .

* من الذى مَول الثورة البلشيفية عام ١٩١٧ ؟ « خمسة من كبار اليهود : جاكوب ، شيف ، جوجنهايم ، ماركس ، بريتوغ اتوكان » .

* كم عدد أعضاء مجلس إدارة الحرب والثورة ، وعدد اليهود فيهم ؟

كل ذلك يلقى ظلالا حول صلة اليهودية بالشيوعية .

ويبقى بعد ذلك ألاّ نقع فريسة التهويل فتضعف عزائمنا ، ونلقى الرعب واليأس فى

نفوسنا . (١)

ب ــ صلتها بالأديان

هل تقبل الشيوعية الأديان ؟

ــ يقول ماركس عن الدين : إنه الأفيون الذى يخدر الشعب لتسهيل سرقته ، وأن الدين كان وسيلة الإخضاع الروحى ، كما أن الدولة وسيلة الإخضاع الاقتصادى . وهو ترديد لما ذكره فيورباخ في كتابه الفلسفة المسيحية .

ــ يقول لينين في خطابه في المؤتمر الثالث (أكتوبر ١٩٢٠) في منظمة الشباب الشيوعي « إننا لانؤمن بالإله ...» عندما اختلف مع حاكيم جوركي واعتزل الأخير كتب إلى الأخير يقول له : « إن البحث عن الله لافائدة منه والآلهة لايبحث عنها ولكنها تخلق » .

ــ ماذا قالت صحيفة برافل : من قال إننا لانؤمن بشيء ؟ .. نحن نؤمن بثلاثة أشياء : كارل ماركس ، لينين ، ستالين ، ولانؤمن بثلاثة : الله ــ الدين ــ الملكية الخاصة

هل هو نفس الموقف من الدين اليهودى ؟ وثيقة من عهد لينين : استثنوا الدين اليهودى ، لأنهم مضطهدون (!)

---

(١) المراجع : (د / عميرة : المذاهب المعاصرة ، أساليب الغزو الفكرى ، مقال د / إبراهيم الشريفى ، ملف الدارسات والوثائق ، المدينة المنورة العدد ٦٠٩٨ ٣ / ٣ / ١٤٠٤ هـ والمراجع المشار إليها :

١ ــ موسوعة العلاقات الدولية ووثائقها ط ١ برلين ١٩٣٨

٢ ــ تاريخ الحركة الصهيونية باريس ١٩٥٠ .

٣ ــ صفحات من أسرار الحرب العالمية الأولى ــ أندرية ليسو ، باريس ١٩٢٤ .

٤ ــ من ستالين إلى وايزمان ، أرماشتيمسر باريس ١٩٣٩ .

٥ ــ محاضر اجتماعات سرية فى زيورخ عام ١٩٢٦ لبحث المخطط الثورى الاشتراكى الماركسى P . R . S , Mوالمخطط اليهودى الشرقى , P . J .O.

٦ ــ ج ٢ ص ٥٦٤ دائرة المعارف السوفيتية د عميرة ط ١٤

ماذا عن حقيقة موقفهم من الإسلام ؟ تقول دائرة المعارف السوفيتية / ... وضع القرآن وشرح خلال حكم ثالث الخلفاء العرب عثمان ، ثم أدخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن

ـــ وفق مابلغنا من معلومات ـــ بعض التغييرات (!) للتراث الإسلامى يعتبر محمد هو مشرع القرآن كما يعتبر مؤسس الإسلام ..

ـــ في قاموس الفلسفة الصادر في موسكو عام ١٩٦٧ تحت مادة الإسلام :

« ظهر الإسلام في القرن ٧ في الجزيرة العربية في فترة انتقال الشعوب العربية من نظام المشاعية البدائية إلى مجتمع طبقي وتوحدها فى دولة الخلافة العربية الدينية الإقطاعية وكان الإسلام انعكاسا فكريا لهذه العمليات وأصبح الدين المدافع عن مصالح الطبقات الحاكمة .. والقرآن إذ يعبر عن عجز الإنسان إزاء الله يحث المؤمنين على الصبر والخضوع لله ومندوبيه على الأرض واعدا إياهم في مقابل هذا بنعيم لاعهد لهم به في العالم الآخر ، عداوة الكفار ، والحط من شأن النساء ، وإباحة تعدد الزوجات هي الملامح المميزة للمحمدية . والإسلام يسوغ التفاوت الاجتماعى وينأى بالناس عن الصراع الثورى إلى انتظار لاجدوى عنه للسعادة في العالم الآتى »

وثيقة خطيرة تطالب :

١ ـــ مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه .

٢ ـــ تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين .

٣ ـــ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات .

٤ ـــ الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد .

٥ ـــ محاصرة الدين في جميع الاتجاهات .

٦ ـــ تشجيع الكتاب الملحدين .

٧ ـــ قطع الروابط الدينية بين الشعوب .

٨ ـــ هدم الضمير الدينى .

٩ ـــ مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي .

١٠ ـــ نقول عن محمد : إمام الاشتراكيين

١١ – تفسير القصص الديني تفسيرا ماديا تاريخيا .

١٢ – إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية .

١٣ – تحطيم القيم الدينية والروحية .

١٤ – نشر الأفكار الإلحادية .

١٥ – مهادنة الدين يجب أن تكون لأجل(١) .

ماهو التكتيك المتخذ حاليا مع الإسلام ؟ :

إنه

(١) المهادنة التي أشرنا إليها .

(٢) عدم إنكار أثر الدين ومحاولة الإفادة منه وفى ذلك يقول مفكر شيوعى قبل أن يمن الله عليه بالاسلام أنه ينبغى عدم إنكار أثر الدين وأن هناك أملا فى أن يكون ثمة تعاون بين (ملايين الشيوعيين) و (ملايين المسيحيين)(٢) .

---

(١) المرجع المشار إليها ص ١٧١ .

(٢) أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك مع الأستاذ محمد شريف الزنين ص ١٢١ – والمفكر المشار إليه هو روجية جارودى سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى وصاحب كتاب (ماركسية القرن العشرين) وذلك قبل أن يمن الله عليه بالإسلام .

رابعا : تنبؤات ماركس وعوامل فناء الشيوعية .

أ ــ حول تنبؤات ماركس

١ ــ توقع أن تقوم الثورة في ألمانيا .

٢ ــ توقع أن تقوم الثورة في ألمانيا دولة صناعية (ذروة الصناعة)

٣ ــ توقع أن تزول الطبقة الوسطى قبل زوال رأس المال .

٤ ــ توقع أن تستبد طبقة الصعاليك بالحكام وحدث العكس .

٥ ــ توقع أن تبطل العملة .

٦ ــ توقع نظام لاحكومة فيه ولاجيش

ولم يصح شيء من هذه التنبؤات

فالننتقل بعد ذلك إلى عوامل فنائها لتحمل بعد النذير البشير .

ب ــ عوامل فناء الشيوعية .*

تحمل الشيوعية عناصر فنائها :

وشأن كل شيء فى الوجود معرض للفناء﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾(١) وليس صحيحا عقليا ولاعلميا أن المادة لاتفنى ... فإن الشيوعية فانية بإذن الله .

ولئن لم يكن صحيحاً ماقاله ماركس من أن كل شيء يحوى نقيضه . فإنه صحيح أن كل شيء يحمل عوامل فنائه ...

---

(١) القصص آية ٨٨ .

* هذا عن كتابنا « التخطيط للدعوة الإسلامية »

ولقد تختبىء عوامل الفناء فلا تظهر عوارضها إلا فى وقت متأخر ، أو لايظهر لها عوارض فيتم الفناء بغير سابق إنذار ...

فالرجل الهرم أو المريض ترى فيه عوراض الفناء ونذير اقتراب الأجل ... والشاب قد لاترى فيه عوارض الفناء لكنه ينتهى أجله فجأة ... .

ــ لكن الشيوعية ظهرت عليها عوارض الفناء وهى لاتزال بعد شابه ... فخمسين عاما من عمر الأمم ليست شيئا مذكورا ... بل إن الشيوعية ظهرت عليها عوامل الفناء وهى لم تزل بعد وليدة ... وفى هذا بشير بعد أن سُقنا النذير ! وعوارض الفناء بل عوامل الفناء ــ فى ظننا ــ ثلاثة . أولها داخلى ، وثانيها داخلى خارجى ، وثالثها خارجى .

(١) أما الداخلى :

داخل المبادىء نفسها : فمبادىء الشيوعية تحمل عوامل فنائها لأنها مصادمة للفطرة ! وقديما قال القائل :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب فى الماء جذوة نار !

ولقد تكلفت الشيوعية كثيرا ضد الفطرة ! فالفطرة الإنسانية ترنو دائما وتهفو إلى إله تعبده وتحبه وتلجأ إليه .

وإنكار هذه الفطرة ومصادمتها يعنى عدم قدرة المبدأ على البقاء ، ولقد اضطرت الشيوعية إلى التحوير أكثر من مرة .

واضطرت أخيرا فى المنطقة الإسلامية أن تسلم بالعقيدة والشعائر (تكتيكيا) وتقول : الإسلام عقيدة والشيوعية مذهب !... ولامانع من التعايش بين الاثنين ! .

وإنكار هذه الفطرة ومصادمتها دفع معتنقى المذهب إلى أن يبحثوا عن الألوهية فى ماركس أو لينين ... أو ستالين ... فأعطى بعضهم تلك الطواغيت ماهو خالص حق الله .

ــ وإنكارها الحرية فى المجال السياسى وفرضها « دكتاتورية البروليتاريا »

الحرية . والطائر لايسره أن تطعمه وتسقيه وتضعه فى قفص من ذهب !
ومن ثم كانت الدكتاتورية التى تعيش فى ظلها النظم الشيوعية نذير فنائها ...

ـــ وإنكارها الملكية فى المجال الاقتصادى ومصادرتها كذلك ضد الفطرة لأن حب التملك غريزة من الغرائز . والغريزة يستعلى بها ولكنها لاتصادر ، ومصادرتها يؤدى إلى رد فعل عكسى قد يتمثل فى الانصراف عن الإنتاج مما يسبب ضعفه كما حدث حين صودرت الملكيات الزراعية فى روسيا لتحل محلها المزارع الجماعية ، وليصير مالك الأرض أجيراً عليها ! وقد يتمثل فيما حدث من ثورات ومقاومات حين حاولت روسيا أن تفرض انتزاع الأرض من أيدى أصحابها فثاروا وأعدموا وروت دماؤهم أرضهم التى أحبوها ... ! .

ـــ وإنكار وشائج الأسرة فى محاولة لبلوغ غاية الشيوعية فى إلغاء الأسرة فى الجانب الاجتماعى كل ذلك إنكار للفطرة ...
فالإنسان مدني بطبعه ... وأولى درجات الاجتماعية التصاقه بأسرة ، وشعوره بجوها الدافىء الحانى ! .
هذه بعض لمحات عن عناصر الفناء فى المبادىء يجمعها أن فيها مصادرة للفطرة واصطداما بها الأمر الذى لايمكن معه أن يكتب لها البقاء .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أكثر هذه المبادىء هوى من ناحية التطبيق إلى الخداع والتضليل ، ويكفى مثالا على ذلك ما زعمته الشيوعية من حكم طبقة العمال أو الكادحين (أو البروليتاريا) الأمر الذى لم يتحقق فى الواقع ، ولم يكن لهذه الفئة إلا السحق والضغط والإرهاب ، ولم تكن السيادة ولا العلو إلا للحزب المتحكم أو بمعنى أصح للقيادة المتحكمة فيه ومن ثم المتحكمة فى المجتمع كله ! .

ولقد صارت القيادة إلى الفرد الواحد فى ظل الحكم الشيوعى ... ومن ثم فقد صارت له وحده السيادة بغير شريك ، وصارت أكبر جريمة فى الأنظمة الشيوعيةهى التآمر ... على الفرد الواحد ... الحاكم وحده بغير شريك ... ! .

...فإن الشيوعية تحمل عناصر الفناء مرتين : مرة فى مبادئها المنافيه للفطرة ، ومرة أخرى فى تطبيقها المخالف للمبادىء !! [1]

ـــ أما الشىء الداخلى الثانى فهو داخل الصف الشيوعى كله ... فقد أصيب بالانقسام ... وكان الانقسام قاسياً ... فصارت عداوتهم بعضهم لبعض أشد من عداوتهم لأعدائهم التقلديين .

ـــ انشقت الصين على روسيا ، واتهمتها بخيانة مبادىء الشيوعية واتهمت روسيا الصين بعد ذلك بممالأة الإمبريالية وبخيانة مبادىء الشيوعية ! وصارت عداوة الصين لروسيا ، وروسيا للصين أشد من عداوة أيهما لأمريكا أو الغرب ... ! وانشقت يوغسلافيا على روسيا وزعمت لنفسها » الحياد الإيجابى « ورفضت التبعية للدولة الأم روسيا .

ـــ وحدثت انشقاقات فى الصف الشيوعى ، ولاتزال ! ولعلها رحمة من الله فلّعل بأسهم يكون شديدا بينهم . ولعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم ، قبل أن تخرب بأيدى المؤمنين إن شاء الله !

ـــ وأساس الانقسامات وإن بدا خلافاً حول المبادىء ، ولكنه فى حقيقته وفى أكثره خلاف حول الزعامات والأشخاص والسلطان ! .

(٢) أما العامل الداخلى الخارجى :

فهو ما اعتادت عليه العقلية الشيوعية فى ممارساتها الداخلية والخارجية من استعمال العنف والقوة ... أو مانستطيع أن نطلق عليه : الغُشْم الشيوعى ! هذا الغشم الذى تمثل أولا فى تعاملهم مع المسلمين فى أرض الاتحاد السوفيتى ، والذى أبيد منهم الملايين ... قتلاً ، أو تجويعاً ، أو تشريداً فى ثلوج سيبيريا ... وتمثل ثانيا .. فى تعاملهم مع مواطنيهم ... تجسساً ، وإرهابا ، وكتما للأفواه ... فى كل بلد ابتلى بنظام شيوعى .

---

(١) وفى تطور خطير أخير ، أصدر سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتي ميخائيل جورباتشوف البريسترويكا ، ومما جاء فيه مناقضا للمبادىء الأولى .

أ ـــ مناداته باتجاه الجهود لإنقاذ العالم من مخاطر سباق التسلح والتلوث وفساد البيئة . =

النظام الشيوعي ، وأحداث المجر عام ١٩٥٦ م وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ م خير شاهد .

وتمثل أخيرا ... فى محاولتهم فرض نظامهم الشيوعى قسراً خارج دائرة نفوذهم على أرض أفغانستان .

ولن تتوقف النماذج والأمثلة ، ما لم تتوقف حياة النظام الشيوعى الذى يغزو كل يوم أرضاً أو نظاما ...

— والغشم الشيوعى وإن ضمن للنظام الشيوعى البقاء ابتداء ، إلا أنه يحمل لهذا النظام الفناء انتهاء ...

فلم يعمر نظام قام على غشم أو ظلم .

ولقد فقه فقهاء الإسلام هذه الحقيقة ، فقعدوها فى مبادىء : « إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على كفر ، ولايقيمها بالظلم ولو على إسلام » وإن كان لنا على ذلك تعليق ، فقد صاغها الحكماء فى كلمات قليلة : دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ! وهكذا ... تحمل النظم الشيوعية عنصر فنائها فى القسر والإرهاب أو كما أسميناه بانطوائها على « الغشم الشيوعى » !

(٣) أما العامل الخارجي :

فهو مابدأت تنتبه له القوى فى الغرب والشرق على السواء ، وتعمل له ألف حساب هو الصحوة الإسلامية التى بدت أو بدأت تباشيرها ... كما تلوح تباشير الفجر خلال ظلمات الليل البهيم !

والصحوة الإسلامية التى بدت أو بدأت ... هى نتاج جهاد طويل عمره اليوم أكثر من خمسين عاما ووقوده دماء عزيزة وغزيرة ... سالت على ثرى النيل ، وثرى

= ب — مناداته بالخسارة التى نجمت من (اغتراب) المعسكر الشرق عن المعسكر الغربى مما أدى إلى خسارة الاقتصادين .

جـ — حديثه عن الإخفاق والركود الاقتصادى بعد سبعين عاما من التطبيق الاشتراكى .

د — حديثه عن القيم الروحية والأخلاقية (!!) .

(راجع تحليلا رائعا للكاتب الإسلامى فهمى هويدى تحت عنوان قراءة إسلامية للبريسترويكا ص ٧ أهرام ١٢ ذى الحجة — ١٤٠٨ — ٢٦ / ٧ / ١٩٨٨ .

فلسطين ، ويسيل اليوم على ثرى سوريا وأفغانستان !

وهى إن بدأت داخل حدود الدول .. إلا أنها اليوم تخطت الحدود ، والتأمت لها سمة العالمية ... كما أنها من ناحية أخرى راحت تكشر عن أنيابها لترد العدوان قصاصا حقاً ... فيه عدل ، وفيه حياة !

ولئن لم تقو بعد أظافرها ... تمزق بها أعناق الكفر والطغيان ... فإنها — بفضل الله — صابرة وثابتة حتى يحكم الله وهوخير الحاكمين ... لكنها تجعل الجهاد فى قمة منهاجها بلوغا إلى حكم الإسلام ، ودولة الإسلام ! .

هذه الصحوة الإسلامية — وتلك معالمها — هى عنصر فناء الشيوعية بإذن الله ... لأن الشيوعية فى نظرها ... أول الأعداء ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ (١)

فجهاد الكفار واجب ! فإن كان الكفر معتديا ... فجهاده أوجب !

ومن ثم فلننتظر ، ولينتظر التاريخ أن يكون انهيار الإمبراطوريات الشيوعية الخاوية على أيدى المؤمنين :

﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾(٢)

— وهذا عن خطورة الشيوعية فى مبادئها ، وفى تهيئة الأرض للنبت الخبيث وسحبها من تحت أقدام الرأسمالية يوما بعد يوم ، ثم فى أهدافها . سواء ماتشيعه من فوضى اجتماعية أو فوضى اقتصادية ... ثم ماتهدف له من وراء ذلك من قضاء على الأديان وتحقيق العالمية للدولة . وبحديثنا عن عوامل فناء الشيوعية الداخلى منها « متعلقا بالمبادىء الشيوعية أو بالصف الشيوعى » والداخلى الخارجى « متمثلا فى القسر والإرهاب الذى تمارسه الأنظمة الشيوعية فى تعاملها داخل أوطانها وخارج أوطانها » — والخارجى المتعلق بالصحوة الإسلامية التى بدت أو بدأت تباشيرها وهى لاشك مزيلة ظلام الليل ... مشيعة نور الحق والعدل والمثل العليا ..

﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(٣)

---

(١) المائدة آية ٨٢ . (٢) الأنبياء آية ١٠٥ .

(٣) الصف آية ٨ .

الفصل الثانى

الأيدلوجية الشيوعية

الأسس الفكرية للشيوعية

تقدمة :

لاجرم أن الأساس الفكرى للشيوعية ، وقد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان ، إن أسندناه إلى ماشتهر به (ماركس)فإن أسندناه إلى من سبقوه ممن أخذ عنهم — (فيورباخ — هيجل) فإنه* يزيد على ذلك . فإن حاولنا بحث جذوره الفكرية في فلاسفة ما قبل الميلاد (هرقليط ٦ ق . م ،. زينون ، أفلاطون ٤٥ق. م ..) فإن الأمر يغدو محل نظر من جانب أنه قد عفا عليه الزمن .

فإذا كان هذا الفكر .. من صنع البشر ، وكان الفكر البشرى عرضة للتغيير والنماء ، فإنه بمقاييس الفكر الحديث « يعد شيئا رجعيا موغلا في الرجعية » وهذا بلا شك غير الفكر المستند إلى الوحى الإلهى باعتبار الوحى من عند الله الذى يعلم ماكان وما سيكون ، ومن ثم فإن ما ينزله لايتخلف عن العصر لأنه أعلم بالعصر من أبناء العصر !

وقد كان يكفي هذا — بمنطقنا أصحاب دين — لنرد هرطقة ماركس وانجلز ولينين .. خاصة بعدما كشف « العلم الحديث » عن مثالب في النظرية الماركسية تنالها من أساسها .

ومع ذلك ، ونزولا على « الموضوعية » التي التزمنا بها نحاول مناقشة

---

* قدمنا حديثا(سهلا) حول حقيقة الفكر ، وهنا نحاول التعمق مع مصطلحات ماركس للرد عليها (فكريا) والله المستعان .

موضوعية لأساس الفكر الماركسي ، ثم نتناول بعد ذلك نظامه الاقتصادى ونظامه السياسي ونظامه الاجتماعي .

الجدلية المادية أساس الفكر الماركسى :

إن المطالع لما كتب عن الماركسية ابتداء بماركس نفسه [(١)]، وانتهاء إلى أمثال « جارودى [(٢)] ممن حاولوا تطعيم النظرية الماركسية ، أو حقنها » بأسمنت مسلح مخافة السقوط يجد أن الأساس الأول للفكر الشيوعي هو فكرة الجدلية المادية .

والجدلية (**الديالكتيك**) . قائمة مع التبسيط الشديد ، على فكرة (وحدة الأضداد وصراعها أو بعبارة آخرة قائمة : على فكرة التناقض بين أجزاء المادة الواحدة ، وبالتالي بين أجزاء الكون ومن ثم بين ــ الطبقات ، وفي خلال التاريخ) وهذه الفكرة ليست في عالم الفكر ــ ابتكارا أحدثه ماركس ــ إنما هي مأخوذة عن هيجل الذى كان يؤسسها على أساس مثالى أقرب إلى الخيال ، فانتقل بها ماركس إلى « النقيض » ليؤسسها على أساس من « المادة » التي أخذها هي الأخرى عن الفيلسوف « فيورباخ » .

وزعم ماركس أنه بهذا قام بوضع النظرية على قدمها ، بعد أن كان هيجل واضعا لها على « رأسها » .

وعند هيجل ، كان يقيم الصلة بين الفكر (الوجود المطلق) ويطلق عليها (الدعوى) وبين الطبيعة ويطلق عليها (مقابل الدعوى) ليصل من هذه الصلة إلى جامع الدعوى ومقابل الدعوى (العقل المجرد) وهو الدين والأخلاق والقانون . ولم يكن رافضا لوجود الله ولاجاحدا له شأن خلفه ، وكان يطبق هذا القانون

---

(١) ماركس هو مؤسس المذهب « ١٨١٢ ــ ١٨٨٣ م » وفي عام ١٨٤٨ أصدر البيان الشيوعي ــ The Mane best وفي عام ١٨٧٦ أصدر الجزء الأول من كتابه رأس المال ، وأكمل انجلز الجزء الثانى والثالث .

(٢) جارودى أصدر في منتصف هذا القرن « ماركسية القرن العشرين » لكن الله تاب عليه وأسلم بعد ذلك .=

بين الفكر والموجودات الحسية على النحو الذى نراه في الرسم الوارد بالهامش(٣) .

مميزات هذا القانون :

١ ــ الاستمرار الذى لاتوقف له .

٢ ــ النفي من شأنه الاحتفاظ بالعناصر الصالحة فهو يفترض النفي والـمحافظة على حد سواء .

٣ ــ يرتد نفي النفي إلى أطروحته الأولى ولكن بشكل أغنى وأفضل .

ــ وعند كل دفع (ديالكتيكي) تتكامل دائرة أخرى أعلى من مستوى الدائرة التي كانت تمت قبلها .

---

(٣) الأطروحة

(نفي أو طباق)

(نفي النقل أو التركيب)

مرحلة الشيء في ذاته

نظام الشيء من أجل ذاته (ماهية)

نظام الشيء في ذاته ومن أجل ذاته
(مفهوم)

وعند ماركس :
انتقل بالجدول إلى نطاق المادة ، وفى داخلها ، فصار على النحو التالى :

١ ــ [الحنطة]
انعكاسات ردا أو نتيجة الانبثاق
[النبات الأخضر]
بلوغ تلك الانعكاسات ذروتها
[السنبلة]

٢ ــ الأطروحة [فى أحشاء المادة]
النفى الأول (الطباق) وهو
انعكاسات رد الفعل

نفى النفى (التركيب) وفيه تبلغ هذه الانعكاسات ذروتها ثم يتحول نفى النفى إلى أطروحة مرة أخرى لتبدأ ــ الدورة من جديد .

ـــ وترى الـماركسية في نظرية دارون في التطور وانتخاب الأصلح أكبر ثروة في الاستشهاد على صحة هذا القانون وقيمته .

والفارق بين الاثنين :

١ ـــ أن الكل عند هيجل داخل تحت الشيء من أجل ذاته لأن الـمرحلة الأولى (الشيء في ذاته) قاصرة على الشعور .

٢ ـــ تنبعث الحركة عند هيجل من منطلق واحد إلى دائرتين مختلفتين : مابين الشعور والروح (فيحيي حقائق الدين والقيمة الانسانية) ومابين الفكر والطبيعة (فتنمو فيها الوقائع والـمشاهدات) . أما الحركة عند ماركس فداخل الـمادة والشعور والروح ثانوى .

٣ ـــ هيجل يعترف بوجود الله أما هؤلاء فلا يعترفون .

أما الـمادة :

ـــ فهى أساس الوجود وينبوع الحياة ـــ كما عبر عن فكرهم أحد الكاتبين ـــ وهى موجودة خارج وعي الإنسان ، أسبق منه ، ومستقلة عنه ، وأما الروح ، والفكر ، والإحساس ، فهو نتيجة وثمرة للـمادة ! ولاوجود للوعي بدون مادة .

ـــ والـمادة لاتتوقف عن الحركة ، والحركة تعنى السير نحو التغيير .

ـــ وينتج عن ذلك أن العالم ـــ يعني الـمادة .. سرمدى وأبدى وكذلك الزمان !

(وكل ذلك حتي لايضطر إلى الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى) .

وعن القول بالجدل والـمادة :

قيل بالصراع بين الطبقات وبالتفسير الـمادى للتاريخ ! وكلاهما أولى في الـمجال السياسي إلى القول ب « دكتاتورية البروليتاريا » كما قيل في الـمجال الاقتصادى « بنظرية القيمة » !

نقد الجدل (الماركسي) :

سوف نعرض عن أخذها عما سبها وعما إذا كانت في أصلها على رأسها ثم صارت على قدمها أم أنها كانت على قدمها ثم صارت على رأسها ، أم أنها في الحالين على رأسها ! ولكننا نقول بإذن الله :

١ ــ إن القول بالتناقض « أو وحدة الأضداد وصراعها » قول غير دقيق وغير علمي . فالموجود فى الذرة ــ وهي وحدة المادة ــ حتى الآن هو الموجود في الكون .

مركز هو النواة فى الذرة « وهو الشمس في الكون » داخله شحنات موجبة « تحملها جسيمات تسمى البروتونات » بها صلة بشحنات سالبة « تحملها الالكترونات » والأخيرة تدور حول نفسها وحول النواة كما تدور الكواكب حول نفسها وحول الشمس .

وهذه الصلة بين الموجب والسالب ، والموجودة في جميع الخلائق الأصل فيها هو التزاوج . والتزاوج لايعني تضادا أو صراعا أو تصادما ... إنما يعنى « ألفة » و « مودة » و « رحمة » هذا في الأصل ، وإن وجد في الاستثناء غير ذلك فلنا عليه ملاحظتان :

أولا : أنه ليس هو الأصل والاستثناء لاحكم عليه .
وثانيا : أنه لايكون إلا باختلال يحدث في التكوين يعلمه علماء الطبيعيات كما نلمسه نحن فى دنيا الناس !

لكن طالما أن الذرة في حالة الاستقرار ، فهى كالأسرة في حالة الاستقرار يسودها الوئام ، والانسجام ، ولايوجد فيها « الصراع » ولا « القضاء » .

ولعل هذا ما أشار إليه القرآن ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[1] ، ﴿ سبحان الذى خلقَ الأزواجَ كُلَّها مما تُنبِتُ الأرضُ ومن

(١) الذاريات آية ٤٩ .

أنفسِهم ومما لايعلمون ﴾ [1]، ﴿ لاالشمسُ ينبغي لها أن تُدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ فى فلك يسبحون ﴾ [2]، وهذا هو الأصل الذى أشار إليه القرآن .

ــ وقد عبر فى الوقت نفسه عن الحالة العارضة التى تحدث عندما يخرج الأمر عن أصله ، ــ ﴿ ولولا دَفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدتِ الأرض ﴾ [3] وهذا الدفع بلوغا إلى القرار أو الاستقرار ، ودافعه هو الاختلاف ، وهو غير التناقض كاختلاف الليل والنهار والذكر والانثى ، ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلَ الذِينَ من بعدهِم من بعد ما جاءتْهُم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاءَ الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد ﴾ . [4]
ومشيئة الله وراء الأصل ، ووراء العارض ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ [5]

﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ؟ [6]

٢ ــ يضاف إلى ذلك : أن ماذهب إليه ماركس من تحول نفي النفي إلى أطروحة من جديد لتكون دائرة أخرى أعلى مستوى من الدائرة الأولى ــ أمر محل نظر لا يصدقه الواقع ، فكما أن هذا التحول وارد إلا أن التحول إلى أدنى وارد كذلك ، كذلك فإن عودة نفى النفى ليشكل أطروحة جديدة كذلك محل نظر ، ومما يؤكد ذلك في هذا المجال ما هو ثابت فى تناقص وزن الشمس فترات الهبوط الإنسانى كثيرة في التاريخ وربما غلبت فترات الارتفاع والسمو ومن ثم يكون قانون تسلسل الأطروحة حتى نفي النفي ثم عودتها إلى أطروحة أخرى محل نظر .

---

(١) يس آية ٣٦ .
(٢) يس آية ٤٠ .
(٣) البقرة آية ٢٥١ .
(٤) البقرة آية ٢٥٣ .
(٥) الزمر آية ٦٢ .
(٦) الطور آية ٣٥ .

٣ ـــ وأمام الهجمات العلمية القاسية للنظرية الـماركسية أعلن كتاب الـماركسية اللبنينية عام ١٩٦٣ عدم وجود الجدل في الطبيعة ، وصحة وجوده في الـمجال البشرى .. ولعل الشق الثاني ينتظر اعلانا آخر لا أخير ! (١)

٤ ـــ ويضيف أحد الكتاب إلى أن ما يتوهمونه من تضاد بين الوعى والـمجتمع هو من قبيل « التضايف » لأن الوعى بالنظر للمجتمع الذى سبقه منفعل ومتأثر ، وبالنظر إلى الـمجتمع الذى ظهر على أثره فاعل وموثر ويضيف إلى أنه بغير معرفة بالفلسفة الهيجيلية من العصب أن نفهم الأخطاء التيُ انزلق إليها ماركس. (٢)

٥ ـــ أما استشهاد الـماركسية على صحة نظرتها بنظرية داروين ، فقد صارت هذه النظرية بعد الانتقادات العلمية العديدة التي وجهت إليها ـــ صارت عاجزة عن الوقوف على قدميها ، فضلا عن الاستغلال البشع لها من قبل الفاشية ومن تبعها للتمسك بالانتخاب الطبيعي ، والبقاء للأصلح لتبرير إبادة الأجناس الأخرى ، كذلك استغلتها الشركات الكبرى للقضاء على الشركات الصغيرة ، وبقيت الحقيقة التي دلنا عليها رب العالـمين هي الصالحة لتفسير بدء الخليقة :

إن الله خلق السموات والأرض . ثم خلق آدم . وعلمه الأسماء كلها . ثم خلق منه حواء . وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا ! والله فضل « بني آدم » على كثير ممن خلق تفضيلا ، ويسقط تصور داروين وتصور الـماركسية إن الإنسان أصله قرد ، وإن أصل القرد خليه .. ثم يتوقفون !

أما الـمادة عند « ماركس »

١ ـــ فلسنا نخوض في تفاصيل علـمية قد تتبدل وقد تتغير وقد اضطر الشيوعيون أن يغيروا من تعبيراتهم عن الـمادة . (٣)

---

(١) عبد الحليم خفاجي ـــ حوار مع الشيوعية » .

(٢) راجع د. البوطي ص ٦٠ ، ٦٦ : المرجع السابق » .

(٣) يشير الفيلسوف روجيه جارودى « الذى أسلم حديثا » إلى قول فردريك أنجلز « على المادية بالضرورة أن تكسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام بادى الأثر في تاريخ العلوم ـــ ثم يتساءل ـــ « أى جارودى » : ==

٢ ــ ولسنا كذلك مع مثالية « هيجل » التي أعلنت الفكر لتجعله مصدر المادة ، كما أننا لسنا مع هبوط ماركس بالفكر ليكون انعكاسا للمادة ، ولكنا نقول : إن للمادة مجالها ومكانها ، وإن للفكر مجاله ومكانه . والفكر وإن كان من ناحية القيمة يعلو على المادة إلا أنه لايعلو أن يكون مصدرها .. بل يكون مصدر التحسين والتطوير لها ، وهذا ماوقع فيه هيجل من مبالغة جعلت ماركس يرتد للطرف الآخر ، والمادة لاتفقد تأثيرها على الفكر تبعا لمستوى الفكر ... وكلما ارتفع مستوى الفكر كان تأثيرها متمثلا في الرغبة في تحسينها ، أوفي الإعراض عما لايلزم منها ، أو وضعه في وضعه الصحيح ، وشأن الفكر في ذلك شأن العاطفة ، وشأن الروح والدماغ أو « المخ » هو الوعاء المادى للتفكير ... لكنه ليس هو التفكير كما أن الجسد هو الوعاء المادى للروح .. لكنه ليس هو الروح .

ــ وسبحان الذى خلق هذا وذاك وجعل لكل وظيفته ومداره ، وجعل ما بينهما تزاوجا لا تناقضا .. فإذا قضى الله الأجل انفصلت الروح ليصير الجسد « مادة » معرضة للتحلل والتحول .. ــ حتى يكون اليوم الآخر فيعود التزاوج بين الروح والجسد .. . لتكون « الجنة » ولتكون « النار » وليكون النعيم هنا والعذاب هناك ، وليكون نعيم معنوى الى جوار ذلك هو رضوان الله « ورضوان من الله أكبر »[1] وليكون قمته رؤية الله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها

= هل حقق الماركسيون برنامج إنجلز ؟ ويجيب : « لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين « المادية والتجاريبية النقدية » حيث قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة . « ونشير من بعد جارودى إلى تعديل آخر تم عام ١٩٦٣ بمعرفة عشرين عالما أو يزيد وضعوا « أسس الماركسية اللينينية « وقرروا : « إن النشاط الذهني أو الفكرى خاصة مميزة للمادة ، ولكنها ليست شكلا من أشكال المادة « أو انعكاسا للمادة بتعبير ماركس « ثم ليقرروا : « وفي الوقت الحالى يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المادة المنحطة « .

** ونشير بعد ذلك إلى دعوة جارودى الماركسية القديمة للتحرر من جمودها في مواجهة العلم ، = في مواجهة العلم ، أوبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها إلى أن تطور نفسها لتظل صالحة للعصر « راجع ماركسية القرن العشرين ــ ترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير في الاشتراكية ــ ط الثانية عام ١٩٧٢ « . وقد كان جزاء جارودى فصله من الحزب الشيوعى الفرنسى عام ١٩٦٩ بعد أن وصل إلى عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب لكن الله أكرمه في مطالع الثمانينات بنور الإسلام وكفى به نعمة .

(١) التوبة ٧٢ .

ناظرة ﴾ [1]. وهذا ما عجز الفكر المادى الماركسى عن بلوغه أو إدراكه .

٣ ــ هذا فضلا عما وقعت فيه الماركسية من قولها إن المادة ماتقع عليها الحواس ،ليثبت العلم الحديث إن ما تقع عليه الحواس يمثل ٧ ٪ من المواد ومالا تقع يمثل ٩٣ ٪ [2]

٤ ــ كذلك قرر مؤتمر لعلماء الحياة عام ١٩٥٩ أن : « أمر الحياة لايزال مجهولا ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يوما ما ، وإن هذا السر أبعدما يكون مجرد بناء مواد عضوية معينة ، وظواهر طبيعية وكيميائية خاصة [3].

٥ ــ رغم أن إنجلز يقرر « سوى أن هذه الحياة ينبغى أن تكون نتيجة بعض التفاعلات ــ الكيميائية ... » فإنه يقول : « إنه ــ أى العلم الطبيعي ــ لم ينجح بعد في إنتاج الكائنات العضوية دون تناسل من كائنات أخرى .. وبالتالي فإنه ليس في مكنة العلم الطبيعى حتى الوقت الراهن الذى يؤكد شيئا بخصوص أصل الحياة » [4].

نقد عام :

وعلى العموم فقد وقعت النظرية الشيوعية في أخطاء جسيمة :

١ ــ إنها خلطت بين العلم ــ وفلسفة العلم ــ فأخذت « طرفا » من العلم ليس كاملا ، ولايعتبر اليوم « معاصرا » ــ وبنى عليه نظرية متكاملة تفسر « الحياة » وتفسر « الاقتصاد » وتفسر « التاريخ » وماكان لهذا العلم العاجز أن يحيط بما هو أكبر منه واشمل ، وما كان له أن يعطى التفسير الصحيح لحركة الكون ، وحركة الحياة ، وحركة التاريخ بل أن يعطي التفسير لما ينبغى أن يكون !

---

(١) القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) وحيد الدين خان في بحث له مقدم للمؤتمر العالمى للفقه الإسلامي بالرياض عام ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

(٣) قصة التطور للدكتور أنور عبد العليم ص١١ ــ ٣٣ وكبرى اليقينيات الكونية ص ١٩٥ للدكتور محمد سعيد البوطي ، وللمؤلف : أوهام المادية الجدلية ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) أنتى وهرنج ص ٩٠ ــ مشار إليه في المرجع السابق : أو هام المادية الجدلية ص ١٠٠ / ١٠١ .

٢ ـــ إنها صادمت الفطرة إذ نادت بالإلحاد وصادمت الفطرة إذ نادت بإلغاء الـملكية الفردية وصادمت الفطرة إذ نادت بإلغاء الأسرة .

٣ ـــ إنها تناقضت مع نفسها إذا أوصت بالإبقاء على شعائر الدين بعد إذ رفضته ووصمته بأنه « أفيون الشعوب » حتى لو كان هذا الإبقاء « تكتيكا » مؤقتا .

الفصل الثالث

النظام الاقتصادى الشيوعى

« الاشتراكى »

تقدمة :

ــ يعد ماركس أبرز كتاب الاشتراكية ، وما رسمه من نظام اقتصادى أخذ قوانينه ممن سبقوه من الكتاب الكلاسيكيين ، يعد أساسا للفكر الاشتراكي الاقتصادى ، وإن جعل الشيوعية في النهاية هي الهدف .
ولانكاد نجد فارقا **بين الاثنين إلا فى القانون التالى** :

من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله « الاشتراكية » .
من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته .

ــ لكن الملاحظ بعد ذلك أن الرأسمالية قد طعمت نفسها بكثير من الاشتراكية حتى لقد ظهرت أنظمة هي من الناحية العلمية الاقتصادية وسط بين الرأسمالية والاشتراكية « أو الشيوعية » وهي أكثر بلدان أوروبا التي أخذت بنظم التأمين ، كما حددت ساعات العمل وحددت أجور العمال وأحدثت الكثير من الضمانات الاجتماعية في حالة البطالة والعجز والشيخوخة .

كذلك فلقد سعت النظم الاشتراكية بعدما أصيبت في إنتاجها بالأخذ بالحافز الفردى وتطبيقه في شكل مشاركة في الأرباح أو منح مكافآت سخية للعمال .. إلى غير ذلك .

ــ وبغض النظر عن هذا التقارب أو ذاك . فإن النظامين قائمان على أساس مادى واحد والتقاؤهما ليس بالأمر الصعب .. والله أعلم .

ونتناول بمشيئة الله .. قوانين الاشتراكية الاقتصادية ثم التطبيق العملى للاشتراكية . ثم الانتقادات الموجهة للاشتراكية .. والله المستعان .

أولا : قوانين الاشتراكية

استفاد ماركس ممن سبقوه .. وحاول أن يضم عديدا من القوانين بعضها إلى بعض ليصل إلى النتيجة التي يريد .

١ ـــ **قيمة السلعة من قيمة العمل** : وفي هذا أخذ عمن سبقوه « ريكاردوا / وآدم سميث » لكنه أضاف : أن قيمة السلعة إذ تتحدد بالعمل المبذول لإنتاجها ، فإن هذا العمل ينبغي أن يكون ضروريا من الناحية الاجتماعية ، بمعنى أن كل ما ينتجه العامل ينبغى أن يكون ذا نفع لفرد ما .

٢ ـــ **فائض القيمة** : يضيف إلى ماسبق شيئا تفرد به .. ذلك أنه يرى أن ثمن السلعة ينبغى أن يتحدد بقيمة العمل الذى بذل فيها ، لكن « الرأسمالى » لايقنع بذلك . وإنما يضيف إلى هذه القيمة ربحا ما . ثم يقول إن العامل لايأخذ من هذا الربح إلا ما يكفيه للحياة الضرورية .. « وهنا يستفيد ماركس من قانون : الأجور الحديدية » (١)

أما باقي الربح « وهو الجزء الأكبر » فإنه يدخل جيب الرأسمالي بينما هو حق العامل وهذا ما أسماه فائض القيمة .

٣ ـــ قانون تكدس رأس المال « التركز الصناعي »

يفرق ماركس بين رأس المال الثابت وهو المتمثل في الآلات والمواد الأوليــة والمعــاني ، وبين رأس المال المتــغير والمتمثــل فيمــا يخص العمـــال من أجور ، وهو يرى أنه مع تفوق المصانع الكبيرة في الآلات ورأس المال فإنها سوف تطرد من السوق المصانع الصغيرة والمتوسطة ، فضلا عن تكدس آخر متمثل في فائض القيمة . وسوف ينجم عن « الإنتاج الكبير » الاستغناء الدورى عن العمـال الزائديـن عن الحاجـة .. مما يؤدى إلى تكـون « الجيش الاحتياطـــي

---

(١) وقد جمع ماركس بين النظريتين « القيمة ، الأجور » ولكن هناك من سبقه إلى هذا ونقصد به الاقتصادى الألمانى جوهان كارك رود برتس « ١٨١٥ ـــ ١٨٧٥ » والذى كذلك استبق نظرية ماركس عن الأزمات « المذاهب الاقتصادية الكبرى جورج سول ـــ ترجمة د / راشد البراوى ص ٩٩ » .

للصناعة »

٤ ــ إلغاء الملكية الفردية وملكية الدولة لوسائل الإنتاج :

« لقد دقت ساعة النظام الرأسمالي وآن للمغتصبين أن تنتزع ملكياتهم[(١)] وعندئذ تقوم « دكتاتورية البروليتاريا » التي تصل بالنظام الاقتصادى أن يكون لكل منتج ثمار عمله حتى تزداد الغلة فيكون « لكل حسب حاجته » بيد أن الإلغاء الكامل لـم يتم ..

فاكتفت « الاشتراكية » حتى الآن بملكية الدولة لوسائل الإنتاج وأبقت على ملكيـة الأفراد للسلع الاستهلاكية ، كذلك نادت الشيوعية بإلغاء العملة ، ولكنها في التطبيق الاشتراكى لاتزال تعترف بالعملة .

ثانيا : الرد على قوانين الاشتراكية

أ ــ حول قيمة السلعة من قيمة العمل : قد يكون العمل أحد عناصر قيمة السلعة ولكنه بالتأكيد ليس العنصر الوحيد ، فإلى جوار العمل تقف الندرة مجددة لقيمة السلعة ، فالذهب والـماس يستمدان قيمتهما الأولى من ندرتهما .. بل إن الأرض الآن ــ على سعتها ــ تستمد قيمتها من ندرتها .. بل قد يتلاشى بالنسبة اليها العمل تماما ، كذلك تقف مع الندرة والعمل الحاجة إلى السلعة ، فكلما اشتدت الحاجة إلى السلعة ارتفع ثمنها ، فإن الـماء قد لايكون سلعة ، ولكنه مع الرخاء الشديد والحر الشديد .. يصير سلعة أغلى من البترول !

ب ــ فائض القيمة : يرجع ماركس ما زاد من ثمن السلعة على قيمة العمل إلى جشع الرأسمالي ويعتبره حقا للعامل ويطلق عليه « فائض القيمة » .

ولم يعش ماركس عصر التشغيـل الآلي « السيرنتيكـا » والـذى خف فيـه العامـل أو اختفى وحل محله عامل فني قد يكون مهندساً يدير مجموعة آلات ، وحل محله كذلك مجموعة من الـمديرين : مدير فني ، مدير إدارى ، مدير مالي .. وهكذا

(١) كلمة لماركس ــ راجع المرجع السابق .

ومن ثم سقطت دعوى ماركس ... ففائض القيمة اليوم هو حق الآلة التي تعمل ذاتيا أو « أوتوماتيكيا » وليس حق العامل ، وإذا كانت الآلة لاتستطيع أن تملك فإن مالكها هو مالك فائض القيمة . وإذا كان ارتفاع سعر السلعة ليس بالتأكيد مصدره جشع الرأسمالي بل صارت قوانين العرض والطلب هي التي تتحكم بالدرجة الأولي في ثمن السلعة ــ فإن ظلال الاستغلال التي ظنها ماركس قد خفت أو اختفت .. !

ج ــ **حول تكدس رأس المال :** سجل ماركس أكل المشروعات الكبيرة للمشروعات الصغيرة وقد يكون لهذه الظاهرة وجود ، لكن عكسها كذلك موجود ، فبرغم وجود المشروعات أو المصانع والشركات الكبيرة ، توجد كذلك المشروعات والمصانع والشركات الصغيرة وذلك راجع إلى عدة عوامل :

١ ــ قد تستطيع المشروعات الكبيرة أن تمد إنتاجها إلى المدن الكبيرة لكنها قد لاتستطيع أو قد يكون ذلك مكلفا بالنسبة للأماكن النائية .

٢ ــ لايزال العمل الصغير يأخذ شهرة من حيث الإتقان والجمال أكثر من المشروعات الكبيرة حتى إن العمل اليدوى فى مجالات كثيرة لايزال ذا قيمة أكبر فى المجتمعات وفى أثمان السلع .

٣ ــ صارت المشروعات الكبيرة ــ فى أغلبها ــ تأخذ شكل شركات مساهمة ، قد يسهم فيها مئات بل آلاف ومن ثم يتوزع رأس المال ولايتكدس ! . (١)

د ــ حول إلغاء الملكية الفردية ، وملكية الدولة لوسائل الإنتاج :

لسنا بحاجة كبيرة إلى بيان أن الملكية الفردية غريزة أو قل فطرة ، وأنه إن أمكن « التسامى » بها ، فإنه لايمكن إلغاؤها أو مصادرتها تماما .

---

(١) تشير إحصائية إلى أن عدد المساهمين ارتفع خلال عشر سنوات « ١٩٥٢ ــ ١٩٦٢ » من ٩ر٦ مليون مساهم إلى ٧ر٨ مليون ــ إلى ١٧ مليون في العالم الأخير ــ ولاندرى كم وصلت بعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ ــ « الأهرام الاقتصادى ــ حوار مع الشيوعين ص١٨٦ » .

ولذا كان هذا أول الفشل للنظام الشيوعى الداعى إلى إلغاء الملكية ، والتى استطاع أن ينفذها فى نطاق ملكية وسائل الإنتاج ، لكن شبح الفشل إذ طارد المطبقين لهذا النظام فى الاتحاد السوفيتى ، فلقد اضطروا إلى الاعتراف بملكية الناس للسلع الاستهلاكية ، كما اضطروا أن يستغنوا بالمزارع الجماعية عن إلغاء الملكية تماما ، وهى ملكية يشترك فيها كل الزارعون لقطعة واحدة .. وكان يمكن أن تملك الدولة الأرض ويكون الزارعون أجراء ليكونوا منطقيين مع شيوعيتهم لكنهم لم يستطيعوا ، ومع ذلك فلا تزال المزارع الجماعية عاجزة عن إعطاء نصف الإنتاج المتوقع ، ولاتزال أحكام الإعدام والسجن المؤبد والنفى ، عاجزة عن سوق الفلاحين للإنتاج ، ولايزال النظام ينظر بعين الريبة لطبقة الفلاحين !

كذلك فلقد اضطروا للاعتراف بملكية المنازل الصغيرة لأصحابها ، وبالقصور الكبيرة للطبقة الجديدة من « القياصرة » من رجال الكرملين ورجال الحزب الواحد !

ولايزال شعار :

من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته ، لايزال خيالا بعيد المنال .. كما كان حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) كذلك خيالا بعيد المنال !

أما شعار :

من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله ، فليس قاصرا على الاشتراكية وحدها ... لقد سبقها إليه ماهو خير منها !

ثالثا : حول التطبيق الاشتراكى

١ ـ مثل من روسيا

١ ـــ إرتفاع مستوى المعيشة :

يعترف الكاتبون الأمريكيون [1] بارتفاع مستوى معيشة الفرد وبالذات العامل بعد ستين عاما من التطبيق الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ويصلون إلى حد القول بأنه وإن لم يضارع مثيله الأمريكى ، فإنه أحسن بكثير من تركيا واليونان والهند ، كما قد يكون أعلى من إيطاليا والنمسا .. ويتساوى مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا ، ويقترب من بلجيكا وفرنسا .
بل يصلون إلى حد القول بأن تحسين مستوى المعيشة منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٦ سار بمعدل أسرع من أى دولة أخرى ![2]

٢ ـــ زيادة إنتاج الطاقة والانتاج الثقيل بمعدل قياسى :

زاد إنتاج القوة الكهربائية بالنسبة لعام ١٩١٣ ٩٠ مرة .
زاد إنتاج الصلب بالنسبة لعام ١٩٢٠ ٢٠٠ مرة .
وتضاعف النقل بالسكك الحديدية بين عام ١٩٢٣ ـــ ١٩٥٥ ٢٤ مرة .
وبالجملة زاد الإنتاج الصناعى بين عام ١٩٤٠ ـــ ١٩٥٢ ٣ ر ٢ مرة .

٣ ـــ تضاعف القوة العسكرية بما رفعها إلى الصف الأول :

ويسند هذه القوةالإنتاج الحربى خاصة الثقيل منه .. فى مجال المدرعات والطيران والكثير منه فى مجال الصواريخ والرؤوس النووية ، وكذلك غزو الفضاء .. لكن .. هل معنى ذلك نجاح التجربة الاشتراكية من الناحية الاقتصادية ؟؟

---

(١) الفريد ر . اكسنفلدت ـــ النظم الاقتصادية عند التطبيق ، والمراجع المشار إليها .
(٢) إحصاءات الأمم المتحدة .

يجيب على ذلك الفاقهون بالنفى

١ ـــ ذلك أن هذا « التقدم المادى » الضخم .. كان على حساب « الإنسان » على حساب « الإنسانية » وذلك ماسوف يتضح بمشيئة الله عند الكلام عن الجانب السياسى والاجتماعى .[1]

٢ ـــ لايزال الإنتاج السوفيتى متخلف كيفا عن الإنتاج الغربى وهذا أمر يشهده كل خبير فى المجالات الصناعية .

٣ ـــ لايزال الحكم النهائى على التجربة الاشتراكية .. مع مزيد من الزمن .. فقد يستطيع الحديد والنار أن يلجىء الناس إلى تنفيذ مالا يريدون ، وإلى بذل مالا يستطيعون ، لكن القبضة الحديدية لاتستمر كذلك .. إنها تهن شيئا فشيئا .. ليبقى الدافع الذاتى هو العامل الأول .

٤ ـــ وهو مافقهته الاشتراكية أخيرا حين بدأت منذ عهد خرشوف تتجه إلى .. « الحافز الخاص » للوصول إلى تحسين الإنتاج كيفا ثم كما ! .

٥ ـــ فشل المزارع الجماعية فى التطبيق السوفيتى ، وما تعرض له أصحاب المزارع من إرهاب وانخفاض الإنتاج انخفاضاً رهيبا .

٦ ـــ انتفاء حرية الاختيار فى العمل (رئيس جمهورية روسيا يعمل ناظر محطة) ! ـــ نسبة العمل الملزم تمثل ١٠ ٪ من الشعب ٢٠ مليون فى معسكر العمل .

٢ ـــ مثل من مصر

ابتليت مصر بالغزو الاشتراكى إبان حكم أحد فراعنتها المحدثين ، وأغلقت مصر النوافذ التى كانت تتعامل من خلالها مع العالم ، وأبقت على نافذة واحدة مع الاتحاد السوفيتى .

---

(١) راجع كذلك معسكرات العمل الإلزامى التي تضم حوالى ٢٠ مليون يعملون رغما عنهم ! وتفصيلات أخرى ـــ النظم الاقتصادية عند التطبيقين ، الفريد ر . اكسنفلدت ص ١٤٤ .

واستوردت الـمصانع ، وحشدت للإنتاج ، وأثارت طبقة .. « الصعاليك » .

وكانت مصر قبل العهد الـمشئوم دائنة لبريطانيا العظمى بخمسمائة مليون جنيه إسترلينى . وأصبحت اليوم مدينة لكل دول العالم بما يصل إلى عشرين مليار (تقريبا) !

وأصبحت مصانع مصر بعد سنين خرابا . بل إن الـمصانع التى أممت وكانت مصدر خير ورغد للبلاد .. أغلقت أبوابها بعد بضع سنين . (١)

٣ ــ أمثلة أخرى

هناك تفصيلات أخرى عن الصين الشيوعية وبلاد شرق أوربا نحيل إليها فى مرجعها . (٢)

(١) مقال للأستاذ أحمد أبو الفتح يشير فيه إلى ماحدث لمؤسسات عبود باشا ومصانع يس للزجاج وغيرها ــ وكتابنا عندما يحكم الطغاة ــ باب الوثائق .

(٢) النظم الاقتصادية عند التطبيق ص ١٤٨ وما بعدها .

الفصل الرابع

النظام السياسى والاجتماعى « الشيوعى » أو « أسس النظم الدكتاتورية »

تقدمة :

ـ « التصور العالمى للدكتاتورية لايعني شيئا أكثر من القوة غير المحدودة ، القوة التي لايصدها أى نوع من أنواع القوانين أو الإجراءات ، وإنما تعتمد مباشرة على العنف وحده » (١)

« إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء وإنما الشيء الهام أن يصبح الباقي منهم شيوعيين » (٢)

« يجب أن نتعلم كيف نقضى على هذا النوع من الديموقراطية الصاخبة المتدافعة التي تبدأ من العمال في المصانع بقانون حديدى يلزمهم أثناء العمل طاعة عمياء لإرادة وسلطة شخص واحد هو مدير المصنع المختار » (٣)

« إن الشيوعية حين تتسنم دست الحكم تتصرف تجاه المجتمع الإنساني بصورة مناقضة لمبدأ التعليم بالقوانين الموضوعية ، لتفرض أساليبها الإرهابية ونظريتها الخاصة ، بينما يدعي الشيوعيون من جهة أخرى بأنهم محققون للآمال الموضوعية للمجتمع ، وبذلك يتجاوزون بدكتاتوريتهم أشد الأنظمة ـ الدكتاتورية المستبدة ـ إرهابية » (٤)

---

(١) حرب الأكاذيب ـ عامر العقاد ص١٧ .

(٢) حقيقة الشيوعية ـ علي أدهم ص ٢٥ و د / عميرة المرجع السابق ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) أصول المذاهب د / مصطفى كمال فايد ص ٣٨٣ .

(٤) هذه كلمات لميلوفان وجيلاس في كتابه الطبقة الجديدة ، وقد شارك في الحرب الشيوعية بيوغسلافيا وشارك في الحكم حتى وصل إلى نائب رئيس دولة يوغسلافيا ـ نقلا عن الكيد الأحمر ص ١٦٢ ـ ١٦٣ د / حبنكة .

تلك كلمات نقدم بها بين يدى الحديث عن أسس النظم الدكتاتورية وبلون من « السبرو التقسيم » للأنظمة الدكتاتورية الحديث منها والقديم ، نجد أن ملامح النظام الدكتاتورى تقوم على أسس خمسة :

١ ـــ تركيز السلطة في حقيقتها « أو الطغيان » .

٢ ـــ انعدام الشورى في حقيقتها . وإن وجدت لها أشكال !

٣ ـــ إطلاق الشعارات وتوجيه طاقة الغضب .

٤ ـــ الوشاية والتجسس .

٥ ـــ الانحلال الاجتماعي .

ونحاول بمشيئة الله أن نشير إلى هذه الأسس تفصيلا وقد نضرب الأمثال أثناء الحديث من التطبيق الشيوعي الدكتاتورى ، بصبغة خاصة والذى أسموه « دكتاتورية البروليتاريا » والله المستعان » .

١ ـــ تركيز السلطة أو الطغيان :

كما اتسمت النظم الديمقراطية بالفصل بين السلطات Separation des Pouvoirs سعيا الى تثبيت دعائم الحرية ، وإقامة الشورى ، ودفعا لطغيان السلطة أو افتئاتها .. حتى قالوا : السلطة تحد السلطة . Le Pouvoir arrelè Le Pouvoilr فإن النظم الدكتاتورية ـــ على اختلاف أسمائها واشكالها تسعى إلى تركيز السلطة .. فيتسلط على الشعب ـــ في الأغلب ـــ حزب واحد وإن اختلفت أسماؤه ويتسلط على الحزب لجنة « مركزية أو تنفيذية أو عليا » ويتسلط على اللجنة شخص واحد هو الذى بيده « الأمر كله » .

وأكثر هذه النظم لاتفصح عن « دكتاتوريتها » [١] ، بل إنها قد تذهب إلى

(١) يعلن الاتحاد السوفيتي اعتناقه لفكر ماركس من « دكتاتوريةالبروليتاريا » لكن الحزب الشيوعى الفرنسي يعلن رفضه لها ، وقد أعقبه الحزب الشيوعى الإيطالى « أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك » وقد اضطر الاتحاد السوفيتى إلى طلاء الدكتاتورية بأشكال ديموقراطية مثل مجلس السوفيت الأعلى ـــ كما أشرنا فى المتن .. بيد أن دكتاتورية البروليتاريا غير حقيقية ، إن الدكتاتورية قائمة كلها ليست لطبقة العمال ، إنها تمارس دكتاتوريتها على العمال وغيرهم باسم العمال .. إنها للحزب الشيوعي .. لابل للجنة المركزية .. لابل للجنتها التنفيذية ..لابل للسكرتير العام للحزب الشيوعى ـــ أقوى رجل ـــ في النظام السوفيتي .

العكس من ذلك إلى ادعاء الديموقراطية ، وقد تكون أكثر تبجحا فتزعم أنها أكثر ديموقراطية من ديموقراطيات الغرب الزائفة ! ، وأكثرها — في العصر الحاضر — تقوم على أساس انقلاب عسكرى ، يثب الى السلطة فيه مجموعة من العسكر ، تعودت أن تأمر فتطاع أو تؤمر فتطيع . فتجعل الأولى على الشعب ، وتجعل الثانية لـمن تعطي لهم ولاءها من شرق أو غرب !

وتتخذ أكثر هذه الدكتاتوريات شرعية لها مما تواضعوا عليه تحت اسم « شرعية الثورية » وأقاموا لهم « فقها ثوريا » يقضى بسقوط الدستور ، وسقوط النصوص الـمعارضة مع نجاح الانقلاب « الـمشئوم » كما يجرى وفقا لهذا « الفقه المنحرف » تبرير الإجراءات التعسفية من قتل أو تعذيب أو اعتقال .. وكثيرا ما يجرى « تقنين » هذا الظلم وصياغته فى مواد !

كذلك تقترن أكثر هذه الدكتاتوريات في إضفاء هالة من الـمجد والتقدير الذى قد يصل حد التقديس .. بالنسبة لرأس النظام ، أيا كان الاسم الذى اختاروه له .

وتطلق عليه الألقاب التى تجعله في المقام ألا يُسأل عما يفعل ، والتى تجعل منه « الـملهم » الذى لايخطيء ، و « الـمظفر » الذى لاينهزم ، وقد « تصطنع » الـمعارك الذى يخرج منها « الزعيم » منتصرا أو منقذا لوطنه وشعبه .. ومن ثم تصير طاعته بغير تردد هي الواجبة ، وتنفيذ أوامره من غير تعقيب هى اللازمة !

ويقوم الإعلام كما سنشير بنصيب الأسد في مواكب النفاق ، والتصفيق والهتاف بحياة قاتله أو قاتليه !

— بيد أن السؤال الذى يطرح نفسه .. كيف يصير أمر الفرد « العادى » إلى هذا الـمستوى من « الطغيان » ؟ وكيف يصير أمر الشعوب إلى الاستنامة لهذا الطغيان ؟

السؤال صعب والإجابة عليه أصعب .. بيد أننا نقول بحول الله : إن هنا عوامل ثلاثة تلعب في هذا الـمجال :

أ ــ شخصية الطاغية : / هناك أفراد « جبلوا » على العدوان والطغيان ، تجده في طفولته يعتدى على لداته من الأطفال ، وتجده يتقدم عليهم ويسخرهم لما يريد ، ويلجأ في ذلك إلى « الحيلة » وإلى « القوة » واحدة منهما أو كليهما ..

فإذا استوى شابا استوى على ما شب عليه ! حتى يصل إلى السلطة في المجال الذى يقدر عليه . فإذا وصل إلى السلطة العليا . كان أنكى وأشد !

وبعضهم تقترن حياته الأولى بالعقد النفسية ، أو بالعلل الجسمية ، فيحاول أن يعوض الأمر ــ باللجوء إلى الطغيان ، وأكثرهم يفتقد « التربية القويمة » والتوجيه السليم وكلهم بعيد عن الله كل البعد أو أكثر البعد ! بيد أن شخصية الطاغية وحدها لاتكفي للطغيان بل لابد معها من :

ب ــ حاشية السوء أو مواكب النفاق : / هؤلاء هم الذين يمهدون له ، ويبررون له ! وأكثر هؤلاء « ضعاف الشخصية » يستكملون ضعفهم في طغيان ذلك المتسلط !

وأكثرهم كذلك ذو منافع .. مادية .. قروشا ، أوريالات ، أو دولارات ومناصب يظنونها باقية وهي زائلة ــ يصح فيهم أنهم باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم !

ومن هؤلاء فريق ممن يسمون رجال فكر أو رجال دين .. يحرقون البخور للطغاة ويدقون الطبول في مواكب النفاق !

وتتسع هذه الحاشية يوما فيوم ، وتطول مواكب النفاق ساعة بعد ساعة .. ذلك بأن الذين يلتفون حول « الطاغية » يحاولون ــ سدا للنقص ــ أن يجدوا ما يلتف حولهم .. فيجدون في شخصيات أكثر منهم ضعفا وأكثر منهم ضعة ! ومن ثم يغدو هؤلاء طغاة صغارا يحيطون بالطاغية الكبير ، ويحيط بهم أو بكل واحد منهم حاشية سوء كذلك،تزين له الباطل وتبعده عن الحق وتقربه من المنكر وتغريه بالفواحش ما ظهر منها وما بطن !

ويتم التسلسل متبادلا بين كل طبقة والتي تعلوها .. نفاقا عن فوقها وتسلطا

على من تحتها .. حتى تصل إلى الرأس التي تتسلط على الشعب كله .. وتخضع لـمن تعمل لحسابه .. إن كان من الإنس .. وإلا فهي خاضعة للشيطان أيما خضوع !

ج ــ شعب قابل للذل / فلا يظهر طاغية في شعب كريم .

إنه يلفظه على التو .. ولايبيح له أن يضع قدمه على رأسه ! والشعوب تقبل الذل .. بالطبيعة أو مع الـمراس : وبعبارة أخرى إن الشعوب كالأفراد ــ إذهم مجموعة أو أفراد ــ فمنها من كان الذل فى جبلته فهو يحب أن يسير محني الهامة ! خافض الرأس ! ولايطيق أن يرفع بصره أو أن يرفع هامته ! وبعضها .. يقاوم الذل ثم يفتر ، ثم يقاوم ثم يفتر ، حتى تضعف مقاومته فيستنيم الذل ويرضى الهوان (١)

وفي الشعوب ــ في حاضرها وما ضيها ــ نماذج كثيرة : فشعب في الـماضى سمح لحاكمه أن يقول له ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهْدِيكُم إلا سبيلَ الرشاد ﴾(٢) وسمح له أن يقول ﴿ آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾(٣) . وسمح له فى النهاية أن يقول : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾(٤) ﴿ ماعلمتُ لَكُم من إله غيرى ﴾(٥) ! شعب سمح بذلك حرى به أن يستعبد ، وحرى به أن يسام سوء العذاب ﴿ يُذَبِّحُ أبناءَهُم ويستحى نساءهم إنه كان من الـمفسدين ﴾ (٦)

ــ وشعب في الحاضر صفق لحاكم وهو يقول : أنا خلقت فيكم العزة ، أنا خلقت فيكم الكرامة ، وصفق له حين ضيع بخيانته أو بسوء تصرفه « ثلث أرضه » وصفق له حين رفع الصفوة من دعاته على أعواد الـمشانق ــ شعب فعل في الحاضر ذلك حرى به أن يطغى فيه طاغية ويتجبر ، وأن يأتى خلف له من بعده

---

(١) ورحم الله القائل « لم يعتد الذل الذى نعتاده ــ أهْون بكل أذى على المتعود .

(٢) غافر ٢٩ .

(٣) الأعراف ١٢٣ .

(٤) النازعات ٢٤ .

(٥) القصص ٣٨ .

(٦) القصص ٤ .

ليقول ﴿ مايُبَدلُ القولُ لديَّ وما أنا بظلام للعبيد ﴾[1] ، وعندما يريد أن يصلحها يقول : الله قال للعبيد وأنا قلت للعباد .. وكأن الخلق قسمة بينهم وبين الله ، فالعبيد تابعون لله ، والعباد تبع له !

٢ ــ انعدام الديموقراطية « أو الشورى » :

لاتصبر الأنظمة الدكتاتورية على قيام الشورى أو بقائها ، فإن اضطرت إليها جعلتها شكلا بغير موضوع أو جسدا بغير روح ! ومن ثم فالشورى منعدمة في الحالين .. إما انعداما كليا وإما انعداما موضوعيا !

ذلك أن الحاكم إذا بلغ حد الطغيان فلا يطيق صوتا يرتفع غير صوته ، بل ولايطيق رأسا يرتفع غير رأسه .. ومن ثم يكون البديل عن الشورى الحقة .. المشانق ، والسجون ، والمعتقلات !

ــ وإذا نظرنا في هذه النقطة إلى الاتحاد السوفييتي ، فإننا نجده قد أوجد « شكلا ديموقراطيا » متمثلا في « مجلس السوفييت الأعلى » وهو يتكون من مجلسين :

مجلس الاتحاد السوفييتي : ويتكون من نواب عن السكان على أساس نائب واحد لكل ثلثمائة ألف من المواطنين .

ومجلس القوميات السوفييتي ويتكون من نواب عن جمهوريات الاتحاد وأقاليمه على أساس ٢٥ نائبا من كل جمهورية اتحادية ، ١١ نائبا عن كل جمهورية ذات حكم ذاتى ، وخمسة نواب عن كل إقليم ذى حكم غير ذاتي ، ونائب واحد عن كل منطقة .

وبرغم هذا التكوين الذى يتم عن طريق الانتخاب ، ويعطى « الشكل الديموقراطى » فإن المجلسين ينطقان بإرادة « سكرتير عام » للحزب الشيوعي ، الذى يترأس اللجنة الإدارية الدائمة « البريسيديوم » وهي المنبثقة عن اللجنة

---

(١) ق ٢٩ .

المركزية للحزب الشيوعي[1] .

وتتم عمليات التصفية مع كل عهد جديد .. للرءوس التي لايرضى عنها السكرتير العام الجديد [2] وقريبا من ذلك الأنظمة العسكرية التي تعلن في البداية عن « فترة انتقال » تتركز فيها السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في « مجلس الثورة » الذى يتخذ من القرارات ما شاء استنادا الى الشرعية الثورية ثم يعقب بعد ذلك أشكال هزيلة للشورى .. تصل إلى حد اتخاذ المجلس قرارا ينقضه هو بعد أن يفصح « الزعيم الملهم » عن عدم رضاه عنه .

ــ بيد أن أنظمة أخرى لاتقوم فيها حتى الآن هيئات شورية ومن ثم يتولى فيها « التنفيذ والتشريع » « هيئة واحدة » ــ وذلك بدعوى زيف النظم الديموقراطية !

ونحن مع هؤلاء في زيف أكثر النظم التي تدعي الديموقراطية ، ولكن هل يعني الزيف ذهاب الأصل ؟ إن ظهور المجوهرات الصناعية الزائفة لم يلغ قيمة « الذهب والماس واللؤلؤ » ولم يلغ وجودها .. فكيف يذهب زيف الشورى بشورى ، وكيف يضيع « الحق » مع « إساءة استعمال الحق » ؟ !

٣ ــ إطلاق الشعارات وتوجيه الغضب :

للشعوب كالأفراد « طاقة غضبية »

وإذا مورس الطغيان .. استنفر ذلك الطاقة الغضبية لدى الشعوب ، فكيف تسيطر الأنظمة الطاغية على تلك الطاقة الغضبية ؟!

تتخذ لذلك سبيلين : أما أحدهما .. فهو إطلاق الشعارات التي تشغل الشعوب عن حقيقة ما هي فيه ، وعن حقيقة ما يجرى حولها ، وما تساق إليه

---

(١) راجع ماتم في عهد ستالين « الكيد الأحمر » للشيخ حبنكة الميداني ــ وهو مثل يتكرر ، وراجع كذلك د / عميرة ص ١٧٣ ومابعدها .

(٢) أصول المذاهب د / مصطفى كمال فايد ــ دار الفكر العربي ص ٣٨١ ، والنظم الاقتصادية والتطبيق الفريد السنفلدت ترجمة شكرى العيد ص٧٢ .

سوق النعام !

فشعارات إطعام الجائع ، وإنصاف المظلوم ، والكرامة ، والعزة ، ورفع الرأس ... إلخ

وأما الثاني : فهو توجيه الغضب .. إلى المواكب والمظاهرات التي تصطنع لها المناسبات بل يصطنع الأعداد كذلك وتساق الجماهير الغاضبة لتحطيم تلك السفارة أو ذاك المبنى إظهارا لغضبها لسلوك نظام آخر أو تحدية وعادة مايجرى التركيز على عدو معين « الإمبريالية الصهيونية فتحشد طاقات الجماهير الغضبية ضد هذه أو تلك ، وتعبر الجماهير عن طاقاتها المكبوتة بالصراخ العالي بسقوط هذه أو تلك ، ولا تسقط هذه أو تلك لأنها من وراء الستار هي المحركة ، وهي الراضية عن سير المواكب الهادرة الغاضبة ... فلا قيمة لهذا الهدير متى لم يصل إلى حد العمل أو حد التنظيم !

٤ ــ الوشاية والتجسس :

تتضخم في الأنظمة الطاغية أجهزة التجسس تتضخم عددا وتتضخم تنوعا .

وتصير كل مجموعة متمثلة في جهاز ليست فقط رقيبة على الشعب ، بل في نفس الوقت رقيبة على المجموعة الأخرى ، وتستحل هذه الأنظمة حرمات الناس ، وتقتحم على الناس منازلهم ، بل مخادعهم بأجهزة التصنت ! وصار معها الآن كذلك أجهزة التصنت البصرية .. بمعنى أن تسجيل الصوت والصورة ! أحيانا من داخل الجدران وأحيانا من خارج الجدران .

ــ وقد بلغ التقدم التقني في هذا المجال شأوا بعيدا ، تستخدمه الأنظمة الديموقراطية في التجسس على أعدائها وتستخدمه الأنظمة الدكتاتورية في التجسس على أفرادها ، مهما كانت مراكزهم .

والقصص في ذلك أكثر من أن تحصى ، وأخزى من أن توصف !

ــ ويصحب التجسس الوشاية .. أوما نسميه بلغة الإسلام « النميمة » فكلا الأمرين يحتاج إلى ظلام ، وليس أظلم من النظم الطاغية التي تتيح هذا أو ذاك !

ويجرى تصديق « الوشايـة » وتقـريبهم ، وصعودهـم على أكتـاف من وشوا به

وقد بلغ الأمر في أكثر هذه الأنظمة أن يشي الأخ بأخيه ، وأن تشي الزوجة بزوجها ، والابن بأبيه .. ويعد ذلك قمة الوطنية ، لا قمة الخسة والنذالة !

٥ ــ الانحلال الاجتماعي :

تخاف الأنظمة الطاغية رغم ما تقوم به من إطلاق الشعارات لشغل الناس ومحاولة توجيه الطاقات الغضبية في اتجاهات بعيده عن النظام ، ومن ثم فهي تلجأ إلى إلهاء هذه الطاقات واغراقها أو ــ إفنائها في مستنقعات الرذيلة والانحلال ..

وتفتح النظم الديكتاتورية ــ أكثر من غيرها ــ ذراعيها لكل تشجيع على الانحلال . فتتنكر لبعض شعاراتها .. وتأذن في أجهزة الإعلام ، وفى واقع الحياة بما لا تأذن به نظم أخرى بل بمالم تكن تأذن به من قبل .

وتغمض عينيها عن كل ما يخدش الحياء .. موحيه بأنه من سنن التطور !

وتصم آذانها عن كل ما ينذر بعاقبة الفساد ، وعاقبة الترف ، وعاقبة العهر . بل أحيانا تقمع الأصوات التي تنذر أو تحذر ! بينما أصوات الفساد والداعين له عالية رنانة لاتكاد تجد من يحاول أن يفرض عليها « حجرا » أو « تهذيبا » !

وتعتبر الدكتاتوريات طريق الانحلال محققا « للأمن القومى » حيث تمد طاقات الشباب فلا تتجه للبحث ولا للتفكير ولا للتعقيب على مايجرى ...

ومن ثم فللسياسة رجال وللفن و« اللهو » رجال !

وفي بلاد يفلسف الانحلال ويسمى بغير أسمائه فهو تقدم ، والفضيلة تأخر ورجعية ، وهو يشكل نظريات « تصريف الكبت » والتسامي بالغريزة وغير ذلك من الأسماء .

وفي بلاد كالاتحاد السوفيتي ــ يجهر بعدم لزوم « الأسرة » بل باعتبارها أثرا من آثار عبودية بورجوازية التي ينبغي أن تحرر منها مجتمعات « الصعاليك » [١].

(١) يقول ماركس « إننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستترة وراء النفاق شيوعا علنياً مشروعا » ماركس ــ إنـ=

— ويغرس مع الانحلال فكر الصراع بين الطبقات ، ليقوم المجتمع على أساس كراهية بعضه بعضا ، وتربص بعضه لبعض ، فلا يلتفت الى طغيان حاكم أو انحراف حزب !

— ويزكيّ ذلك التفسير المادى للتاريخ [1]، فما في التاريخ من أحداث أساسها الصراع ، والصارع على المادة قبل كل شيء .. ومن ثم تسقط — في الميزان — الماركسى — قيم الدين ، والأخلاق والنوازع الفاضلة !

وبعد

فهل استطعنا أن نقدم الشيوعية .. من أفواه أصحابها ومن تطبيقات رجالها .... ؟

وهل يمكن للناس أن يدركوا أنهم حين يستبدلون « بدرك » الديموقراطية والرأسمالية .. « درك » الشيوعية » والاشتراكية .. فقد استبدلوا دركا سافلا بدرك أسفل !

وهل لهم أن يدركوا أن العيب الرئيسى فى الديموقراطية والرأسمالية أنها تشرع من عند ذات نفسها فتخضع للجهل والنقص والهوى .. ؟ إن هذا العيب فى الأنظمة الاشتراكية والدكتاتورية أنكى وأشد ..؟ لأن الجهل والنقص والهوى يتهذب فى الأولى بشيء من الشورى .. بينما يزداد فى الأخيرة بمزيد من الدكتاتورية ! .

= الأسرة هي وضع من أوضاع مجتمع لا نضج فيه ولا جدوى منه ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلا بالقدر الذى يلائم مصلحة الدولة ، وتستند الماركسية في موقفها هذا إلى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية والرغبة في التملك والملكية « انجلز » ويشير أحد الكتاب إلى أن هذا يعني :

١ — القضاء على الأسرة بمنع رباطها وهو الزواج .

٢ — إقامة « الحظائر » لتربية أبناء الدولة .

٣ — إطلاق المشايعة الجنسية .. « راجع د / عميرة ص ١٦٥ — ١٧٢ وينقل المؤلف أن إحدى زوجات الدولة « ميرى روزنتال ، كان لها زوجان يختلفان إليها بعلم كليهما ..»

(١) تنكر إنجلز — صديق ماركس — لفكرة التفسير المادى للتاريخ . « راجع أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ».

وهل لهم بعد ذلك أن يدركوا أن مادية الغرب تتوافر .. بل تقوم عليها « أيديلوجية » الشرق . وأن انحلال الغرب الذى « تسمح » به نظمه يتوافر فى الشرق ويتجاوز حد السماح إلى حد « التشجيع » .. ؟

وهل للناس أن يعلموا بعد ذلك أن « التدين » فى الاتحاد السوفيتى وفى غيره من الدول ــ الشيوعية .. صار ليس فقط موضع رضى .. بل صار موضع اتهام يعرض صاحبه إن كان أجنبيا للطرد أما إن كان « وطنيا » فله حلول أخرى ... وذلك كله رغم ما يشيعونه ويذيعونه من حرية ممارسة الشعائر ، وما يلجأون إليه فى بعض الأحيان من إقامة بعض المؤتمرات الدينية ، وإرسال بعض الوفود وبعثات الحج .

وهل لنا ــ أخيرا ــ أن ندرك أن إخوتنا المسلمين هناك فى الدول الشيوعية ــ يزيدون عددا على عدد الولايات المتحدة الأمريكية وعلى عدد أفراد الاتحاد السوفيتى ، وعلى ضعف عدد الدول العربية مجتمعة ... هل لنا أن ندرك أنهم يمثلون خمس أو ربع عدد كل المسلمين وأنهم يسامون خسفا وهوانا لايسامه أى أقليه فى أى اقليم آخر .. ؟ .

ترى لو كان الغزو الروسى الأخير لأفغانستان تم لأصغر دولة نصرانية .. أكانت الصليبية تقف متفرجة ، كما تقف الآن بلاد الإسلام متفرجة على أخ أو أخت لهم ، ينزع ثيابها وتمزق جلودها ويهتك عرضها .. ثم فى النهاية تذبح بالسكين غير الحاد ذبح الشياه .. ؟!

أيليق يامسلمون !

الباب الثالث

الاتجــاه الصهيــونى

ليس هذا اتجاها فكريا بقدر ماهو اتجاه سياسى .

لكنه بكل أسف صار صاحب تأثير فى مجتمعاتنا الإسلامية .. فكرا ، وسلوكا ، وهوية وانتساب ، وهو يتشكل بأشكال كثيرة

ومن ثم وجب التعرض له بشىء من التفصيل

نعرض للأفعى اليهودية :

صفاتها ــ ثم مراحلها .

الفصل الأول

الأفعى اليهودية

تقدمة

لانريد أن نقع فريسة التهويل . كما لانود أن نقع فريسة التهوين .

فكلاهما إفراط وتفريط ، وكان بين ذلك قواما ، هو الوسط الأمثل الذى اخترناه منهاجا لكتاباتنا ، كما هو بإذن الله منهاج حياتنا .

وانطلاقا من ذلك نقول بعون الله :

ــ ليس صحيحا أنه منذ مؤتمر (بال) ١٨٩٧ بدأت الأفعى اليهودية تنفث سمومها ، وليس صحيحا كذلك أن الأمر بدأ قبل ذلك بقرنين حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠ ــ ١٦٠٩ م) إلى اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود .

لكن الأمر أبعد من ذلك بكثير ...

إنه منذ بزوغ فجر الإسلام منذ أربعة عشر قرنا حين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به .

وإنه من قبل الإسلام منذ بزوغ فجر المسيحية حين ناصبوا المسيح عبد الله ورسولة العداء .

ــ فمنذ ألفى عام (عشرين قرنا) سجل التاريخ قيام الجمعية الخطية التى ناصبت المسيح العداء ، واستمرت حتى جاء الإسلام فناصبته العداء ، حتى تسمت فى القرن السابع عشر (١٧١٧) باسم الماسونية ومارست دورها حقدا على الأديان ، وتحطيما لكل البشر من الجوييم (غير اليهود) ...

ثم سلخت جلدها وتلونت بأسماء جديدة لما تكشف أمرها :

ببناى برت   شهود يهوه   المشرق التورانى

---

* هذا عن كتابنا « حاضر العالم الإسلامى »

الليونز الروتارى الكـلك ...

ونتحدث فى اختصار عن مراحل الأفعى اليهودية بالنسبة للإسلام لكنا قبل ذلك نحاول الكشف عن كنهها أو صفاتها ...

أولا : صفات الأفعى اليهودية :

١ ـــ ونحن نتلمسها من أصدق كتاب ، من القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١ ـــ وقاحـة :

﴿ وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولُعِنُوا بما قالوا ..﴾ (١)

﴿ وقالت اليهودُ عزير ابن الله .. ﴾.(٢)

﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا ﴾.(٣)

﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ . (٤)

٢ ـــ فتن وفساد :

﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لايحب المفسدين ﴾ . (٥)

٣ ـــ قتل وغدر وتحريف :

ـ ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهمُ الأنبياء بغير حقٍ ، وقولهم قلوبُنا غلف .. ﴾ (٦)

﴿ إن الذينَ يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيينَ بغير حقٍ ، ويقتلون الذين يأمرون

---

(١) المائدة آية ٦٤ .

(٢) التوبة آية ٣٠ .

(٣) الأعراف ١٢٩ .

(٤) المائدة ٢٤ .

(٥) المائدة ٦٤ .

(٦) النساء ١٥٥ .

بالقسط من الناس ... ﴾ (١)

ـ ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهُم ، وجعلنا قُلوبَهم قاسية ، يحرفونَ الكلم عن مواضعه ﴾ (٢)

﴿ الذين عاهدت منهم ثم يَنقضون عهدهُم فى كل مرة وهم لايتقون ﴾ (٣)

﴿ أو كلما عاهَدُوا عهداً نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لايُؤمنون » (٤)

٤ ــ جبن وقسوة ، وغرور :

ـ ﴿ قالوا يا موسى إنَّ فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ... ﴾ (٥)

﴿ لأنتم أشد رهبة فى صُدُورهم من الله .. ﴾ (٦)

﴿ لايُقاتِلونَكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدار ﴾ (٧)

ــ ﴿ ثم قَست قُلوبُكُم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدُ قسوة ﴾ (٨)

ــ ﴿وقالوا لن تمسنَا النارُ إلا أياماً معدودة . ﴾ (٩)

﴿ أفكلما جاءَكُم رسولُ بما لاتهوىَ أنفُسُكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ (١٠)

﴿ وقالوا لن يَدخُلَ الجنةَ إلا من كانَ هوداً أو نصارى .. ﴾ (١١)

٥ ــ جحدوا فكتب عليهم الذلة :

﴿ سَلْ بنى إسرائيلَ كَم آتيناهُم من آية بينة ، ومن يُبدل نعمة الله من بعد

---

(١) آل عمران ٢١ .
(٢) المائدة ١٣ .
(٣) الأنفال ٥٦ .
(٤) البقرة ١٠٠ .
(٥) المائدة آية ٢٢
(٦) الحشر ١٣ .
(٧) الحشر ١٤ .
(٨) البقرة آية ٧٤ .
(٩) البقرة آية ٨٠ .
(١٠) البقرة آية ٨٧ .
(١١)البقرة آية ١١١ .

ماجاءته فإنَّ الله شديدُ العقاب ﴾[1] .

﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالـمون ﴾[2]

ـــ ﴿ضُربت عليهُم الذلةُ أينما ثُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناسِ وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ﴾[3] .

ثانيا : مراحل الأفعى اليهودية :

ونحن نبدأ مع الإسلام فهو مايعنينا فى هذا الـمقام وإن كان لنا أن نسجل أن الأفعى فعلت مع الـمسيح عليه السلام ودعوته الكثير .

وعندما جاء محمد عليه الصلاة والسلام برسالته ، وكانوا من قبل يظنون أن النبى المرسل من بعد عيسى سيكون منهم ، وكانوا يستفتحون على خصومهم بذلك فلما جاء من نسل إسماعيل لاإسحاق أنكروه وكفروا به .

وحاولوا فى البداية التخلص منه بأكثر من طريق ... وفى مقدمتها الاغتيال فحاولوا : قتله بالسم مرة لكن الله سبحانه أوحى إليه فتوقى الأكل من الشاة الـمسمومة ، وحاولوا قتله بإلقاء الحجر عليه وهو جالس مرتكن إلى الحائط ، لكن الله سبحانه كذلك أوحى إليه فتوقى القتل مرة أخرى .

ـــ ثم حاولوا تجميع الأعداء عليه وتأليبهم حتى كانت غزوة الأحزاب التى زلزل المؤمنون فيها زلزالا شديدا ، ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجِرَ وتَظنون بالله الظُّنونا .. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ .[4]

ومن ثم كان إجلاؤهم :

بنو قينقاع .. لـما غدروا ، وكشفوا سوأة الـمسلمة ، وقتلوا من دافع عنها .

وبنو النضير .. لـما غدروا كذلك ، وحاولوا إلقاء الحجر على الرسول وهو مسند

---

(١) البقرة آية ٢١١ .

(٢) البقرة آية ٥١ .

(٣) آل عمران آية ١١٢

(٤) الأحزاب ١٠ ـــ ١١

ظهره إلى حائطهم .
وبنو قريظة .. أخيرا لما تحالفوا مع الأحزاب فعاد إليهم الرسول ﷺ بعد أن أجلى الله الكفار من حول الخندق ، عاد إليهم وهو يقول للـمسلمين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة » وقتل الرجال وسبى النساء والذرية .
وأنزل الله فيهم قوله : ﴿ وأنزَلَ الذينَ ظاهروهُم من أهلِ الكتاب من صياصِيهِـم وقذفَ فى قلوبهم الرُّعبَ فريقاً تقتلونَ وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضَهُم وديارَهُم وأموالهم وأرضاً لم تطَؤوهَا وكان الله على كلِ شىء قديرا ﴾(١) .
وطهر الله منهم أرض الجزيرة على عهد رسول الله ﷺ وكان تصريح رسول الله ﷺ عشية انتقاله إلى الرفيق الأعلى (لايجتمع فى الجزيرة دينان) !

ــ وحملوا الحقد فى نفوسهم ، وأخفت الأفعى اليهودية رأسها حينا ، حتى أطلت على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه تنفث سمومها .. حتى بلغ الأمر حد التآمر على حياته ، فقتل ذو النورين وهو صائم يتلو القرآن .

ثم زاد نفث السموم على عهد على رضى الله عنه حتى تأججت نار الفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، ثم تأججت ضد على نفسه بما أعلنه الخوارج من كفر على والذين معه ، ومعاوية والذين معه ، ثم بظهور الشيعة يعتنقون بعض مبادىء اليهود من رجعة على ، ومن تأليه له .. كما ألهوا من قبل الـمسيح ابن مريم .

وزادت الفرق .. وزادت محاولات التفرقة الفكرية والعقدية بين صفوف الـمسلمين .

وفى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الـميلادى) تشكلت محافل الـماسونية تحمل شعار (الإخاء ــ العدالة ــ الـمساواة) وتحمل فى الحقيقة حقد اليهود على كل من عداهم من البشر (الجوييم) يعتبرونهم حميرا كلما نفق حمار ركبوا حمارا آخر بدلا منه .

وفى درجات الـمبتدئين الأولى يكتفون ببث السموم دون الكشف عن حقيقة

(١) الأحزاب ٢٦ .

هدفهم .. حتى إذا بلغ العضو (البناء) الدرجة الثالثة والثلاثين صار التكريس معه على النحو التالى :

س : على أى شيء أقسمت ؟

ج : على التوراة .

س : هل علمت بكتاب سواه ؟

ج : نعم هناك إنجيل وقرآن وهذه الشرذمة خارجة عن الإيمان والبشرية ...

س : هل تؤمن بهما ؟

ج : كلا أؤمن بالتوراة فقط الكتاب الصحيح الذى أنزل على موسى .

س : مارأيك بالدينين المسيحى والإسلامى ؟

ج : المسيحى أخذ تعاليمه من التوراة والإسلامى أخذ تعاليمه من التوراة والإنجيل .

س : هل الأصل أفضل أم الفرع ؟

ج : لاشك أن الأصل أفضل !!! . (١)

وتنهض الماسونية بأعبائها الخبيثة لتجند فى مجال الفكر أساطيل ، تشكيكا للناس فى قيمهم ومثلهم ومحاولة لتهويدهم فكرا أو اقترابهم منه .

وينضم إليها أمثال : روسو وفولتير ، يمهدا للثورة الفرنسية ويشعلاها وأمثال كارل مردخاى ماركس ، وإسحق مونيمر وثبشو وليغى درون وشيف ليخطط الأول دستور الشيوعية ، وليقول الآخرون وكلهم يهود ثم يمتطى صهوتها ويمول بعد ذلك اليهودى أولباتوف (الملقب بلينين) . (٢)

---

(١) حقيقة الماسونية د. محمد على الزغبى ـــ مارس ١٩٧٤ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) ويكفى لإدارك نفوذ اليهود الحالى فى الاتحاد السوفيتى أن نعلم أنهم رغم أنهم يمثلون أقل من نصف فى المائة من تعداد السكان « مليونان من ٢٢٠ مليون تعداد الاتحاد السوفيتى » فقد ذكر نيكيتا خروشوف فى مجال الدفاع عن نفسه أن للواحد فى المائة هذه النسب :

٤ر١ ٪ من مجموع المحامين ١٤ ٪ من مجموع الكتاب

٢٣ ٪ من مجموع المؤلفين والموسيقيين .

٦٣ ٪ من الفنانين .

٧٦٤٧ يحتلون أكبر المناصب فى الدولة .

٤٤٧٠٠٠ عالم اقتصادى متخصص .

وأمثال مدحت باشا ومصطفى كمال الشهير بأتاتورك مع حزب الاتحاد والترقى ليمهدوا .. ثم ليقضوا على دولة الخلافة الإسلامية لتجد الأفعى اليهودية طريقها إلى فلسطين عبر القسطنطينية !

ــ وتنفث الماسونية سمومها فى مجال الفنون هبوطا بالناس إلى مستوى حيوانى حقير ، وإغراقا لهم فى مستنقع الغرائز ، حتى ليصير كشف الناس لعوراتهم أداء للون من الفنون ، وممارسة الغريزة الجنسية عل الشاشة وعلى خشبة المسرح لونا مستساغا كذلك . (١)

ولاغرو فهى تستمد ذلك من البروتوكول الثالث « إن مصلحتنا تقضى بانحلال الشعوب غير اليهودية » .

وتنفث سمومها كذلك فى مجال الصحافة والكتابة والنشر .. فتزيف التاريخ وتطمس الحقائق وتحاول دس خرافات اليهود مما سطرته أيديهم فى التوراه والتلمود .

أما سمومها فى مجال الاقتصاد .. فحدث عنه ولاحرج فهم الذين ابتدعوا الربا وقننوه تحت اسم سعر الفائدة ، وبرزوا بنظريات المنفعة ، وصبغوا الاقتصاد بالصبغة المادية الخالصة من كل معنى كريم .

كذلك فى مجال السياسة صاغوا النظريات ، وروجوا للأفكار ، انحرافا بالإنسانية

---

(١) فى مجلة الدعوة السعودية العدد رقم ٦٣٣ الاثنين ٣ من محرم سنة ١٣٩٨ تحت عنوان وإسلاماه ــ بقلم ع. ع. جامعة الرياض نداء جاء فيه انقذوا الشباب من دمار الأخلاق وانتشار الرذيلة والانحلال ، ثم أشار الى أن نوادى الشباب تحولته إلى هدف رذيل ، وأصبحت هذه الأندية تدمر الأخلاق وذلك بما يعرض فيها ليليا من أفلام سينمائية لايصدق العقل أن مثل هذه الأفلام تعرض فى أندية للشباب داخل دولة تعتبر قلب الإسلام ، ويعتبر شبابها هو أول الشباب مسئولية فى حمل رسالة الإسلام إلى جميع أهل الأرض » وكان آخر ما عرض من أفلام رذيلة فى أحد الأندية هنا بالرياض هو فيلم أمريكى ملون بعنوان « الفتيات الساخنات »

وكان ذلك فى ليلة الخميس الموافق ٢١ /١٢٠ / ٩٨ والحق يقال ان هذا الفيلم وصل الى درجة ليخجل العاقل عن وصفها فقد كان جنسيا بحتا ، تعرض فيه العمليات الجنسية بين رجال ونساء عراه دون خجل ولا حياء ، وقد بلغ قيمة التذكرة لهذا الفيلم ١٠ ريالات .

وفى صحيفة الرياض العدد ٤٠٨٦ السنة الرابعة عشر « ٢٨ / ١٢ / ١٣٩٨ الموافق ١٨ / ١١ / ١٩٧٨ أن مجلة حواء النسائية المصرية العدد ١١٥٤ نشرت دراسات حول أحدث موضة أزياء الشتاء لعام ٧٨ وجد شعار إسرائيل عليها « النجمةالسداسية »

عن مثلها وقيمها ، وهبوطا بها إلى مستويات دنيا ، ثم تمزيقا لها تحت تيارات وشعارات كثيرة وباسم أحزاب وتكتلات عديدة ! .

وهكذا

ـــ وقد بلغ من نفوذ الماسونية أن كان بعض الزعماء (المسلمين) من أعضائها الكبار [١]، كما شمل رؤساء آخرين نشاط نواديها بعد أن تكشف حقائق محافلها .

وفى مجال النصارى حققت الماسونية كسبا ، إذ صدر قرار بتبرئة اليهود من دم المسيح ، ثم أعلنت الكنيسة الكاثوليكية سماحها بالانتساب إلى المحافل الماسونية الأمر الذى كان يمنعه من قبل . [٢]

---

(١) نشر الدكتور محمد على الزغبى فى كتابه حقيقة الماسونية الخطابين التاليين

أ ـــ البناءون الأحرار المجتمعون اليوم بالإسكندرية لمناسبة تثبيت أستاذأعظم للمحافل الأكبر الوطن لمصر والأقطار العربية ، يعربون عن إخلاصهم للثورة المباركة ، وتأييدهم لقادتها الاحرار ورغبتهم الأكيدة فى العمل على مبادئها التى يدينون بها .

وقد سجلوا هذا الولاء باختيار سيادتكم بالإجماع حاميا أعظم للماسونية فى مصر والأقطار العربية ـــ سائلين المولى أن يؤيد مصر الجمهورية بنصر من عنده . وأن يوفقكم فى كل ما تقدمونه للبلاد من خير ، وأن تزدهر الماسونية وترتقى فى ظل حمايتكم العظمى لها ، والله ولى التوفيق »

٢٨ / ١ / ١٩٥٦ م

ب ـــ السيد طه مخلوف أستاذ الماسون

تحية طيبة وبعد ،

فأشكر لك أجزل الشكر تهنئتك القلبية وثقتك الغالية بالدستور الجديد الذى استلهم من روحك وبكلمتك « !!! » وبفضل إيمانك يعلو وتصبح موأده المرجع والغاية .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه خير بلادنا العزيزة ـــ والله أكبر والعزة لمصر .

جمال عبد الناصر

« ونشرت مجلة المجتمع الكويتية » العدد ٤١٩ ـــ الثلاثاء ٧ ذى الحجة الموافق ٧ نوفمبر ١٩٧٨ « أن إذاعة العدو الإسرائيلى أذاعت اليوم الجمعة ٢٥ القعدة الموافق ٢١ / ١٠ / ٧٨ خبرا جاء فيه أنه سيعقد فى مطلع ديسمبر المقبل فى كل من القدس والقاهرة مؤتمرا باشتراك رؤساء نوادى الروتارى فى مصر وإسرائيل والمغرب وتونس والجزائر والبحرين والكويت وقبرص وأنه سيبحث فى معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر وفى التعاون بين نوادى الروتارى فى الشرق الأوسط .

(٢) راجع المخططات التلمودية الصهيونية للأستاذ انور الجندى ـــ دار الاعتصام فى غزو الفكر الاسلامى الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م .

وبعد

فلعنا .. أسقطنا بعض الأضواء على ماتجربة الأفعى اليهودية من تحرك فى الظلام .

○ ○ لكن آثارها فى مجال السياسة .. يحتاج إلى تعقب طويل وتعقيب أطول .. فهى تشارك الولايات المتحدة اليوم ، إن لم تكن محركة كذلك لها ، تشاركها « لعبة الحكام [1] الذين بدورهم يمارسون لعبة الأمم أمة الشعوب Came of Nations [2] ، ولعل ماقدمنا من فقرات ، ونُقول عن ساسة الغرب ، وساسة اليهود وكتاباتهم عند الحديث عن الاتجاه الغربى ، لعل فى ذلك كله تأكيد لما نقول .

ولعل مايلحظه الناس من قيام الحروب ، والتحرشات ، والصراعات المختلفة بين البلاد الإسلامية والعربية بعضها البعض ، وتسلط كثير من الحكام على شعوبهم امتهانا وإذلالا ، وقتلا للنخوة والرجولة فى صدور الرجال .. وفى مقدمتهم أبناء الدعوة الإسلامية على نحو ماأشرنا من قبل ـــ لعل فى ذلك كله تأكيدا آخر لأخير .

أما الأخير فهو أن سهما واحدا من هذه السهام أو رصاصة واحدة من هذه الرصاصات لم تطلق على قلب « إسرائيل » ، وهى أقرب ، وهى فى الوقت نفسه أشد عداوة للذين آمنوا ! .. إن ماأنفق فى بعض الحروب التى امتدت بضع سنين ولاتزال قائمة وماينفق فى التآمر المتبادل ، والتجسس المتبادل ، وقذائف الإعلام المتبادلة كان يكفى لإفناء « إسرائيل » ولكنها التى تلعب ، وهى المستفيد الأول !

وفى علم الإجرام يقولون إذا أردت أن تعرف المجرم فسأل من المستفيد من الجريمة ؟

أما المجال الاجتماعى ، فنرجو ألا يكون تكرارا أن نقول إن معظم أنواع الانحلال الاجتماعى فى العالم عامة وفى الشرق خاصة ، وراءها اليهود ! ، وإذا كانوا استطاعوا

---

(١) هذا تعبير لنا جديد عن « صناعة الزعماء » الذى أشرنا إليه من قبل ، وقد فكرنا فى استخدام اللفظ الذى استخدمه حيفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى مصر فى أوائل الستينيات حين كان يعبر عن حكام احدى البلاد الإسلامية بقوله My Boys ـــ لكنا آثرنا التأدب مع « أسيادنا » الحكام .

(٢) مع الاعتذار للكاتب الأمريكى مايلز كوبلاند صاحب الكتاب الشهير بهذا العنوان .

أن يغزو ألمانيا فى هذا الجانب لتكفِّر ألمانيا عن جريمة لم ترتكبها نسبها إليها اليهود[1]. إنهم إن كانوا قد استطاعوا ذلك ، فهم يحالون فى بلادنا الإسلامية غزوها اجتماعيا ، لنشر الانحلال فى مجتمعاتها ، وتعمد اليهود السائحون التجول فى شوارع بعض البلاد الإسلامية بأزياء أقرب إلى العرى ، ومايحملون معهم أو قبلهم عند قدومهم من « أفلام » مثيرة ، ومايحملون بأنفسهم أو بوسائط عنهم من مخدرات بلغت أخطر أنواعها فى المرحلة الأخيرة عن طريق الهيروين وغيره من أنواع السموم البيضاء التى إذا ابتلى إنسان « بشَمّة » واحدة منها تحقق لديه الادمان ! .. كل ذلك وغيره .. مما ظهرت أصابع اليهود وراءه أو ظهرت علانية معه .. يؤكد الدور « الدور الاجتماعى » الذى يحاولونه ، حتى ينزعوا من شعوبنا نخوة الجهاد ويصيبونهم بطراوة الانحلال !

أما المجال الفكرى — وهو أخطر — فقد أشرنا إلى إلماحة خفيفة ، ونحيل إلى مراجع ورسائل كتبت حديثا عن أثر اليهود فى هذا الميدان والله المستعان[2]

---

(١) أشاع اليهود أن هتلر حرقهم فى أفران ، وقالوا إن ذلك كان يتم فى سجن « دخاو » — ضاحية فى مقاطعة بافاريا لعاصمتها ميونخ فى ألمانيا الغربية — وقد أتيح لى زيارة هذا السجن عام ١٩٨٠ فى صحبة شاعر الدعوة جمال فوزى رحمه الله — ولاحظنا أن الأفران المذكوره ليست كثيرة بل تعد على أصابع اليد ، وأن الفرن لايتسع إلا شخص واحد ، ولما سألنا قال بعضهم إنه مخصص لحرق المسجون الذى يموت حتى لايتكلف السجن إرساله إلى أهله ، وحتى لايطول مقامه ميتا ، ومع ذلك زعم اليهود.أنهم كانوا يحرقون هناك

أما أثر اليهود فى انحلال ألمانيا ، فقد سمعته من المواطن الألمانى العادى ، لقد حكى لى بعض الألمان أنه إلى الحرب العالمية الثانية لم تكن صورة الانحلال على هذا النحو الملاحظ الآن ، وأن اليهود — بعد تلك الحرب وبما زعموا مما أصابهم استطاعوا أن يحصلوا على امتيازات ضخمة لايتمتع بها المواطن الألمانى ، وفى مقدمتها الاعفاء الكامل من الضرائب التى تصل فى ألمانيا — تصاعديا — إلى حوالى ٩٠ ٪ والتى فى متوسطها لاتقل عن ٥٠ — ٦٠ ٪ أعفوا من هذا القدر الكبير من الضرائب على الأرباح التجارية ، واتجهوا إلى تجارة الجنس بكل أنواعها وصنوفها ابتداء من عرض الفيلم الجنسى الرخيص ، وانتهاء إلى تجارة الدعارة والبغاء ، الأمر الذى حقق لهم هدفين فى وقت واحد : تحقيق أرباح ضخمة ونشر الانحلال حتى بلغ أعماق الريف الذى كانت تسيطر عليه روح المحافظة .

(٢) راجع فى ذلك رسالة ماجستير تحت عنوان « الغزو الفكرى اليهودى لفلسطين » للشاب الفلسطينى حسين مهدى — الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . وراجع كذلك مانشرته المجتمع والبلاغ عن « وثائق الماسونية » فى بعض البلاد الإسلامية .

ولانزال نحسب أن مجال التأثير اليهودى .. السياسى ، الاقتصادى ، الاجتماعى ، الفكرى .. بحاجة إلى بحث وغوص نرجو أن ينهض به بعض القادرين على ذلك والله المستعان .

الفصل الثانى*

حول حقيقة الماسونية ونشأتها ومصادرها

تقدمة :

مسونى ، أو ماسونى ، نسبة إلى الـماسونية **freemagon mason** ويقصد بها البناءون الأحرار ، أو البناء الحر **masonic lodgl** والبناءون الأحرار هم الذين بنو هيكل سليمان(١)، وهناك رأى آخر بأن الـماسونى : من استقل بحرفته رجاء كسب معاشه دون أن ينتسب إلى نقابة أو جمعية يتقيد بها فى عمله مؤثرا الحرية واصفا نفسه صاحب حرفة حر .

(١) حقيقة الماسونية

إن بعض المؤرخين لها المنتسبين إليها يرى : « أن الماسونية مبنية على أقوى دعائم التقوى والفضيلة ولا يتسنى لأى إنسان كان أن يكون ماسونيا إلا إذا كان حر النسب ، طيب السيرة ، مهيئا للتفانى فى سبيل تحقيق عمل الخير ، يكافح الباطل وينـاصر الحق ، تواقـا للحريـة والإخـاء والمساواة فيختـار الانتماء إليها من تلقـاء نفسه ، وغير مكره عليها من قبل أحد » .

ولعل سائلا يسأل : إذا كانت الـماسونية كما تقولون ، فلماذا تستند بالظلام وترهب النور ؟ بل وتهدد كل من يبوح برموزها أو يحاول الكشف عن طلاسمها بالقتل والإبادة ؟! .

إن أول شيء تحرص عليه أن تلقن أعضاءها عند التحاقهم بهم أن يكونوا كتومين ... ولايسمح للعضو بالانضمام إلى عضويتها إلا بعد أداء اليمين أمام هيئة الـمحفل (٢) وهاك بعض كلماته : « أقسم بين خالق الكون الأعظم ، وأتعهد

---

* هذا الفصل تلخيص عن كتاب الزميل الفاضل د عبد الرحمن عميرة المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، وبعض المصادر الأخرى المشار إليها

(١) مجمع اللغات : انجليزى . عربى . فرنسى ص ٧٦٣ .

(٢) المحفل : مكان الاجتماع ، ويسمى فيما بينهم الهيكل الذى يرمز الى هيكل سليمان .

بإرادتى واختيارى أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الـماسونية التى تباح لى الآن أو فيما بعد ، ولا أبوح بها لأحد ، وأتعهد بأن لا أكتب هذه الأسرار ولا أطبعها ولا أحفرها ولاأنقشها ، أو أدل عليها بوجه من الوجوه ، وأن أمنع ماااستطعت من يقصد أن يفعل ذلك سواء كان بالحرف ، أو بالوصف أو بالصور ، صريحا أو غير صريح ، لنفسى أو لغيرى من الناس ، حتى لاتنكشف أسرار البنائين الأحرار » . [1]

يقول بعض الـمؤرخين الـمحدثين معرفا بها وكاشف النقاب عن هويتها : « الـماسونية آلة صيد بين اليهود ، يصرعون بها كبار الساسة ، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة ... أما مهمتها الحقيقة : فصقل أحجار صالحين لبناء الهيكل وتدريب فرسان حكماء يتقنون انتزاعه بحكمة وشجاعة ، ثم ترويض أسود لحمايته » . [2]

إنه يقول عنها : إنها يهودية الأصل والـمنبت ، ومادامت كذلك فهى : تجيد الـمكر والخداع .

وحسبنا أن نسوق هذه الحقائق :

أ ـــ تقول النشرة اليهودية الصادرة فى عام ١٨٦١ م : « إن روح الـماسونية الأوربية هى روح اليهودية فى معتقداتها الأساسية ، لها نفس الـمثل واللغة وفى الأغلب نفس التنظيم والآمال التى تنير طريق الـماسونية ، وتدعمها ـــ هى الآمال التى تنير طريق إسرائيل وتدعمه ، ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع ، حيث تكون القدس رمزا وقلبا منتصراً » .

ب ـــ وفى سنة ١٨٦٦ م قال الحاخام الدكتور laeacwise : « الـماسونية مؤسسة يهودية فى تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها ، وفى إيضاحاتها يهودية من البداية حتى النهاية » .

ج ـــ وقالت دائرة معارف الـماسونية الصادرة فى « فيلادلفيا » سنة ١٩٠٦ م : « يجب أن يكون كل محفل رمزا لهيكل اليهود ، وهو بالفعل كذلك ، وأن يكون كل

---

(١) راجع كتاب « أسرار الماسونية ، أو السر المصون فى شريعة الفرمسون » تأليف الأب لويس شيخو .

(٢) « حقيقة الماسونية » : د / محمد على الزغبى .

أستاذ على كرسيه ممثلا لـملك اليهود ، وكل ماسونى تجسيدا للعامل اليهودى »[1].

د ـــ وذكرت دائرة الـمعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣ ح ٥ ص ٥٠٣ :
« إن اللغة الفنية ، والرموز والطقوس التى تمارسها الـماسونية الأوربية ملأى بالـمثل والاصطلاحات اليهودية ، ففى محفل « سكوتلندا » تجد التواريخ الـموضوعة على الـمراسلات والوثائق الرسمية كلها بحسب تقويم العصر ، والأشهر اليهودية ، وتستعمل كذلك الأبجدية العبرية » . [2]

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج تأليف : وليام كار ترجمة سعيد جزائرى .

(٢) الماسونية أحمد عبد الغفور عطار ص ٦٠ .

(٣) إنجيل متى ٢٤ / ١ ـــ ٢ ومرقص ١٣ / ١ ـــ ٢ ولوقا ٢١ / ٥ ـــ ٦ نقلا من ص ٢٩ من الكتاب .

٢ - نشأة الماسونية

— يرى بعض المؤرخين أن تاريخها يرجع إلى بداية النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى .

— وإذا أردنا النصفة نقول : إن هذا وارد فى أقوال المؤرخين والراصدين لحركات هذه الجمعية الخفية على مدار حقب التاريخ .. ولكننا نرجح أن الماسونية يرجع تاريخ إنشائها إلى بداية القرن الأول الميلادى ، عندما كان « حاخامات » اليهود يتنبأون بقرب ظهور نبى جديد ..

وبشىء من التفصيل يمكن أن نقسم نشأة الماسونية وتطورها تاريخيا إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى :

تتلخص فى أن الحاخامات تنبأوابقرب ظهور نبى جديد — كما مر — فاستشعروا بخطر ذلك ، ولما ولد المسيح عليه السلام وبدأ دعوته ، آمن له الكثير من الناس فتأكد الخطر لديهم لأنه (أخذ يبشر بزوال هيكل سليمان بحيث لايبقى حجر على حجر لاينقض) [٣] وأهمَّ هذا كله (هيرودس الثانى) فدعا إلى إنشاء جمعية سرية باسم « القوة الخفية » وكانت مهمة هذه الجمعية تتلخص فى التخلص والقضاء على المسيحية وأتباعها ، وأسندت رئاسة الجمعية إلى الملك المذكور .. كما تم تكوين مجلس سرى أعلى ليكون له مهمة الإشراف على عمل هذه الجمعية ومباشرة تنفيذ مخططاتها ، وفى اليوم العاشر من أغسطس عام ٤٣ م عقد الاجتماع السرى الأول للمجلس فى أحد أبنية قصر الملك « هردوس » وكان أول شيىء اتجه تفكيرهم إليه تسمية مكان الاجتماع .. ! فسموه « هيكلا » تخليدا لهيكل سليمان الذى تنبأ المسيح عليه السلام بتقويضة .

يقول هردوس فى تبرير إنشاء هذه الجمعية : « لقد علم الخاصة والعامة ماأحدث ظهور الدجال يسوع[1] من الانقلاب الروحى والزمنى والسياسى عند الشعوب ولاسيما فى طائفتنا الإسرائيلية ... انتحل لنفسه اسم يسوع الناصرى ملك اليهود وما هو إلا صعلوك دجال ادعى أنه حُبل به بقوةروح إلهية وولد من عذراء .... هيهات أن نسلم بألوهية أو بكونه المسيح الذى ننتظره ... وأخيرا صلبناه ومات ودفناه ونصبنا حراسا على قبره .... ثم ادعى رجاله أنه قام من القبر ...»[2]

وهكذا نظم (هردوس اكريبا) هذه الجمعية وعين الوظائف وبين التزامات المؤسسين متخذا لذلك كله رموزا فلكية كالنجوم والشمس والقمر « لأنها أدل على القدمية من غيرها » ! ورموزا أخرى تمثل شارة الجمعية ... إمعانا فى السرية ولتكون بمثابة ذكر منهم يذكر بها الآتين بعدهم من الأبناء والأحفاد الذين يرثون أعمالهم ويديرون جمعيتهم كما يقول هيردوس .[3]

هذا نموذج لترتيب الوظائف :

الملك هيردوس إكريبا	رئيس
حيرام ابيود	نائب الرئيس
موآب لافى	كاتم سرأول

... إلخ وتختلف الوظائف من كاتم سر ثانى ومراقب ومعاون أول ومعاون ثانى إلى الحاجب[4] ولم يكتف هذا الرئيس بالتضليل والخداع والكذب على التاريخ بل قال لهم أيضا : « يمكننا بعد ذلك أن نذيع على العالم أن أخانا (حيرام ابيود) هو حيرام آبى المهندس الكبير السورى الذى خول له سليمان عليه السلام هندسة الهيكل ...

---

(١) يقصد اليهود بالدجال : يسوع المسيح عليه السلام !

(٢) انظر كامل النص فى ص ٣٠ — ٣١ .

(٣) الكتاب ص ٣٥ نقلا عن « أصل الماسونية » ترجمة عوض خوري ص ١٠٦ .

(٤) انظر الكتاب ص ٣٤ .

ولسائل أن يسأل : وهل ارتكبت المسيحية جرما إزاء اليهود ..؟ وهل انتقص المسيح من موسى أو جاء للقضاء على التوراة ؟! الحقيقة أن شيئا من ذلك لم يحدث ، ويذكر القرآن التوراة بأنها كتاب الله وأنها هدى ونور ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور .. ﴾ ــ ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناهُ الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراةِ وهدى وموعظة للمتقين ﴾[1] فعلام الحقد إذن ؟ ليس له مايبرره إلا الجبلة اليهودية التى طبعت على الختل والمراوغة !

واستمرت الجمعية فى التعذيب والتنكيل ورسم الخطط الجهنمية لأتباع المسيحية ، إلى أن أصيب هذا الرئيس بمرض حاد فى عينيه فأعماهما ثم نزل داء بجسمه اضطره إلى الاعتزال ثم ماهى إلا أيام حتى فارقت روحه جسده . فى أواخر سنة٤٤ م وآخر كلماته كمايقول حيرام ابيود : « حافظوا على السر ، واظبوا على العمل ، اشتغلوا ولاتملو ... » ! .

وتولى الرئاسة العامة للجمعية حيرام . الذى يصفه أتباع المسيحية بأنه الرجل الشيطانى وأنه من سلالة إبليس ! وكان أول شىء عمله أن اقترح على الأعضاء إضافة اسم جديد الى اسم « هيكل أورشليم » هو « كوكب الشرق الأعظم » ليوهم الناس أن النور الحقيقى الذى ينيرهم ويهديهم هو هذا الكوكب « كوكب القوة الخفية » .[2]

رأى حيرم أن المسيحين يتكاثرون فى عهده فأخذ مجموعة من أعضاء الجمعية وأخذوا يتجولون فى الأرض حتى وصلوا إلى أراضى صيدون (فى لبنان) بحثا عن أتباع المسيحية ثم يعودوا فى نهاية اليوم ... وجاء المساء وعاد الرجال ولم يعد حيرام وشغلهم ذلك !.. لقد هلك حيرام . لقد أكلت الذئاب « حيرام » وعثر على بقايا

---

(١) الآيتان ٤٤ ، ٤٦ المائدة .

(٢) ص ٣٧ من الكتاب .

من جثته وتعرف عليه أتباعه بخاتمه الفضى محفوراً عليه رسم مطرقة !! .[1]

وخلف حيرام « مواب لاف » فى رئاسة الجمعية واستمر فى العمل حتى عام ٥٥ م .

المرحلة الثانية :

تبدأ من سنة ٥٥ م ، وتميزت بإقامة هياكل كثيرة فى مختلف البلدان من أشهرها هيكل روما ، وكان « للقوة الخفية » يد طولى فى اضطهاد المسيحين وقهرهم ، ويجوز أن هذه قد دست على المسيحين بعض عملائها وأعضائها ومنهم « بولس » الذى ساهم فى إبادتهم لما لم يفلح فى أسلوب الهدم من الخارج لجأ إلى أسلوب آخر وهو الهدم من الداخل حيث أفرغ (بولس) المسيحية من لبابها وجوهرها ليحل محلها مايقضى على معتقدها السليم .

يقول (شارلز جنيبير) عن بولس اليهودى الذى اعتنق المسيحية : « إن بولس ولد فى أسرة يهودية ، وأنه بدأ حياته عدوا سفاحا لدم المسيحيين . فهو أمشاج من الفكر اليهودى والرواقى ... وإنه أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعى إلى ثوب جديد فهو الذى :

— بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذى كان يطلقه الحواريون عليه ،إلى ابن الله .

— ألغى اختصاص ملة عيسى بشعبة اليهودى . وسمح للمشركين عامة الدخول فيه .

— ألغى شريعة موسى فى الختان وكثيرا من الشرائع إرضاءً للجدد من المشركين وبقية المجتمع اليونانى .[2]

إن الماسونية القديمة ، أو اليهودية العالمية وراء الكثير من الخلافات التى شتَّتت أمر المسلمين ومزقت وحدتهم :

أمثلة تاريخية : — كعب الأحبار وراء فتنة الظاهر والباطن ، وفتنة الجبر

---

(١) ص ٣٨ من الكتاب .

(٢) الكتاب فى ص ٣٩ وما بعدها نقلا عن د / رءوف شلبى « ياأهل الكتاب تعالوا » ص١٠٢ .

المطلق والاختيار المطلق .

ـــ جهم بن صفوان ، بطل ادعاء الجبر المطلق .

ـــ غيلان الدمشقى بطل ادعاء الاختيار المطلق .

ـــ الجعد بن درهم ألمع جنود المشككين .

هؤلاء وإن لم يكونوا يهوداً ، فمرددون مابــوق به اليهود ، شعــروا بذلك أم لم يشعروا ، يتضح هذا جليا إذا علمنا أن هذين المذهبين فى نفى القدر وإثباته هما مذهب (الأبيقوريين) القائلين بحرية الإرادة ، ومذهب (الرواقيين) القائلين بأن الإنسان مسير لامخير ، وهما مذهبا اليهود .

والمؤرخون يرون فى صدد فكرة خلق القرآن سلسلة يصل سندها إلى لبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة ! والبعض يرى أن الجعد أخذ الفكرة عن إبان بن سمعان عن طالوت بن أعصم عن عمه لبيد . وقيل إن أول من نشر فى المسلمين دعوى الخلق : المغيرة بن سعيد العجلى من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى . فالفكرة يهودية من أكثر من وجه [1]، وصدق الله إذ يقول :

ـــ ﴿ ودت طائفةٌ من أهلِ الكتابِ لو يضلونَكُم ومايضلونَ إلا أنفسَهُم ومايشعرون ﴾[2]

ـــ ﴿ يأهل الكتابِ لم تلبسُونَ الحق بالباطل وتكتمون الحقَ وأنتم تعلمون ﴾[3]

ـــ ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنَا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾[4]

المرحلة الثالثة :

يحددها بعام ١٧٧٠ م وليم كار صاحب كتاب « الدنيا لعبة إسرائيل » ويشاركه فى هذا التحديد كثير من الكتاب الذين يرصدون حركات الماسونية

---

(١) الكتاب ص ٤٢ وفى الكتاب أمثلة أخرى ! .

(٢) آل عمران / ٦٩ .

(٣) آل عمران / ٧١ .

(٤) النساء / ٤٦ .

ويتابعون مخططاتها على رقعة فسيحة من أرض المعمورة ، وتلخيص هذه المرحلة كالآتى :ـ

أ ـ « آدم وايزهاويت » مسيحى ، وأستاذ لعلم اللاهوت فى جامعة (أنفولد شتات) الألمانية ، ارتد وتقمص الإلحاد . فاتصل به كبار (الماسونية) فى ألمانيا عام ١٧٧٠ م فكلفوه بمراجعة « بروتوكلات حكماء صهيون » القديمة وإعادة تنظيمها على أسس حديثه.[1] والهدف ليس محاربة المسيحية ! بل الأمر ـ فى هذه المرة ـ أكبر من ذلك وهو : وضع خطة للسيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد على البشر جميعا !! وأنهى « وايز هاويت » مهمته فى عام ١٧٧٦ م كما يقول وليم كار . ويقوم المخطط الذى رسمه على :

١ ـ تقويض الأديان السماوية وتدمير جميع الحكومات الشرعية .

٢ ـ تقسيم « الجوييم » إلى معسكرات تتصارع فيما بينها بشكل دائم .

٣ ـ تسليح هذا المعسكرات بعد خلقها ثم بتدبير حادث يكون نتيجته أن ينقض كل معسكر على الآخر .

٤ ـ بث سموم النزاع والشقاق داخل البلد الواحد ... ثم :

٥ ـ الوصول إلى النتيجة شيئا فشيئا ... وفعلا :

ـ سقطت الحكومة الشرعية فى فرنسا ـ كما سنرى ـ .

ـ سقطت الحكومة الشرعية فى إنجلترا .

ـ سقطت دولة القياصرة فى روسيا .

وفشى الإلحاد فى أبناء كثير من هذه الدول ، فقام دارون وفرويد ..وتتلخص بنود المخطط فيمايلى :ـ

١ ـ استعمال الرشوة بالمال والجنس أو الشذوذ الأخلاقى ـ إذا لزم الأمر ـ مع الأشخاص الذين يشغلون مراكز حساسة سواء أكان ذلك فى

---

(١) ص ٤٥ من الكتاب نقلا عن « الدنيا لعبة إسرائيل » وليم كار ص ١١ وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج ترجمة سعيد جزائرى ص ١٥ .

المجال العلمى أو الاقتصادى أو السياسى .

٢ ــ توجيه الضحية إلى العمل للماسونية وغرس الاستهتار بالقيم الدينية .

٣ ــ السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة لاستخدامها كسلاح فتاك لنشر الأخبار المشبوهة والمختلقة ... إلخ . وتوفى (آدم وايز هاويت) الرأس المفكر عندهم فى عام ١٨٣٠ م .

ب ــ وكان الاجتماع المفاجىء الذى دعت له المحافل عام ١٨٣٤ الذى قرر اختيار الزعيم الإيطالى (مازينى) خلفا (لآدم وايز هاويت) . وفى عام ١٨٤٠ م استطاع المحفل الماسونى العالمى أن يضم إلى عضويته الجنرال الأمريكى (ألبرت بايك) الذى سرح من الجيش الأمريكى ومعه قواته من الجنود لارتكابهم فظائع وحشية تحت شعار الأعمال الحربية ، ونجحت الماسونية فى استغلال حقده وغضبه ــ لماحل به من جراء تسريحه ــ لخدمتها ! حتى أصبح المشرف الأول والمخطط لهم فى تنفيذ برامجهم .
فاستقر (بايك) فى مقر هادىء بمدينة صغيرة فى أمريكا هى ليتل روك واعتكف من ١٨٥٩ ــ ١٨٧١ م فقام فى هذه المدة [1] بدراسة مستفيضة لمخططات (وايز هاويت) ثم وضع مخططاته على ضوئها ..

مخطط « بايك » العالمى :

وهو المخطط الذى خرج به بعد سنوات الاعتكاف فى قصره فى ليتل روك ، فبدأ أولا بما يلى :

أ ــ ١ ــ إعادة تنظيم المحافل الماسونية .

٢ ــ أسس ثلاثة مجالس مركزية عليا ، مقر الأول فى بلدة (شارلستون) فى الولايات المتحدة ، والثانى فى (روما) والثالث (برلين) .

٣ ــ عهد إلى (مازينى) بتأسيس عشرين مجلسا تحت إشراف المجالس العليا الخاضعة بدورها للمحفل الأعلى ويختص كل مركز بمنطقة معينة بحيث تغطى كل المناطق الهامة فى الكرة الأرضية .

---

(١) ١٢ سنة تخطيط فاعتبروا !!

ب ــ أقر ونظم بتنى (النورانين) لحركات التخريب العالمية الثلاث المبنيه على الإلحاد المطلق وهى :

ــ الشيوعية ٢ ــ الفاشستيه ٣ ــ الصهوينية .

ج ــ الإعداد لحروب عالمية ثلاث :(١)

١ ــ الأولى للإطاحة بالحكم الملكى فى روسيا ، وجعل تلك المنطقة من العالم : العقل المركزى للحركة الشيوعية .

٢ ــ الثانية تؤمن لاجتياح الشيوعية العالمية لنصف العالم بما يمهد للمرحلة التالية .

٣ ــ الثالثة وتتصدى فيها الصهوينية السياسية للزعماء الإسلاميين فى العالم الإسلامى وشنها حربا على الإسلام ...

إن هذه المخططات التى وصفها بايك كانت تتم تحت ستار من التكتم الشديد وتحت غبش الظلام وهذا على مرعهود الماسونية !

* ــ يقول « مازينى » إلى مساعده اليهودى « برايد نشتاين » : .. إن الماسونية من الدرجات ٣٢ ــ ٣٣ يجهلون ما يدور فى محافل الشرق الأكبر ، أو فى مجالس الماسونية المركزية العليا التابعة لتنظيم الجنرال بايك .

* ويقول : « ويجرى تدريب النساء اللواتى ضمتهن المؤامرة إلى صفوف شبكاتها .. !!

* والآن ماموقف الماسونية من الأديان ← ؟

الماسونية والأديان

* ــ يقول الأستاذ « كولفين » فى محفل منفيس بلندن :

« إننا إذا سمحنا ليهودى أو مسلم ، أو لكاثوليكى ، أو لبروتستانتي بالدخول فى أحد هياكل الماسونية ، فإنما ذلك يتم بشرط أن الداخل يتجرد من أضاليله

---

(١) ص ٥٣ ــ ٥٤ من الكتاب .

السابقة ويجحد خرافاته » .

* ــ تقول النشرة الألـمانية بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٨٦٦ م .

«« ليس فقط يجب على الفرمسون أن لايكترثوا للأديان الـمختلفة ، ولكن يقتضى عليهم أيضا أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أيا كان » (١)

نخرج من النصين : بأن الـماسونية لاتهتم بالأديان جملة ، ولاتعيرها أدنى التفات .. لكن : كيف نوفق بين أقوالهم هذه ، وبين ما نجده في بعض نشراتهم التى يعلنونها للناس من تكرار لفظ « الإله » وترديده فى قسمهم ؟! إن الإجابة على هذه المعميات نجدها واضحة فى النشرات السرية التى لايتطلع عليها إلا الخاصة منهم ! ــ تقول اللائحة النهائية للـمجمع الرسمى للـماسونية الهولندية : « ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين ، وإن قال الـماسون بوجود الإله فإنهم يريدون به الطبيعة وقواها الـمادية ، أو جعل الإله والإنسان واحد » (٢)

ــ ومن نص آخر : « والإنسان من جنس الله وروح الإنسان من روح الله ، والروح غير منقسم فنحن البشر نؤلف الكل الذى يقوم به الكائن العظيم وكل شيء يرجع إلى هذا الوحى نحن الله ! »(٣)

. إن ماتقول به الـماسونية ليس جديداً ، فهو نفس الشيء الذى قالت به البوذية قديما والتى لاتجعل فرقا بين الله والإنسان الأمر الذى جعل « ويسمويت » الألـمانى يقول عند شرحه للدرجة العليا من الـماسونية : « كل شيء هو مادى ، فالله والعالم ليس إلا شيئا واحدا ، وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو الـمطامع .. ! » قال « ويسمويت » هذه الكلمة فتلقفها منه « ماركس » التلميذ الـمخلص للماسونية العالمية وأخذ ينادى بها ويعلنها فى كتابه ويقرر هو الآخر « ما الديانات إلا صناعة بشرية » .

---

(١) النصين فى « السر المصون فى شريعة الفرمسون : للأب لويس شيخو ، نقلا عن الكتاب .

(٢) المصدر السابق .

(٣) السر المصون ص ٣٦ ــ ٣٧ .

تباين الـماسونية فى حقيقة الإله : ــ

تتفق الـماسونية فى الإلحاد ، والتجديف فى حق الله سبحانه وتعالى . وإن كانت المحافل والهيـاكل الماسونيـة تتبايـن وتغتـرق فى حقيقـة الاعتقـاد (أ) فإذا رأت بعض الـمحافل ــ كما مر ــ وحدة الوجود وأن الكون والإله شيء واحد ...

(ب) فإن بعض الـمحافل تسمى « الإله » « ادويزام » وهو « ازيريس » إله الـمصرين القدماء . ، و « ميترا » إله الفرس ، و « بافوس » إله الرومان أو أحد الآلهة الـمتعددة الذين كانوا فى سالف الزمان يمثلون الشمس أو القمر أو النجوم أو بعض الجن أو الـملائكة ... وإذا تصفحنا كتاب« كرستامسيدو » عن الـماسونية وتعاليمها نراه يقول :

* ــ « الـماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القديم ، تحفل بجميع الآلهة فترحب بهم ... »

* ــ ويقول « دى فرنيك » أحد زعماء الـمحفل السكوتلندى : « إن إلهناليس به اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم » .

* وقال آخر « إن اسم مهندس الكون عندنا اسم بلا مسمى .. إن الطبيعة هي الله » .

وماردته الماسونيـة وتـردده ، قد سبقهـــم أجدادهـــم إذ قالـــوا ﴿ ماهـــي إلا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا ومايُهلكنا إلا الدهر ﴾ (١)

(ج) وهناك بعض الـمحافل تدين بالولاء للشيطان وتتخذه إلهاً !! ، قالت جريدة الـملحد لسان حال الـماسونية فى « ليفورنة » : « إبليس هو رئيسنا .. » !

* ويقول الجنرال بايك الكاهن الأكبر لعقيدة الشيطان : « والحقيقة الفلسفية الخالصة هي أن الله والشيطان إلهان متساويـان ولكـن الشيطـان هو إلـه النـور والخير

---

(١) ٢٤ / الجاثية .

وهو الذى مازال يكافح منذ الازل ضد الله إله الظلام والشر » [1]

إن الذى نادى به هؤلاء لـم يقل به حتى إبليس الذى اعترف بأن الله خالقه ﴿ قال أنا خيرٌ منه خَلَقْتَنِى من نارٍ وخلقته من طين ﴾[2] ويخاف عقاب ربه ! ﴿ ... فلـما كفر قال إنى برىء منكَ إنى أخافُ الله ربَّ العالمين ﴾[3] والشيطان لاينكر البعث ﴿ قال ربى فأنظرنى إلى يوم يبعثون ... ﴾ [4]

الـماسونية والـمرأة

الحقيقة أن الـماسونية تعرف قيمة الـمرأة لاكزوجة وأم وأخت وربة بيت ، لأن هذا لـم يخطر لها على بال ، وإنما لتحقيق الكثير من أهدافها الهدامة ، فهى عند الـماسونية سلاح قوي يقنع الرجال ويلوى أعناقهم ويلغى عقولهم .. من هنا كان اهتمام الـماسونية بالـمرأة أو بالجنس على وجه التحديد .. أقامت معابده ومهدت لطالبيه .. والـمتصفح « لتوراتهم » الـمحرفة يجد الجنس هو الطابع الـمسيطر عليها والذي يشغل الكثير من صفحاتها . ويعجب المرء من دعواتهم العريضة واتهامهم الأنبياء بجرائم .. فداود عليه السلام يسطو على زوجة ابنه ! ، وسليمان النبى الرسول ، يقتل قائده ليظفر بزوجته الجميلة .. ولوط عليه السلام يضاجع ابنتيه ..

وفى هذا العصر الحديث من أوائل من روج لأفكار الفساد ، ودعى للإباحية وطالب بإشاعة الرجس ...الـماسونى اليهودى « ليون بلوم » [5] الذي خطط مع مجموعة من الـماسون للثورة الفرنسية وعندما نجح مسعاهم طالبوا بفصل الدين عن الدولة ...وعملو على نشر الإباحية فى فرنسا وأخرجو النساء من بيوتهن ...ولهذا الأفاك كتاب يسمى «الزواج » يعد من أقزر كتب الجنس والدعوة إليه ..فدعا إلى :

(١) الماسونية أحمد عبد الغفور عطا ص ٤٩ .

(٢) ص / ٧٦ .

(٣) الحشر آية ١٦ .

(٤) الحجر / ٣٦ .

(٥) ليون بلوم تولى رئاسة الوزارة الفرنسية ١٩٣٦ وهلك سنة ١٩٥٠ وهو يهودى من بلغاريا .

(١) دعوة الشباب والفتيات إلى الرذيلة .
(٢) مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية بمجرد الإحساس .. !
(٣) تهوينه من الأخلاق والمثل .
(٤) السخرية من الأديان والرسل .
(٥) تحطيم رباط الأسرة « الزواج » .
(٦) تنفير النساء من الحمل والولادة ..

الحقيقة التي توصل إليها علماء الاجتماع من جراء اتباع الدعوة الهدامة للماسونية .. أن أمم الغرب فقدت الحياء وغلبتها الفواحش ، وعليه تربى الشباب .. وأوشك النسل أن ينقطع !

* يكتب القاضي « ابن لندسي » الذى قد أتيح له الاطلاع الواسع على النشيء الأمريكى لكونه رئيسا لمحكمة جنايات الصبيان كتابه « تمرد النشيء الجديد » : « إن الصبية فى أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ومن السن الباكرة يشتد فيهم الشعور الجنسى إن ٤٩٥ بنتا من المعاهد الثانوية جربن العلاقة الجنسية ولم تحمل منهن إلا ٢٥ .

* الدكتور « اديث هوكر » فى كتابه « القوانين الجنسية » « إنه ليس من الغريب الشاذ حتى فى الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثمانى سنين يخادنّ لداتهن من الصبية .... » !

* وكتب « إميل بوريس » الفرنسى تقريره الذى قدمه إلى الجلسة العامة الثانية لرابطة منع الفواحش !!! جاء فيه : —
— هذه الفوتوغرافات الداعرة تصيب أحاسيس الناس بأشد ما يمكن من الهيجان والاختلال ... » .

* يكتب الدكتور « هوكر » الأمريكي : « إنه لاتزال تحدث فى المدارس والكليات حوادث تسافح الولدان من الجنس الواحد فيما بينهما وقد تلاشى أوكاد — ميلهم إلى الجنس المخالف » !

* ونختم بمقتطفات من قول العالم الإسلامى الكبير أبو الأعلى المودودى : « إن أول ماجر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم اضمحلال قواهم الجسدية .. إن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم وتعبد الشهوات يكاد يأتى على قوة صبرهم وجلدهم .. فمن أوائل القرن العشرين لايزال حكام الجيش الفرنسى يخفضون مستوى القوة والصحة البدنية فى المتطوعة للجند الفرنسي ... إن عددالجنود الذين اضطرت الحكومة إعفاءهم من العمل وبعثهم إلى المستشفيات فى السنتين الأوليين من الحرب العالمية الأولى لكونهم مصابون بالزهرى ٧٥ ألفا .. » !(١)

٣ ـــ مصادر الفكر الماسونى

من أين استقى الماسون أفكارهم السابقة .. ؟ فى الألوهية ، وفى الأديان ، وفى المرأة .. أهو من التوراة التى وصفها الله بقوله ﴿ فيها هدى ونور ﴾ ؟! أم أن الأمر قد طال بينهم وبين التوراة بعد أن حرفوا وبدلوا وتمردوا !

إنهم يقولون ويعلنون .. إنه التلمود ! فما ههو التلمود بإيجاز .. ولنستعرض بعض نصوصه ..

« تلمود » مستخرجه من كلمة « لامود » التى تعنى : تعاليم .
وفى الاصطلاح : الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية ، ويرى « الرابيّون » جمع ـــ رابي ـــ وهو رجل الدين اليهودى : أن موسى عليه السلام هو المؤلف لهذا الكتاب(٢)، وهو قسمان :

(١) المشناه ← Mishnah وهو الأصل « المتن » .

(٢) جمارا ← Gemara : شرح مشناه وتقرر دوائر المعارف وبعض رجال الفكر المسلمين والمسيحين وكتب اليهود .. أن : ـــ

مشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهوذاهاناس

(١) وانظر المرأة فى التلمود ص ١٢ من هذا التلخيص .

(٢) ص ٨٢ من الكتاب نقلا عن « فضح التلمود » بقلم الأب آي بى براناتيس إعداد زهدي الفاتح ص ٢١

فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠ م أما جمارا « فاثنان » :

جمارا أورشليم « فلسطين » : وهو سجل للمناقشات التى اجراها حاخام فلسطين لشرح أصول المشناه وتاريخ جمعه عام ٤٠٠ م وجمارا بابل : وهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة وتاريخ جمعه سنة ٥٠٠ م تقريبا .

فمشناه « شرح جمارا أورشليم » يسمى : تلمود أورشليم .

ومشناه « شرح جمارا بابل » يسمى : تلمود بابل . وكلاهما يطبع على حده .

ولنستعرض الآن بعض نصوص التلمود لنلمس مدى الزيف والتضليل الذى ينساق إليه هؤلاء الناس ويريدون للبشرية كلها السقوط فى الهاوية : إله التلمود / المسيح فى التلمود المسيحى فى التلمود غير اليهود فى التلمود / وأخيرا .. المرأة فى التلمود : —

(١) إله التلمود : قال التلمود يقسم « الإله » النهار على اثنتى عشرة ساعة . فى الساعات الأولى الثلاث يجلس « الله » ويدرس الشريعة ! وفى الساعات الثلاث الثانية يدين الشعب وفى الساعات الثلاث الثالثة يغذى العالم بأسره ، وفى الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع اللافنين ملك الأسماك ! ... » ثم يقول التلمود « إن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة .. ثم يصرخ : الويل لي لأنى تركت بيتى ينهب وهيكلى يحرق ، وأولادى يشتتون .. إن الله تعالى — قد تاب عن تركه بنى إسرائيل يرتطمون فى الشقاء .. ولذلك فإنه يهمر كل يوم « دمعتين سخينتين في البحر .. »

إن إلههم هذا يخطىء ويصيب ويلطم خديه ، فهو الذى أو جدوه فى مخيلتهم وصنعوه على صورة عجل له خوار !! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٢) التلمود والمسيح .. قال التلمود « إن يسوع الناصرى موجود فى لجاب الجحيم بين الزفت والقطران والنار وإن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بماشرة الزنا ، وإن الكنائس بمقام قاذورات ، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة .. » .. الخ .

(٣) ويقول التلمود عن المسيحي : « قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها .. وأن الواجب الدينى أن يلعن اليهوديُّ ثلاث مرات المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل .. » ثم يقول « قتل النصارى من الأفعال التى يكافىء الله عليها .. وواجب عليه — أى اليهودى — أن يتسبب فى هلاكهم .. ».

(٤) موقف التلمود من غير اليهودى يقول التلمود : « إن اليهودى أحب إلى الله من الملائكة ، فالذى يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء » !!! ويقول : « ... أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات »[1] ويقول الربانى « أيدل » : « إن غير اليهودى لايختلف بشىء عن الخنزير البرى » !

(٥) التلمود والمرأة : قال موسى « لاتشته امرأة قريبك ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت » . والتلمود يعلّم أتباعه أن ارتكاب الفحشاء حرام على اليهودى مع امرأة القريب فقط أما : نساء الأجانب فمباحة له ! يقول : راشى ، ولاوى ، وجرش ، وهم ربانيون : — « إن اليهودى لايرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة نصرانية » !!

ويقول الربانى تام : « إن تجارة البغاء بالأجنبى أو الأجنبية ليست إثما لأن الشريعة هى براء منهما » [2] ويقول التلمود : « إن من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه أن يصير حكيما لأنه جاء فى سفر الأمثال : دعوت الحكمة أما » !!!

والله المستعان ! على مايصفون !

---

(١) Tr.Berach 4,F 230

(٢) همجية التعاليم الصهيونية : بولس حنا .

الباب الرابع
اتجاهات إسلامية معاصرة

الباب الرابع

اتجاهات إسلامية معاصرة

مقدمة :

لاجرم أن الحديث حول « الاتجاهات الفكرية الإسلامية » المعاصرة جد عسير .

فنحن بين مخافتين :

ـــ مخافة الصدق والصراحة التى قد يظن معها ميل عن إحدى الاتجاهات أو ميل إلى الأخرى ـــ ومخافة الكتمان الذى معه جزاؤه ، أو مايقرب من الكتمان ، ماقد قد يكون معه اللبس أو الغموض أو التمييع .

وإذ أتيح لى عمليا ونظريا ـــ الاقتراب من كل الاتجاهات الإسلامية القائمة على الساحة ، وإذ نحن فى صدد دراسة علمية موضوعية ، وإذ نبتعد عن التجريح المباشر قاصرين النظرة الفاحصة القائمة على التقويم والتوجيه .

وإذ عاهدنا الله أن نعيش (بضمير) القاضي ، و(فكر) المعلم ، وقصد الباحث عن الحق المستمسك به والمنافح عنه ـــ فإننا نخوض بإذن الله غمار هذا البحث مستمدين العون والتوفيق من الله ، قاصدين به وجه الله ومرضاة الله والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وسوف نحاول بإذن الله فى البداية أن نعطى سمات الدعوة المعاصرة بوجه عام ، كما نحاول بإذن الله أن نبين الاتجاهات المختلفة على الساحة ، ثم ماينتظر من هذه الدعوة فى مواجهة الغزو الفاجر .

الفصل الأول
سمات عامة للدعوة المعاصرة

المبحث الأول
سمات سلبية

١ ـ دين بلا دولة :[1]
أو دعوة بغير دولة :

هذه سمة تاريخية إن صح التعبير

إنه بعد أن قامت دولة الإسلام فى الـمدينة صارت لها ثلاث سمات

ـ إقامة الصلاة .

ـ إيتاء الزكاة .

ـ أمر بالـمعروف ونهى عن الـمنكر .

* وإذا كان لنا أن نقرب الـمعنى بلغة العصر .. فقد قامت دولة : ـ تقيم شرع الله

« الذى يقوم بإقامة الصلاة ، أو الذى ترمز إقامة الصلاة إلى إقامته»

ـ تقيم التكافل الاجتماعى

« الذى يقوم بإيتاء الزكاة ، أو الذى يرمز إيتاء الزكاة إلى إقامته »

ـ تقيم التكافل السياسى

---

(١) كان هذا عنوانا لمقال صدر فى ملحق جريدة المدينة لنا إبان انعقاد المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة عام ١٣٩٦هـ ربيع أول (١٩٧٦ م) .

« الذى يقوم بالأمر بالـمعروف والنهى عن الـمنكر أو الذى يرمز الأمر بالـمعروف والنهى عن الـمنكر إلى إقامته » .

وبتعبير آخر :

قام الدين ، وقامت الدولة .
أو قامت الدولة لتقيم الدين ..

وإذا كانت الدعوة إلى الله هدفا فى ذاته ، فقد صار أحد أهداف الدولة بأن صارت من مهماتها الأمر بالـمعروف والنهى عن الـمنكر .

ولذا جاء النص ﴿ الذينَ إن مكناهُم فى الأرضِ أقاموا الصلاةَ وآتَوا الزكاة وأمروا بالـمعروف ونَهوا عن الـمنكرِ ولله عاقبةُ الأمور ﴾ [(١)] .

* وبقيت الدعوة إحدى سمات الدولة ، بل إحدى مهماتها بل أحد أهدافها أو غاية من غاياتها ، وحدث ماحدث للدولة على مدى ألف عام .
وشيئا فشيئا تخلت الدولة عن مهمتها .. وكان أول ماتخلت عنه الدعوة وبقى (الـمجتمع) قائما بواجب الدعوة ...

وكان آخر ماتخلت عنه الصلاة .
ليصح الأثر الكريم« تنقض عرى الإسلام عروة عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة » .

* وكما عشنا أفرادا .. دينا بلا دولة .
فقد عشنا مجتمعات .. دولة بلا دين ..
كان هذا هو الواقع ، وإن قامت نصوص خادعة « دين الدولة الإسلام .. » « الشريعة مصدر رئيسي ، الشريعة هى الـمصدر الرئيسى » .

كان هذا هو الواقع .. لأن تجزئة دين الله لاتجوز ، ولأن تجزئة دين الله تخرم الشرعية الإسلامية وإن صلى الـمجتمع وصام وزعم أنه مسلم .

---

(١) الحج آية ٤١ .

كان هذا الواقع .. لأن تعطيل حكم واحد يستوجب حرب الله ورسوله فما بالنا إذا عطلت أحكام وأحكام .. وإن امتد العدوان بعد الفكر إلى العقيدة ، وبعد العقيدة إلى الأخلاق ، ومع هذا وذاك هدم للنظام السياسى الإسلامى ، وهدم للنظام الاقتصادى الإسلامى ، وتخريب للنظام الاجتماعى الإسلامى .

* واقترن هذا كله ، بأكبر جريمة عرفت فى تاريخ الإسلام والمسلمين هو إلغاء الخلافة .

.. وقد جاء هذا الإلغاء بعد الفشل الذريع الذى منيت به الحملات الصليبية التسع ، ومع القرارات الخطيرة التى اتخذت لغزو الأمة الإسلامية عسكريا بالاحتلال ، وفكريا وعقديا بالتبشير والاستشراق ، ثم بتطويرهما إلى أساليب حديثة عالجناها فى غير هذا المكان .

وانفرط العقد الإسلامى ، مع انفراط عرى الإسلام
وقامت بدلا من دولة الإسلام ... دويلات ودويلات
وقامت بدلا من شعارات الإسلام .. شعارات التقدم والتحضر والعلمانية والقومية والوطنية والديموقراطية والاشتراكية .

* وضل الناس فى غياب الدعوة .
وزاد الضلال بغياب الدعاة .
وطالت غيبة الدعوة بطول سقوط الدولة ، ثم بضعف الدعاة ، ثم تفرقهم ثم قصورهم وتقصيرهم ، وأخيرا حرب دعاة جهنم لدعاة الجنة حربا ضروسا لاهوادة فيها وهذه بقية السمات نتناولها بالتفصيل والله المستعان .

٢ ـــ ضعف الدعوة وضعف الدعاة :

ـــ ضعفت الدعوة لما تخلت عنها الدولة ..
ـــ وضعف الدعاة لما صاروا موظفين .. وينتظرون الدرجات ، ويقبضون من أعدائهم المرتبات ، وينتظرون منهم ـــ أحيانا ـــ النياشين ، ويغشون مجالس الكبراء والحكام وأحيانا المستعمرين .. يضفون بذلك على وجودهم شرعية

زائفة ، ويشاركون معهم أحيانا ولو بالكلمة أو الفتوى ظلمهم وطغيانهم ، ﴿ إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولـئك مايأكلون فى بُطُونِهم إلا النارَ ولا يُكلمهمُ الله يوم القيامة ولايُزكِّيهم ولهم عذابٌ أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالَة بالهدى والعذابَ بالمغفرةِ فما أصبرهم على النار ﴾ .[1]

★ .. ليست هذه صورة خيالية ، ولا هى تأويل ماجاء فى آيات الله ، وإن كانت حقا كل الحق وصدقا كل الصدق ، لكنها من بعد ذلك واقع أليم ، عشناه ونعيشه فى قرننا الأخير بعد أن ولت خير القرون .

لقد كان فى القرون الأولى من قال كلمة الحق لايخشى فى الله لومة لائم .

وكان منهم من قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله .

كان منها سعيد بن جبير الذى وقف فى وجه الحجاج وقال له كلمة الحق .

وكان منها أبو حنيفة الذى كان المنصور يخشاه حيا وميتا .

وكان منها أحمد بن حنبل الذى ماحاد عن كلمة الحق رغم التعذيب والتنكيل .

وكان منها مالك الذى عذب حتى ارتخت ذراعه فما كان يستطيع أن يطبق بها على الأخرى حين يقف للصلاة .

وكان منها أبو حرم الذى قال للخليفة .. لقد قهرتم الناس وأخذتم هذا الملك عنوة فلو رددتموه مرة أخرى إلى الناس .

★ فخلف من بعد أولئك خلوف ضاعوا وضيعوا باعوا دينهم بدنياهم .. فكانوا فى الآخرة من الخاسرين وباعوا دينهم كذلك بدنيا غيرهم . فكانوا فى الدنيا والآخرة من الخاسرين .

وشهدنا أولئك ، وهؤلاء .. صورا قميئة .. وأمثلة مقيتة ...

يضفون على الفاسدين ألقاب الصالحين ،

ويخلعون على المجرمين حلل المصلحين المتقين .

---

(١) البقرة آية ١٧٤ ، ١٧٥ .

ويلقبونهم بحماة الإسلام وأمراء المؤمنين .
ويشيعون فى الناس الرياء وهو الشرك الخفى ، والنفاق وهو الذى يردى فى الدرك الأسفل من النار .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* بيد أن الأمة لم تعدم قائما لله بحجة ، قانتا آناء الليل ساجدا وقائما يرجو رحمة ربه ، داعيا إلى الله على بصيرة ، صابرا محتسبا محتملا فى سبيل الله ممسكا بخطام الناس أو يحجزهم يمنعهم من النار .

وهو صنف نتكلم عنه أو بعضه بعد قليل بإذن الله ..

بيد أن هذا الضعف الذى دب فى الدعاة .. قد تلاه ما هو أشد وهو مانتعرض له فى الكلمات التى تلى بمشيئة الله .

٣ـــ تفرق الدعوة وتفرق الدعاة :

دعوة الله هي دين الله

والذين فرقوا دعوتهم ، هم الذين فرقوا دينهم ، لست منهم يارسول الله فى شيء .

والذين تفرقوا فى دعوة الله شيعا .. كذلك فرقوا دينهم .. لست منهم فى شيء .

وأمثلة الأولين الذين أخذوا بطرف من الدعوة .. وجمعوا عليها الناس ..

وأمثلة الآخرين الذين قالوا ندعو إلى الله ، وأصروا على الفرقة والخلاف دون مادا ع من الدين إلا حب المناصب والألقاب والزعامات . وهؤلاء وأولئك يجمعهم قول الله ﴿ إن الذين فرقوا دينَهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾[1] .

ويجمعهم كذلك قول الله :

﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءَهم البيناتُ ، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[2]

---

(١) الأنعام آية ١٥٩ .

(٢) آل عمران آية ١٠٥ .

﴿ يوم تبيضُ وجوهُ وتسود وجوهُ ، فأما الذين اسودت وجوهُهم أكفرتم بعد إيمانكم ، فذوقوا العذابَ بما كُنتم تكفرون ..﴾ (١)

وصورة التفرق الأولى تنشأ فى كل جانب من جوانب الدعوة جمعيات وجماعات ترفض أن تتعاون فيما بينها ، وميدان التعاون رحب فسيح ، وأمر الله أن ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ . (٢)

يمكن أن يكون للبر والإحسان جماعات وجمعيات ، وأن يكون لمكارم الأخلاق جماعات وجمعيات ، وأن يكون للعقيدة وتنقيتها جماعات وجمعيات وللسياسة وللرقى بها أحزاب وجماعات ، كل ذلك شريطة ألا تتخاصم فيما بينها وألا يتهم بعضها بعضا ، وألا يسخر بعضها من بعض ، ولاتظن أو تصف نفسها بالحق والصواب ، وتقذف غيرها بالباطل والخطأ والخطيئة بل وأحيانا بالمروق والخيانة والعدوان .

بل يمكن لهذه جميعا أن تتعاون فيما بينها لتحقق تكامل الإسلام ، ولتحفظ لكل جماعة غيبتها وعرضها إن لم تستطع فى الوقت المناسب أن تكون معها على خط النار ..

وإلا فسوف تؤكل يوم تؤكل أختها ، وعندما يأتى دورها تقول ﴿ ولات حين مناص ﴾(٣) .

والصورة الثانية أشد خطورة :

تعلن جماعة عن اعتناقها الإسلام .. دينا ودولة ، مصحفا وسيفا شريعة وعقيدة وتأتى أخرى ، فتعلن نفس الإعلان ، أو قريبا منه ، وترفض أن تشترك مع الأولى بمقولة أن فيها أخطاء ، أو أن زعامتها ليست على المستوى العظيم للإسلام العظيم ، أو تخفى فى نفسها ما الله مبديه .

---

(١) آل عمران ١٠٦ .

(٢) المائدة ٢ .

(٣) ص آية ٣ .

إن الأولى تعرضت للمحن والإحن ، وهى تؤثر السلامة والعافية ، والإقامة فى ديار الكفر لغير ضرورة أو موالاة الطغاة والظالمين .

داعين « أن يهلك الله الظالمين بالظالمين ، وأن يخرجهم من أيديهم سالمين » .

مع أن الأخطاء يمكن علاجها ويمكن التوبة منها ، والإصلاح من الداخل أولى وأسرع وآمن من الإصلاح من الخارج . ومع أن الزعامات يمكن تسديدها ، وتقويتها ، وتكملتها ، والأخذ بيدها .. ومن يدرى لو وضع أصحاب « الإسلام العظيم » مكان أولئك المساكين هل يثبتون ويصمدون ويصدقون .

ومع أن المحن التى أصابت الأولين ، تصيب كذلك الآخرين ، ويبقى الفارق أن الأولين أكثر صدقا ، وأكبر ثباتا ، وأبقى على العهد من الآخرين ... ومع ذلك ، فليت الأمر يقف عند ذلك ... إنه بدلا من أن تمضى الجماعة الأخرى .. متعاونة مع أختها الكبرى ، إن لم نقل مع أمها الرءوم التى رضعت منها ، واحتضنتها ، وربما ضحت الكثير من أجل وجودها وبقائها ..

وبدلا من أن تمضى حتى دون تعاون ... والميدان فسيح يتسع للجميع ، وبدلا من أن تجعل الأمر اختلافا لاخلافا ، ومغايرة لامخاصمة فإنها تمضى محاولة تحطيم الأخرى ، واصفة لها بأبشع الصفات ، مرددة اتهامات المستعمرين وأذناب المستعمرين ، والظالمين وأعوان الظالمين ..

ويقف الناس حيرى ..

أتلك هى الدعوة إلى الله ..

أهؤلاء هم الداعون إلى الله ..

وقد يزلزل الناس فى إيمانهم إن لم يتبينوا الغث من السمين ، وإن لم يميز الخبيث من الطيب ، وإن لم يعرفوا الزبد مما ينفع الناس .

٤ ـــ قصور وتقصير :

★ وقصور الدعاة كثير ..

فى مناهجهم ، فى وسائلهم ، فى أساليبهم .. وبعضهم يصل فى القصور حد التنفير ..

وأكثر الأحيان لايشعرون .

كأنما يضاهئون قوما وصفهم الله ﴿ وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرضِ قالوا إنما نحنُ مصلحون ألا إنهم هم المفسدونَ ، ولكن لايشعرون ﴾ . (١)
وأحيانا يصل القصور الذى يتسم بالتنفير هذا الحد البعيد .

ومع ذلك هم مخلصون ، أو نقول إنهم مخلصون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأعرف منهم الكثير ، ولكنى أمسك مخافة التجريح والتشهير ، وأخذا بأدب نبينا العف الأمين .

ـــ وقد لايكون لهم حيلة فى القصور .

إنهم هكذا صاروا ، منفرين لامبشرين ، معسرين لاميسرين ، وقد كان رسول الله بشيرا قبل أن يكون نذيرا ﴿ إنا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ (٢)

وكان كتاب الله « تبيانا لكل شيىء ، وهدى ، ورحمة ، وبشرى للمسلمين» (٣) .
وكان رسول الله ﷺ ميسرا لامعسرا « ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما» وكان يقول : إذا سئل فى كثير « افعل ولاحرجَ » وجاء معه كتاب يقول ﴿ وما جعل عليكم فى الدينِ من حرج ﴾ . (٤)
فمن أين يأتى العسر أيها المعسرون ، وهو القائل « لايغلب عسر يسرين » مشيرا إلى قوله تعالى ﴿ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ﴾ . (٥)

★ الله أكبر فليكف الدعاة عن التنفير وعن التعسير وليعلموا أن بهم قصورا وليجلسوا فى بيوتهم إن لم يغيروا ما بأنفسهم ، فإن الله أغير على دينه منهم﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾(٦) .

---

(١) البقرة آية ١١ ـــ ١٢ .
(٢) الأحزاب آية ٤٥ ـــ ٤٦ .
(٣) النحل آية : ٨٩ .
(٤) الحج آية ٧٨ .
(٥) الشرح ٥ ـــ ٦ .
(٦) محمد آية : ٣٨ .

هذه كلمة عن القصور « ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه »
« وألد أعدائك نفسك التى بين جنبيك إن قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر » .

وكما شهدت القصور شهدت التقصير .

* والتقصير كذلك كثير .. وهو سمة لأكثر الدعاة وسمة لأكثر الدعوات .
ومظهره واضح ..

فى التخطيط فى زمن يفعل فيه كل شيء بتخطيط ، وفى مقابلة ذلك ترى وتجد التواكل لاالتوكل ، والتكاسل لاالأخذ بالأسباب كما أمر رب المسببات والأسباب .

. فى المناهج ..
ـ فى الوسائل ..
. فى الأساليب ..
أمر يطول فيه الحديث ، وربما أفردنا له بحثا غير هذا المكان [1]
وأسبابه كثيرة ..
هى أمراض أصابت أو تصيب الدعاة ..

أهمها شح مطاوع ... ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾[2] ومن ثم يؤثر الدنيا على الدين ، يُؤْثر الفانية على الباقية .. فينصرف إليها بكل جهده أو بجل جهده ، وينسى ويترك ، أو يعطى عطاء من يخشى الفقر والفاقة .
ومعها هوى متبع .. ﴿ أفرأيتَ من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختمَ على سمعه وقلبه ، وجعل على بصرِه غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ﴾[3] ولئن كانت هذه الصورة بعيدة .. إلا أن الهوى يفضى إليها وقد يبدأ الهوى حلالا وقد ينتهى حراما .
وقد يبدأ شبهات أو هنات ، فتفضى به إلى الكبائر كمن حام حول الحمى يوشك

---

(١) مذكراتنا للمرحلة الجامعية فى المعهد العالى للدعوة ــ مادة « مناهج الدعوة » .
(٢) النساء آية : ١٢٨ .
(٣) الجاثية : ٢٣ .

أن يرتع فيه ..

صورة الأولى .. من يُحب الزوجة أو المال أو غيرهما من الشهوات ، حبا يزيد يوما بعد يوم حتى يزيد على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله فيتحقق فيه أن يصير وفق قول الرسول ﷺ « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار (ومعهما عبد الريال وعبد الدولار) تعس عبد المرأة تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » [1] أو يصير وفق قول الله ﴿ ومن الناس من يتخذُ من دونِ الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذينَ آمنوا أشدُّ حباً لله ﴾[2] أو يقع تحت وعيد الله : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشَوْن كسادها ومساكن تَرضوْنَها أحب إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ وعيد شديد ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾[3] ثم دمغ لهم بالفسق والخروج على دين الله وعهد الله أو يحرم وعيد الله : ﴿ زُين للناس حبُّ الشهواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضةِ والخيل المسومةِ والأنعامِ والحرثِ ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عنده حسنُ المآب ﴾ ﴿ قل أؤنبئُكم بخير من ذلكُم للذين اتَّقوْا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها وأزواجٌ مطهرةٌ ورضوانٌ منَ الله والله بصيرٌ بالعباد الذينَ يقولونَ ربنَا إنَّنا ءامنَّا فاغْفِر لنا ذُنُوبَنا وقنا عذاب النار الصابرينَ والصادقينَ والقانتينَ والمنفقينَ والمستغفِرينَ بالأسحار ﴾[4] .

★ وأخيرا .. إعجاب كل ذى رأى برأية ..

وهذا المرض الخطير مصدر أكثر الخلافات والخصومات والافتراقات وأكثر البلاء .. من هذا البلاء

---

(١)

(٢) البقرة آية ١٦٥ .

(٣) التوبة آية ٢٤ .

(٤) آل عمران آية ١٤ — ١٧ .

يصل به الإعجاب حد الغُرور ، ويفضى به الغرور ويسلمه إلى الغَرور ، يرى فى الأولى نفسه فى كل صورة .

ويرى فى الثانية حياته ومستقبله ودنياه وآخرته فيما يزينه له ويمليه عليه ﴿ الشيطان يعدكُم الفقرَ ويأمركم بالفحشاء والله يَعدُكم مغفرةً منهُ وفضلا والله واسع عليم ﴾ (١)

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالـمين ﴾ . (٢)

﴿ يأأيها الناسُ إن وعدَ الله حقٌ فلا تَغرنَّكُم الحياةُ الدنيا ولايَغُرنَّكُم بالله الغَرور إنَّ الشيطـانَ لكُـم عدوٌ فاتخذوُه عدواً إنما يدعُـو حزبـه ليكونـوا من أصحـاب السعير ﴾ . (٣)

٥ ـــ دعاة جهنم ..

تغرير ، وتضليل ،

وإلا فتعذيب وتشريد ، وتقتيل .

.. مع دخول العالم الثالث عهد « الاقتصاد الـموجه » Econmie Dirigé وعرف كذلك الـمجتمع الـموجه social dirigè وعرف معه السياسة الـموجهة Polotiqve Dirigè ومشت الظواهر الثلاثة تميز الفترة الـمعاصرة التى يعيشها العالم الثالث ..

تماما كما أصبحت الرأسمالية يوما الديقراطية من الناحية السياسية والحرية من الناحية الاجتماعية لأن الثلاثة نجموا عن شعار : دعه يمر دعه يعمل Laisse 3 PasserlaissezFaireوهو الذى رفعه الـمذهب الفردى Individuzlism

وبرغم أن الفترة السابقة كانت تتخللها فترات استعمار عسكرى ، فلقد كان ذلك الاستعمار حريصا إلى حد كبير على بقاء شعاراته تعمل فى مجالاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

---

(١) البقرة آية ٢٦٨ .

(٢) الحشر آية : ١٦ .

(٣) فاطر آية ٥ ، ٦

ومن ثم فإن الحركات والاتجاهات الإسلامية لم تجد عنتا كالذى وجدته فى عصر « التوجية .

والذى يبدو أن التوجيه محلى .. فدول العالم الثالث إذ تأثرت بما يسمى « اشتراكية » راحت تضع أنفها فى الأنشطة الخاصة .. الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وأوغلت فى بعض البلاد فى التدخل ، فكانت مآسى التـأميم فى المجال الاقـتصادى ، وكانت مآسى التكـميم فى المجال السيـاسى ، وكانت فضائح الانحلال فى المجال الاجتماعى عوضا عن الكبت فى المجالين السابقين .

بيد أن الأمر لاينبغى أن يقف عند حد المظاهر .
إن كتابات كثيرة طرحت .. تكشف عن أن حكام العالم الثالث صاروا « قطعا من الشطرنج » تتداولها القوى الكبرى تحقيقا لمصالح الأخيرة وتحقيقاً لأهدافها ، وتأكد ذلك من خلال بعض الوثائق التى تؤكد أن الأمر ليس وليد إرادة حرة اختارت أن تكون شؤما على شعوبها ، إنما استجابت تلك الإرادات الضعيفة لإرادات قوية فرضت عليها نظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وفرضت معها أن تعيش تلك الدول أشبه بولايات ترتبط بالحكومة المركزية القابعة فى البيت الأبيض أو الرابضة فى الكرملين » . (١)

** وظهرت فى المنطقة الإسلامية طبقة جديدة تنفذ المخطط المرسوم ..

ـــ اقتصاديا يربط اقتصاد البلاد بالكتل الكبرى ، وتحقيق الاحتياج الدائم لها ، ومنع قيام اقتصاد مستقل لها .. وجعلها سوقا استهلاكية لتوزيع الإنتاج الكبير للقوى الكبرى ، وفى الوقت نفسه موردا للمواد الأولية وفى مقدمتها البترول ... وبذا يتحقق للدول الكبرى الحصول على حاجياتها من المواد الأولية ، أما ثمن هذه المواد ـــ وهو قليل ـــ فإنها تسترده مرة أخرى مضاعفا فى صورة المواد الاستهلاكية التى تمثل عبئا على الاقتصاد القومى ولا تمثل دعما له ، وماقد يتبقى من

(١) راجع ماكتبناه فى الباب الأول من هذه المذكرات ، وراجع كتب : لعبةُ الأمم لما يلزكوبلاند ، دماء إبراهيم لجيمى كارتر ، مذكرات إبراهيم كامل وزير خارجية مصر السابق . أحجار على رقعة الشطرنج لفاى كار ..

أرصدة فإنها تودع ـــ طوعا أو كرها ـــ فى بنوك تلك الدول الكبرى .. لتدعم اقتصادها من ناحية ، ولتحول تلك القوى دون استخدام هذه الأرصدة فى مجال سياسى أو حربى أو اقتصادى لاترضى عنه تلك القوى .

وحين تفكر إحدى الولايات التابعة فى التمرد فإن أقل عقاب لها هو مصادرة تلك الأرصدة التى تمثل بالنسبة لبعض هذه « الولايات » ثروة العمر .

ـــ واجتماعيا برفع شعارات « التقدم » ، و « التحضر » ، و « التحديث » ، و « التغيير الاجتماعى » ...

ومحاولة تغيير قيم المجتمعات الإسلامية إلى قيم هابطة بعيدة عن الإسلام ، وإثارة الاهتمامات التافهة للأفراد والمجتمعات .

ورفع « قيمة» العاهرين والعاهرات ممن أطلقت عليهم ألقاب الكواكب والنجوم ، وممن جرى وضعهم فى مكان « المثل العليا » التى تقتدى بها الفتيات والفتيان .

وجرى « تحديث » وسائل الإعلام المختلفة لخدمة تلك الأغراض « العليا» ومن ثم غزا التلفاز البيوت والشوارع والحوارى والأزقة ، وغزا معه « الفديو » نفس الأماكن ، وجرى تخفيض أثمان تلك الأجهزة وتحسين أدائها . [1]

وجرى معه طبع « الأفلام » تستثير الحيوانية الكامنة فى البشر ، وتوجه اهتماماتهم إلى البطن وماحوى ، وتبعدهم عن العقل وما وعى ، وقبله عن القلب وما سما .

وفى البلاد التى لاتسمح تقاليدها ـــ حتى الآن ـــ باستيراد وعرض تلك البضاعة الرخيصة قامت بالمهمة شخصيات وجهات مدعومة لاتخضع للتفتيش ولا للإجراءات ، وجرى تداول تلك البضاعات المحرمة بأروج مما تتداول به البضاعات المسموحة .

---

(١) فى خبر نشر بإحدى الصحف المصرية أن الولايات المتحدة الأمريكية خصصت ١١ مليارا لإدخال التلفزيون الملون إلى مصر .

وسقط الكثيرون فى تلك المصيدة ، حتى راحوا إن لم يكن بميل النفس إلى الهبوط فبغريزة حب الاستطلاع وما يستتبعها من غرائز ، راحوا يعرضون تلك الأوضاع المخجلة فى حضور أفراد الأسرة .. الأب والأم والأولاد والبنات ، والغريزة تستثير الغريزة ، والدم يتدفق فى الأجساد ونداءات العقل والروح تغيب ، ونداءات الشياطين تصرخ وتعلو .

وكانت قمة التدلى مايعرض فى بعض تلك الروايات الهابط من رفع للخجل والحياءِ بين المحرمات .. ومن تهتيك لما بقى من خيوط تلك المحرمات ، فعلمتهم « الدفء الأسرى » الذى شاع فى بعض بلاد أوربا حين يجد الأخ متعته مع أخته ، والأب مع ابنته ، والابن مع أمه ...

ماذا بقى ؟؟

وشهدت ظلمات السجون ، وساحات المحاكم ــ فى العالم الثالث التعيس ــ قضايا من هذا القبيل ، يخجل القلم عن الغوص فى تفاصيلها الأليمة الأسيفة .

ومع هذا السقوط أو الانهيار الاجتماعى كان التشدد فى المجال السياسى .. بفرض الرقابة الشديدة الصارمة على الرأى الحر ، والحيولة دون الرأى الآخر ، وفرض الإرهاب والقسر على الاتجاهات الإسلامية بصفة خاصة ، وبصفة أخص على مااتسم منها « بالأصولية » و « الشمولية » على حد تعبيراتهم .

وشهدت المنطقة من دعاة جهنم .. مالم تشهده من المستعمرين والمحتلين ، وغاصت الأيدى المجرمة فى دماء المسلمين ، ولاكت فى أعرضهم وحرماتهم بما لم تستبحه الأيدى الأجنبية .

واصطنعت القضايا ، وجرت التمثيليات ، وتسلطت أبواق السوء تصف الصالحين بأنهم إخوان الشياطين ، وتضفى عليهم ما هو وصف لأسيادهم من خيانة وعمالة وتجارة بالدين .

وصرحت بعض الوثائق ، وبعض الأقلام الموثوقة بما وراء ذلك من أهداف

لأعداء الإسلام .[1]

وتحقق ما تنبأ به رسول الله ﷺ فى حديث حذيفة بن اليمان حين كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه ، فتكلم رسول الله ﷺ عن مرحلة من حياة الأمة يتسلط فيها « دعاة جهنم » يقودونها إلى النار وبئس القرار وذلك حين قال : « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » .

فسأله : صفهم لنا يارسول الله .

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بلساننا »[2] وصدق الله : ﴿ ألم تر إلى الذين بَدَّلُوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ .[3]

بيد أن لنا أن نشير إلى أنه فى بعض البلاد سبقت محاولة استئصال شأفة الحركات والاتجاهات الإسلامية ، محاولات للاحتواء ، أو للانحراف بهذه الاتجاهات ، لكن الباطل حين يقتل فى تلك المحاولات فإنه يلجأ بالضرورة إلى الغشم والجبروت ..

أمر حدث فى العصور الأولى[4] .. ويتكرر ويتجدد فى العصور الأخيرة .

....

لكن هل معنى ذلك « قتامة صورة الاتجاهات الإسلامية المعاصرة بما يمكن معه القول بأن مصيرها مصير حركات واتجاهات ظهرت واندثرت ؟.

إن ماقدمنا هو جانب السلب ، ونشير بعد ذلك إلى جانب الإيجاب والله المستعان .

---

(١) راجع ماكتبناه فى (دعاة لابغاة ــ القسم الثالث ــ وثائق) وما نشر بجريدة الشرق الأوسط حول أحداث السودان الأخيرة .

(٢) أخرجه البخارى فى المناقب ٤ / ٢٤٢ .وفى الفتن ٨ / ٦٥ . وأخرجه مسلم فى الإمارة ٣ / ١٤٧٥رقم (١٨٤٧) .

(٣) إبراهيم ٢٨ ـــ ٢٩ .

(٤) مذكراتنا حول أدب الحوار والمناظر ، حيث عرضنا لمثل تلك المحاولات مع رسول الله ﷺ ، وفى القصة التى روتها السنة المطهرة عن أصحاب الأخدود ، وما سبق الأخدود من محاولات « غسل مخ » الغلام أو إثنائه عن دينه .. كل ذلك يؤكد « رجعية » أسلوب أعداء الله المعاصرين ، كما يؤكد كذلك أن « الكفر ملة واحدة » .

المبحث الثانى
ايجابية الحركات والاتجاهات الإسلامية المعاصرة

تقدمـة :

طوفنا حول سمات للاتجاهات الإسلامية الـمعاصرة بأن منها أننا نعيش عصر دعوة بلا دولة ، وأن الدعوة بما انتهت إليه صارت ضعيفة كما أن الدعاة ضعفاء ، كذلك تفرقت الدعوة شيعا ، وتفرق ــ معها ــ للأسف الدعاة ، فضلا عما اتسمت به من قصور وتقصير ، وأخيرا كان تصدى دعاة جهنم للدعوة بما يهدد استئصال شأفتها .

ولقد تبدو الصورة بهذه المثابة قاتمة ، لكن رحمة الله غالبة ﴿ورحمتـــى وسعت كل شيء ﴾[1] فقد طفحت على السطح ثلاثة قوانين ..
تهدد ماكانوا يخططون له ويمكرون ، ﴿ ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾[2] ، ﴿ ومكروا مكراً ، ومكرنا مكراً ، فانظر كيفَ كانَ عاقبةُ مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾[3]... .
أهم هذه القوانين الثلاثة فهى :

١ ــ قانون البقاء للأصلح ، أو قانون الزبد وما ينفع الناس .
٢ ــ قانون لكل فعل رد فعل .
٣ ــ قانون الاستخلاف .

وهذه القوانين الثلاثة أو بعبارة أصح تلك السنن الربانية الثلاثة ، تعمل بلا شك لصالح الاتجاه الإسلامى الصحيح :

أولا : قانون البقاء للأصلح « أو قانون الزبد وما ينفع الناس »

ينتفش الباطل كثيرا ، ويطفو على السطح حتى ليظن الناس أن لا مكان للحق ، ويزداد ظنهم حتى ليكاد أن يبلغ حد اليقين ، حين يجدون هذا الباطل

---
(١) الأعراف : ١٥٦ (٢) الأعراف : ١٢٧ . (٣) النحل : ٥٠ ــ ٥١ .

مسلحا بسلاح العلم ، مسلحا بسلاح الإعلام الحديث ، مسلحا بعد ذلك أو مع ذلك بوسائل الإفناء الكثيرة ، مما يورث اليأس فى النفوس .. أنى لنا بإزاحة هذا الباطل .. ؟

ويزداد اليأس مع انصراف الكثيرين عن دعوة الله انشغالا بدنياهم مهما كانت بسيطة وصغيرة ، ثم مع ازدياد هموم المعيشة وصعوبة الحصول على الضرورات ، ثم مع وجود الانحلال الاجتماعي فى صوره التى تتبناها الدولة وتشجعها جهرا وسرا ، وأخيرا مع اتساع دائرة النفاق والمنافقين التي تسبح ليل نهار بحمد الباطل ، مما يورث الناس اليأس من أن يوجد الحق بله أن يتمكن .

ويعيش الناس هذه الحالة غالبا عقيب كل ضربة توجه للدعوة الإسلامية وللدعاة المسلمين ، وتنطلق الأمثال محطمة مابقى من نخوة فى نفوس الناس ، وينطلق الهلع والجبن حائلا دون ماتبقى من شجاعة الناس ، ويسيطر اليأس القاتم على الأجواء ويلفها برداء أسود مقيت .

هنا يتحرك الحق .. هنا يتمثل الحق ناموسا ربانيا يحدث كل يوم .. إن الظلام إذا اشتدت حلكته فى الجزء الأخير من الليل آذن ذلك بقرب طلوع الفجر .

ويضرب الحق الأمثال ...

وأول مثل نضربه من خلال كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابِعهُم فى آذانهم من الصواعقِ حذرَ الموتِ والله محيط بالكافرين يكادُ البرقُ يَخْطفُ أبصارَهُم كلما أضاءَ لهم مَشَوْا فيه وإذا أظلَم عليهم قاموا ولو شاءَ الله لذهبَ بسمعهم وأبصارِهم إنَّ الله على كل شيء قدير ﴾[1] .

فالذى ينظر إلى هذه الصورة .. يتصور جوا ملبدا بالغيوم تكتنفه الظلمات وترعد فيه السماء وتبرق .. حتى ليكاد البعض أن يضيق حتى من أصحاب الحق ، أما المبطلون فإن البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا

---

(١) البقرة ١٩ — ٢٠ .

أظلم عليهم قاموا ، ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .

ووسط هذه الظلمات يستئيس الكثيرون ، ويغلب عليهم الضيق وتأخذ بخناقهم الظلمات حتى لايعتقدون من ورائها خيرا ..

لكن الغيث من السماء يهبط صيبا .. يروى الأرض بالخيرات ، ويروى النفوس بالآمال .. فإذا بظلمات اليأس تتبدد من النفوس تبدد الظلمات التى صحبت الغيث ، ويبقى الغيث ويبقى الأمل ..

وهو ماتكمله الصورة التالية .

ـــ أما الصورة التالية فيضرب الله فيها المثل يقدم له بقوله سبحانه ﴿ قل من ربُّ السموات والأرض ؟ قل الله . قل أفاتخذتم من دونه أولياءَ لايملكون لأنفسِهم نفعاً ولاضراً قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاءَ خلقوا كخلقه فتشابه الخلقُ عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾[1] .

ثم يأتى المثل :

﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابياً ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حليةٍ أو متاع زبدٌ مثلهُ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبَدُ فيذهب جفاء وأما ما ينْفَعُ الناسَ فيمكُثُ فى الأرض ، كذلك يضربُ الله الأمثال ﴾ .[2]

وهو مثل شرحناه فى مقام آخر[3] ويكفينا منه فى هذا المقام أنه شبه الباطل المنتفش بالزبد الذى يطفو فوق سطح النهر ، أو بالزبد الذى يطفو فوق سطح الإناء إذا أدخلت بعض المعادن النار ..

(١) الرعد آية : ١٦ .

(٢) الرعد آية ١٧ .

(٣) مذكرات أدب الحوار ـــ طلبة الدراسات العليا ـــ قسم الاستشراق .

أما الحق فهو الـماء الذى تحت الزبد أو هو الجوهر الأصيل الذى يغطيه الزبد ، وهنـا يقـرر لنـا رب العالـمين قانـون البقـاء للأصلـح بعـد أن يقرر لنـا سنتـه كذلك يضرب الله الحق والباطل .

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾.[1]

ويأتى الـمثل الأخير .. لينهى كل قوة ، وكل بقاء للباطل فيشبه الحق قذيفة . ويشبه الباطل بكائن له رأس .

فإذا بالقذيفة تصيب أم رأسة فإذا هو زاهق . ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾. [2]

فلمن البقاء إذن البقاء للأصلح البقاء لـما ينفع الناس البقاء لقذائف الحق بإذن الله .

وأما الزبد فيذهب جفاء وأما الباطل فيدمغه الحق فإذا هو زاهق ألا فاعتبروا ياأولى الأبصار .

ثانيا : قانون رد الفعل :

أشرنا فى مكان سابق إلى هذا القانون وقلنا أنه لايعمل فقط فى الـمجال الطبيعى ، إنه كذلك يعمل فى الـمجال البشرى .

وعمله فى هذا الـمجال هو أن الفعل له رد فعل ، على النحو الذى يسوقونه فى الـمجال الطبيعى ، أما فى مجال صراع الحق والباطل ، فإن هذا القانون يتعدل بالقانون السابق « قانون البقاء للأصلح » كما يتعدل بقانون الاستخلاف فيصبح :

« لكل فعل رد فعل أكثر منه قوة وأسرع فى الاتجاه ، مما يؤدى بإذن الله دائما إلى زهق الباطل وبقاء الحق » .

أما القانون الأخير : فهو قانون الاستخلاف :

وهو قانون صاغته كلمات الله أكثر من صياغة فمرة يقول لنا :﴿ تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذينَ لايريدونَ علواً فى الأرضِ ولا فساداً والعاقبةُ للـمتقين ﴾[3]

ومرة أخرى يقول لنا :

---

(١) الرعد آية ١٧ . (٢) الأنبياء آية ١٨ . (٣) القصص آية ٨٣ .

﴿ ولقد كتبنا فى الزَّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عبَادى الصالحون إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1]

ومرة ثالثة يقول لنا :

﴿ وعد الله الذينَ آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلفَ الذينَ من قبلهم ، ولَيُمَكِنَنَّ لهم دينَهم الذى ارتضى لهم ، ولَيُبَدِلَنَّهُم من بعدِ خوفهم أمنا ﴾ .[2]

ـــ وتأتى الأخيرة ، مفصلة ، وجازمة ، وحاسمة .. إن الأمر أكبر من أية أمانى ..

إن الأمر وعد ، ووعد الله حق ووعد الله لايتخلف ، هذه واحدة .

ـــ ثم إن الوعد جاء بالاستخلاف فى الأرض ، ليس فقط بل وبالتمكين للدين ، ليس فقط بل وبالأمن بعد الخوف وهذا لعمرى قصارى مايريده أهل الحق ، ومايتمنونه .

بيد أن للأمر شروط : إيمان ، وعمل صالح ، فى البداية .

وعبادة بغير إشراك فى النهاية .

ولله عاقبة الأمور .

---

(١) الأنبياء آية ١٠٥ ـــ ١٠٦ ـــ ١٠٧

(٢) النور آية ٥٥ .

الفصل الثانى

اتجاهات متغايرة على الساحة

تقدمة :

تحدثنا عن سمات .. بعضها سلبى وبعضها إيجابى تتسم به الاتجاهات الإسلامية على الساحة ، واستمرارا فى الدراسة الموضوعية فلسوف نعرض لهذه الاتجاهات .. بطريقة موضوعية كذلك ، إيمانا منا بأن ذلك أولى لجمع الصف ، وأدعى للاستجابة للنصح ، وأسن فى اتباع خطى رسول الله ﷺ ،

ونستطيع أن نقسم هذه الاتجاهات إلى ثلاثة :

ـــ اتجاهات غالية .. أى فيها إفراط ، إما حقيقة أو هى متهمة بذلك

ـــ اتجاهات قاصرة .. أى فيها تفريط ، إما حقيقة أو هى متهمة بذلك .

ـــ اتجاهات أصولية معتدلة .. بعيدة عن الإفراط والتفريط .. بحكم مبادئها وبحكم مواقفها .

ونسأل الله أن يلهمنا الرشد والتوفيق والحكمة ، ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ (٢)

---

(١) عندما كتبنا ماكتبناه فى أساليب الغزو الفكرى (عام ١٣٩٦ هـ) كانت حصيلتنا من التجربة الدعوية ضئيلة ، فضلا عن أن اختلاطنا بالاتجاهات المختلفة كان قليلا كذلك ، وقد زاد بفضل الله هذا وذاك ، فسطرنا ما نحسبه بفضل الله ونعمته ....

(٢) البقرة ٢٦٩ .

المبحث الأول
اتجاهات غالية

« إنى أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة »
عمر بن عبد العزيز
الموافقات ٢ / ٩٤ .

مقدمة :

نهى القرآن عن الغلو ﴿ يأهل الكتابَ لاتَغْلوا فى دينِكُم ، ولاتقولوا على الله إلا الحق﴾ (١)
﴿ قل ياأهل الكتابْ لاتَغْلُو فى دينكم غيرَ الحق ﴾ (٢)
﴿ واعلموا أن فيكُم رسولَ الله لو يُطِيعُكُم فى كثيرٍ من الأمر لعنتم ﴾ . (٣)
ونهى كذلك رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من قبلكم الغلو فى الدين »

أحمد والنسائى وابن ماجة

« عليكم من الأعمال ماتطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا »
« إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لاأرضا قطع ولاظهرا أبقى ، هلك المتنطعون » رواه مسلم
« لاتشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ (٤)
— ووقع الغلو برغم ذلك وقع من النصارى إذ قالوا على الله غير الحق ، غلوا فى المسيح .. فقالوا ابن الله ، وقالوا ثالث ثلاثة .

---

(١) النساء ١٧١ .
(٢) المائدة ٧٧ .
(٣) الحجرات ٧ .
(٤) أخرجه أبو داود فى الأدب ٥ / ٢٠٩ رقم (٤٩٠٤) والآية ٢٧ من سورة الحديد .

ووقع من اليهود إذ قالت كذلك على الله غير الحق غلوا فى عزير فقالت عزير ابن الله ـــ يضاهئون هؤلاء وأولئك قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون

ووقع الغلو على عهد عل بن أبى طالب رضى الله عنه رابع الخلفاء الراشدين ، وفى خلال القرن الأول الذى قال فيه رسول الله ﷺ : خير القرون قرنى : واتخذ شعبتين مضادتين :

إحداهما غالت فى حب على إلى حد التشيع .. وتدرجت فى ذلك حتى قدمته على أبى بكر وعمر وعثمان ، واتهمت الثلاثة الكرام بما لاينبغى ، وزادت على ذلك بعضها تكفيرا لـمن خالف فى ذلك ، وبلغت فى النهاية حد تأليه على رضى الله عنه ، حتى روى أنه حرقهم فكانوا يقولن :«لايعذب بالنار إلا إله .. أنت أنت الله » .

أما الثانية : فقالت فى كراهية على رضى الله عنه وكل من قبلوا التحكيم حتى قالت بكفرهم وسميت بالخوارج ، لاتخاذهم « الخروج على الإمام » مبدأ من مبادئهم ، ورفعت شعارا قال فيه على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل . « إن الحكم إلا لله » .

وتعددت بعد ذلك فرق الغلو ، انقسمت فيما أظن ـــ والله أعلم ـــ إلى :

ـــ غلو في الفكر .

ـــ غلو فى الاعتقاد .

ـــ غلو فى الـمواقف .

ولقد يكون أخفها هو الأخيرة ، لأن غلو الـمواقف .. قد يكون نابعا من غلو فى الفكر ، وغلو فى الاعتقاد أحيانا ، لكنه كثيرا ما قد ينشأ عن عوامل أخرى لاتتصل بفكر أو عقيدة أو بعبارة أخرى قد تمليه ظروف يوجد فيها الإنسان تتسم بالقسر والضغط الشديد الذى يخرج الحليم عن حلمه والهادىء الـمنضبط عن هدوئه وانضباطه ..

ومن ثم فإن عودة مثل هذا الإنسان إلى الظروف الطبيعية ، ورفع القسر والظلم والإرهاب عن كاهله يعود ذلك كله به إلى ماكان عليه من توازن أو اتزان .

بيد أن غلو الفكر ، وغلو الاعتقاد قد يرتبطا وقد يفترقا ، وكثيرا مايعقب غلو الفكر غلو العقيدة ، لكن غلو العقيدة قد لايسبقه فكر أو يرتبط به وإنما يتم بما يشبه المحاكاة أو بما قالت طائفة أخرى﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون﴾.[1]

وهنا تساعد الظروف غير الطبيعية على سرعة انتشار الفكر الغالى والاعتقاد الغالى كذلك ، وتساعد على توطيده وتثبيته .

ومن ثم فإن قوما جهلوا عابوا على شباب غلوهم ، هم الدافعون لهم إلى ذلك الغلو بما مارسوه معهم أو مع غيرهم من قسر وإرهاب ، ثم بما وقعوا فيه من تفريط شديد أدى إلى رد أو لفعل أو أدى إلى تأكيد أوصافهم أنهم فسقة فجرة ظلمة .. وأخيرا كفرة .

وفى الواقع العملى ، فلقد شهدت الساحة الإسلامية غلوا فى التطبيق العقدى ، أو غلوا فى تطبيق فرعى أو غلوا فى المواقف ، ونعرض بشيء لهذه الثلاثة والله المستعان ،،

أولا : غلو عقدى :

نشير بذلك إلى اهتمام البعض بجوانب عقدية يغالون فيها فيرفعون فيها الوصف ، أو يجاوزن فيها صحيح الحكم ، ولن نستطيع أن نحيط بكل هذه الجوانب ، لكنا نضرب أمثلة منها لانود أن نعتبرها طعنا أو تجريحا ، وإنما هى عرض لما يغلو به البعض حتى ينفر الآخرين ، فيفرق صفوف المسلمين تحت دعوى تصحيح العقيدة .

وأول هذه الأمور وأقدمها :

---

(١) الزخرف آية : ٢٣ .

ماثار حول آيات وأحاديث ظن البعض ظاهرها التشابه [1] فراح يتأولها بلوغا إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبه بعباده ، فاتهمهم البعض بالمروق من الدين لأنهم خالفوا ما كانت عليه القرون الثلاثة الأولى ، التى قال فيها رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » [2] ولسنا نعرض هنا لكل ماقيل ، لكنا نود أن نقول :

إنه وإن كان أكثر السلف على أن الأسماء والصفات حتى ماجاء من النوع السابق كله من المحكم ، إلا أن من علماء السلف من قال إنه من المتشابه .[3]

كذلك فإنه وإن كان أكثر السلف على عدم التأويل استناداً إلى الوقوف عند قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾. [4] فإن منهم من أجاز الوقوف عند ﴿ والراسخون فى العلم ﴾. [5]

ومن ثم بنى عليه الخلف إمكان التأويل ولم يجدوا فى ذلك بدعا .. إذ أن علوما كثيرة نشأت بعد القرون الثلاثة الأولى كعلوم اللغة والتفسير ، والفقه ، وأصول الفقه .. ولم يقل أحد أن شيئا منها بدعة .

وخلاصة القول فى هذا الأمر :

١ ــ أن الفريقين يتفقان على أصل التنزية .

---

(١) من آمثلة ذلك مايظن فيه نسبة أعضاء إلى الله سبحانه « ويبقى وجه ربك » « ولتصنع على عينى » « وقالت اليهود يد الله مغلولة » « ويحذركم الله نفسه » ، أو نسبة المكان أوالجهة « أآمنتم من فى السماء » « وهو القاهر فوق عباده » « الرحمن على العرش استوى » ، أو نسبة عمل « وجاء ربك » « ونفخنا فيه من روحنا » « غضب الله عليهم » ، « الله يستهزىء بهم » ومن الأحاديث « ينزل ربنا كل يوم إلى سماء الدنيا ــ رواه البخارى » « وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » ــ رواه البخارى ، خلق الله آدم على صورته ــ رواه البخارى » .

(٢) عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ :« خيركم قرنى ثم الذين يلونهم : ثم الذين يلونهم .. الحديث» أخرجه البخارى فى الشهادات ٣ / ٢٢٤ ومواضع أخرى . ومسلم فى فضائل الصحابة ٤ / ١٩٦٢ رقم (٢٥٣٣) .

بلفظ خير الناس قرنى ..» عن ابن مسعود . ورواه غيرهما .

(٣) راجع المقدسى (روضة الناظر) .

(٤) الصحابة والتابعون وجمهور العلماء ، نذكر منهم أبى بن كعب وابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، عائشة : علماء الأصول من الحنابلة .

(٥) مجاهد والربيع .

٢ ـــ أن الفريقين يتفقان على نفى التشبيه عن الله بعباده .

٣ ـــ أن الفريقين يستندان إلى وقف أحدهما على لفظ الجلالة وما يعلم تأويله إلا الله .. ـــ وهو الراجح ـــ والآخر على الراسخون في العلم وهو المرجوح .

ويبقى بعد ذلك أن الأولى هو رأى السلف :

١ ـــ لأن ذلك كان سلوك الصحابة ومن تبعهم من القرون الأولى .(١)

٢ ـــ وفى قصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب دليل على ذلك .(٢)

٣ ـــ لأن ذلك أكثر أمانا فى مجال العقيدة .

٤ ـــ لأن فتح باب التأويل قد يجر إلى مجال أوسع ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ـــ والله أعلم .

ومع ذلك لاننصح بالغلو فى هذا الأمر :

لأن الآخرين ماصدروا فيه عن هوى ، وإنما عن رغبة فى التنزيه التزموا به أصل التنزيه ، ولأن الآخرين ماصدروا عن جهل ، وإنما عن إعمال لقواعد لغوية ، فقد قال بالمجاز علماء لهم وزنهم كما عرفت اللغة أساليب الاستعارة والكناية وغيرها كما صدروا عن تأويل للوقوف على « والراسخون وهو أمر لاترفضه قواعد اللغة وإن كان الأول هو الأولى .

وحتى على فرض الخطأ فى الاجتهاد ، فقد علمنا رسول الله ﷺ أن من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر .

كما كان أدب الأئمة الذين عاشوا فى القرون الأولى رأى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غير خطأ يحتمل الصواب .

وأخيرا: ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾(٣) ﴿ فبما رحمة منَ الله لنتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ

---

(١) يقول ابن تيمية ـــ رضى الله عنه ـــ هذا ماكان علية الثلاثة القرون الأولى وليس بصحيح على إطلاقه فإن ابن قتيبة وهو من القرن الثالث (متوفى عام ٢٧٦ هـ) قال بالتأويل .

(٢) قصة صبيغ بن عسل يروى أنه جاء إلى المدينة يسأل عن المتشابه به فجيء به إلى عمر ، فسأله ، فأخرج عمر من خلفه عرجونا (جريدا من النخل) وهوى به على رأسه عدة مرات حتى سال الدم على وجهه وقال : حسبك ياأمير المؤمنين فقد ذهب ماكنت أجد فى رأسى .

(٣) البقرة : ٨٣ .

القلبِ لانفضُّوا من حولكَ ، فاعف عنْهُم واستغفر لَهُم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ (١)

ثانى ألوان الغلو : فى العقيدة :

اعتبار أعمال من أعمال الجوارح من أعمال الإيمان ، وقد يكون هذا صحيحا من ناحية التكييف الصحيح لكن ترتيب نفس النتائج لأعمال القلب بالنسبة لأعمال الجوارح هو الشيء الذى سقط فيه .

فرتبوا الكفر على مخالفة بعض الأوامر أو ارتكاب بعض النواهي وهي حتى إن كانت كبائر فإن مرتكبيها لايخلد فى النار ، أما مرتكب الكفر فيخلد فى النار . ومن هنا كان الغلو ، وكان الخطأ ولقد كان ذلك مذهب الخوارج (٢) وكان مذهب المعتزلة قريبا منهم ، إذ قالوا بمنزلة بين المنزلتين .

وكان هذا وذاك خروجا عن الفهم الصحيح ، وعن التطبيق الصحيح لعقيدة الإسلام .

وثالث ألوان الغلو أفضى من الإفراط إلى التفريط :

وهذا أمر غريب .. إنهم من حيث أفرطوا فى العقيدة استمساكا وفهما فرطوا فى دين الله . فوقفوا عند حد العقيدة والعقيدة أساس الدين بلا شك .

وبناء بغير أساس لاقيمة له ، إنه محكوم عليه بالانهيار لكن إقامة الأساس دون بناء أمر يثير التساؤل .. مافائدته .. أيقى حرا أم يرد بردا ؟ تلك بعض الألوان فى التطبيق العقدى .

---

(١) آل عمران ١٥٩

(٢) نذكر من نماذج غلوهم مايتضح من مناقشتهم لابن عباس رضى الله عنهما ــ إذ سألهم ماتنقمون على علىّ ــ قالوا ننقم عليه ثلاثا :

أ ــ حَكم الرجال والله يقول .. إن الحكم إلا لله ..

ب ــ قاتل ولم يَسب ولم يغنم ــ فإن كانوا مؤمنين لم يحل قتالهم ، وإن كانوا كافرين فقد حل قتالهم ، وسبيهم .

ج ــ نحى نفسه من إمرة المؤمنين ــ فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .. [راجع تفصيل ذلك ــ الاعتصام ــ ص ٣ ص ٣٥ ومؤلفنا المتواضع الإيمان الحق ص ٧٣ ــ ٧٦] .

ألوان من الغلو فى التطبيق الفقهى (أو الفرعى) .

أكثر مايثور هذا الغلو فى بعض الأمور :

أ ـــ إطلاق اللحية .

ب ـــ استعمال المسبحة .

جـ ـــ زيارة القبور ، ووجودها فى المساجد .

ولو أن الأمر يقف عند حد التوجيه بما يعتقده أصحاب (الغلو) فى هذه المسائل لكان الأمر هينا ، إما أن يصل إلى إعطاء أحكام غير ماأعطاها الله ورسوله ، وإما أن يصل إلى حد القول عن السنة أوالندب إنه واجب وعن ترك الندب أو ترك الواجب بأنه كفر ، فذاك هو الغلو الذى نهينا عنه ، ومن ثم فنحن بدورنا ننهى عنه .

أ ـــ إطلاق اللحية :

ورد فيه قول رسول الله ﷺ : « جزوا الشوارب وارخوا اللحى ، خالفوا المجوس » وفى لفظ « خالفوا المشركين حفوا الشوارب وأوفروا اللحى » .(1)

وأمر الرسول ﷺ يعنى ـــ فى الأصل ـــ الوجوب ومن ثم كان الراجح فى إعفاء اللحية هوالوجوب .

لكن البعض صرف الأمر إلى الندب ، بناءعلى خلاف فى الأمر نفسه أن الأصل فيه هو الندب .(2)

ومن ثم قال بأن إعفاء اللحية مندوب إليه والبعض صرف إلى الإباحة أو الجواز ، بناء على خلاف فى الأمر نفسه أن الأصل فيه هو الإباحة .(3)

وأما فعل الرسول الله فهو ـــ أصوليا ـــ كما يحتمل الندب يحتمل الجواز ، ويحتاج

---

(1) الأول عن أبى هريرة والثانى عن ابن عمر (نص مسلم ج ١ ص ٢٢٢) ، ونص أحمد بدون خالفوا المجوس (ج ٢ ص ٣٦٥) .

(٢ ، ٣) قيل فى دلالة الأمر هو ١ ـــ للوجوب لأن الأمر استدعاء ، وقيل ٢ ـــ للندب لأنه ينبغى تنزيل الأمر على أقل مايشترك فيه الأمر وقوله ﷺ « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ماستطعتم » ، وقيل للإباحة باعتبارها أدنى الدرجات فهى يقين فيحمل على اليقين ـــ ونحن نرجح أن الأمر للوجوب مالم يوجد صارف يصرفه عن وجوبه [كتب الأصول ـــ مذاكرتنا : نظرات فى علم الأصول ـــ تحت الطبع] إن شاء الله .

إلى احتمال الوجوب إلى القرينة أو الدليل ، أو هو ــ كما عبر البعض ــ يعنى مطلق الاذن .

ونحن وإن كنا نرجح الوجوب :

ونلزم أنفسنا بذلك مما دفعنا إلى الامتناع عن غيره مع قسوة فى الظروف إلا أننا لانهزأ بآراء الآخرين كما لانسفهها ، وانما نلتمس لهم العذر إذ اجتهدوا فأخطأو .

ونلفت النظر إلى أن إطلاق اللحية والخلاف فيه ، هو خلاف حول أمر فقهى فرعى لاينبغى أن يأخذ المساحة التى يأخذها الآن ، فى الوقت الذى يسكت فيه عن كبائر ترتكب ، بل عن خيانات تجرى ..

إن الفقهاء إذ قسموا ــ إجماعا ــ أمور الدين إلى :

ــ ضرورات

ــ وحاجات

ــ وتحسينات

فإننا لانستطيع أن نضع إطلاق اللحية فى الضرورات ، بل ولا فى الحاجات ، وإنما نضعها فى التحسينات التى بها تتم الآداب ومكارم الأخلاق .

ووضعها فوق ذلك وإن كان يمثل اهتماما كريما بسنة من سنن رسول الله ﷺ إلا أنه من حيث لايشعرون يمثل إزراء بالأوامر والواجبات التى قدمها رسول الله ﷺ ، فلا تستوى مع الفرائض ، وتاركها لايعد كتارك الصلاة فضلا عن اعتبار تاركها مشركا أو كافرا .

ب ــ استعمال المسبحة :

ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يسبح على أصابعه كما ورد أنه أقر بعض زوجاته على التسبيح عدا بالحصى [١]

ويظهر من ذلك أن استعمال العد على الأصابع هو الأصل فى التسبيح وإن لها

---

(١) كتب الحديث ــ وقد قيل إن الحديث ضعيف ، لكن فرق بين الضعيف والموضوع . إن الأول يعمل : فى فضائل الأعمال ــ أما الثانى فمرفوض .

وقد أجاز ابن تيمية رحمه الله استعمال المسبحة إن انتفى جانب الرياء (الفتاوى) .

من الأجر الشيىء الكثير ، لكن بعض الناس يخطئون .

وبعض الناس يجدون يسرا فى العد على المسبحة .

ورسول الله ﷺ ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما فهل استعمال المسبحة إثم ؟

قد يكون هو المرجوح ، والعد على الأصابع هو الراجح .

أما أن نرفع المرجوح إلى درجة الإثم أو الحرام ، ونرفع الراجح إلى درجة الواجب ، وأما أن يصير هذا الاهتمام إلى حد أن يصير الحكم الفرعى شاغلا الناس عن أحكام أهم منه بكثير .. فذلك هو الغلو الذى نهينا عنه ، والذى ننهى عنه كذلك .

جـ ـ القبور :

كثر الحديث عن القبور ، حتى ظننت أنا صرنا من أهل القبور وعجيب أن يقحم قبر رسول الله ﷺ فى هذا الأمر ، حتى قالوا بفساد عقيدة من شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ .

* وبرغم أنهم يعلمون بحديث رسول الله ﷺ : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترقق القلب وتذكر الآخرة » ، وبرغم أن الفهم الصحيح لهذا الحديث هو أن حكم زيارة القبور هو الندب .[1]

وإذا كانت زيارة قبر عادى تذكر بالآخرة وترقق القلب فماذا تفعل زيارة قبر رسول كريم هو خاتم المرسلين ، له تاريخه وجهاده ؟ أفلا يذكر بما هو أكثر من ذلك ؟ ألا يرتفع حكم زيارته عن الندب إلى ما هو أشد ، فيكون مثلا سنة مؤكدة، ومع ذلك فقد غالوا فى النهى عن شد الرحال إلى زيارة قبر الرسول ﷺ ،، استنادا إلى حديث اساءوا فهمه .

« لاتشدوا الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » فقالوا : إن الرسول ﷺ نهى عن شد الرحال إلا لهذه الثلاثة ،

---

(١) فى الأمر بعد النهى خلاف ، أرجحه أنه يفيد الإباحة ، لكن إن وردت فيه قرينة كما جاء فى نهاية الحديث ، أمكن القول بأن الأمر للندب .

ومن ثم يكون النهى واردا على شد الرحال لزيارة قبر رسول الله ﷺ كما يرد على أى قبر آخر .

ونقول بعون الله :

إن الاستثناء إما أن يكون متصلا وهو الأصل .

أو أن يكون منفصلا وهو على خلاف الأصل . فإن كان متصلا فيكون المعنى : لاتشد الرحال لأى مسجد آخر إلا لهذه الثلاثة .

وإن كان منفصلا كان المعنى : لاتشد الرحال لأى شيء آخر إلا لهذه الثلاثة .

ولو سلمنا جدلا بالقول الثانى فإن معنى ذلك : تحريم شد الرحال للعلم ، وهو خلاف النصوص ، وشد الرحال لزيارة الأقارب وصلة الأرحام ، وهو خلاف النصوص كذلك ، وشد الرحال للسياحة فى الأرض والبحث عن الرزق وهو خلاف النصوص كذلك ..

وفى النهاية تصل إلى حرج شديد إذ يصير شد الرحال قاصرا على زيارة المساجد الثلاثة .

فلا يبقى إلا التفسير الأول وهو الأصل ، والقول بغير الأصل هو الذى يحتاج إلى دليل ، فيكون تحريم شد الرحال إلى مسجد آخر إلا لهذه الثلاثة ، لأنها التى خصها الله سبحانه وتعالى بالشرف فجعل الصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف فى غيره ، وفى مسجد الرسول ــ ﷺ بألف فى غيره ، وفى المسجد الأقصى بخمسمائة فى غيره .

وثالث ألوان الغلو : غلو فى المواقف :

فلقد يكون صعبا علينا أن نتخير هذه المواقف :

لكننا نكتفى بموقف فى القديم ، وموقف فى الحديث أما القديم ، فهو موقف الخوارج من على رضى الله عنه

لقد كانوا فى البداية أنصاره .. وبمجرد اختلافهم معه ــ نتيجة الغلو ــ انقلبوا إلى أعدائه بل أعدى أعدائه ، حيث فارقوه وحاربوه وكفروه والذين معه .

وفى القصة التى نوردها نقلا عن بعض المراجع الثقة [1] دليل على مانقول احتج الحرورية من الخوارج للخروج على علىّ رضى الله عنه ..

فقيل ذلك لعلى فأوفد إليهم ابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهم جميعا فدخل عليهم فإذا هم صفر الوجوه ، مرحضة (أى متسخة) قمصانهم أيديهم كأنها ثفن الإبل (من طول القيام) .

فلما دخل عليهم سخروا منه وقالوا ماهذا ياابن عباس وماهذه الحلة عليك ؟ قال لهم : ومالى لاألبس وقد وجدت رسول الله ﷺ وعليه أحلى الحلل اليمنية فقالوا له : من أين جئت ياابن عباس ؟ قال : من عند ابن عم رسول الله ﷺ ومن عند صحابة رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد .

ثم سألهم : ماتنقمون على علي ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثا قال : وماهى ؟ قالوا : حكم الرجال والله يقول ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ، وقاتل ولم يسب ولم يغنم ، ومحا نفسه من إمرة المؤمنين « يشيرون إلى التنازل الذى حدث بعد التحكيم فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين

قال : إن جئتكم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بما ترضون أترجعون ؟ قالوا : ومالنا لانرجع . قال : أما أنه حكم الرجال فإن الله قال فى كتابه ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ، [2] وقال فى المرأة وزوجها : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ [3] فجعل الحكم فى هاتين الحالتين إلى الرجال ، فناشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال فى دماء المسلمين وفى إصلاح ذات البين أفضل أم فى ثمن أرنب ثمنه ربع درهم وفى بضع امرأة ؟

قالوا : بل هذا أفضل .

قال : أخرجتم من هذه ؟

---

(١) الاعتصام للشاطبى ج ٣ ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) المائدة آية ٩٥ .

(٣) النساء آية ٣٥ .

قالوا : نعم

قال ، وأما أنه قاتل ولـم يسب ولـم يغنم فقد كان من بين من قاتل أمكم عائشة ، فإن قلتم نسبها ونستحل منها ما نستحل من النساء فقد كفرتم ، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضلالتين .

أخرجتم من هذه ؟ قالوا : نعم .

ثم قال وأما قولكم محا نفسه من إمرة الـمؤمنين فإنى آتيكم بما ترضون ، إن رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال أكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله .. فقالا : (أبو سفيان وسهيل بن عمر) : لو نعلم أنك رسول الله ماقتلناك ، قال : اللهم أنك تعلم أنى رسول لله اكتب ياعلى : هذا ماصالح عيه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو .. فرجع منهم يومئذ ألفان ، وخرج الباقى فقتلوا جميعا .

وفى الحديث انشقت مجموعة على جماعة إسلامية كبيرة إبان وجودهم فى السجون ، وعلى أثر حوادث التعذيب الرهيبة التى تسامعت بها الركبان . وكان موقفا غريبا الدماء التى سالت لـم تجف بعد والجلادون الذين جلدوا أولئك وهؤلاء لـم يزولوا بعد والقضبان التى تضم أولئك وهؤلاء لـم تتحطم بعد

ومع ذلك لجأت تلك الـمجموعة إلى تكفير الجماعة الكبيرة ، لأنها لاتزال على رأيها فى تكفير الحاكم ، وأعوان الحاكم ، ثم الـمجتمع كله

ثم انشقت الـمجموعة الـمذكورة إلى مجموعات كثيرة ، كل منها يكفر الآخر وكان أمرا عجيبا .

كان يؤذن للصلاة .. فيقف أفراد الجماعة الواحدة صفوفا خلف امام واحد ، ولاتصلى تلك الـمجموعة معهم ثم تؤذن الـمجموعة وتقيم الصلاة ولها إمام ولـما انشقت إلى مجموعات صغيرة كانت كل مجموعة تؤذن وتقيم وحدها ولايصلى واحد من مجموعة وراء الـمجموعة الأخرى .(1)

---

(1) من الأمور التى ينبغى التعرض لها في الحديث عن الغلو :

أ ـــ عيوب الغلو وآفاته :

ذلك فى عجالة بعض خطوط التطرف أو الغلو .. اقتصرنا على شيىء منها ، وأمسكنا عن أشياء ربما اتسع لها الوقت والـمقام بعد ذلك [1]

ونتقل إلى الطرف الآخر .. إلى القصور (أو التفريط) عن عمد أو عن جهل والله الـمستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ،،

=وقد ذكر فى ذلك الدكتور يوسف القرضاوى عيوبا ثلاثة :

ــ التنفير .. فإن الغلو ينفر الناس ، ومن هنا كان أمر النبيُ ﷺ « يسروا ولاتعسروا ، وبشروا ولاتنفروا » (متفق عليه)

ــ إنه قصير العمر ــ لأن الاستمرار عليه غير متيسر ومن هنا كان قول النبى ﷺ « إن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى ، اكلفوا من الأعمال ماتطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » (رواه الشيخان)

ــ انه لايخلوا من جور على حقوق أخرى ــ لقول رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر حين بلغه انهماكه في العبادة انهماكا أنساه حق أهله ، « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، قال عبد الله فقلت بلى يارسول الله . فقال ﷺ لاتفعل . صم وأفطر وقم ونم .. فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينيك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا وان لزويك عليك حقا » (رواه البخارى)

مظاهر التطرف :

وقد ذكر لها المظاهر الآتية :

١ ــ التعصب للرأى لايعترف معه برأى الآخرين .
٢ ــ التشدد في نفسه والزام الآخرين .
٣ ــ التشديد في غير محله .
٤ ــ الغلظة والخشونة .
٥ ــ سوء الظن بالناس .
٦ ــ التكفير .

أسباب التطرف وبواعثه :

وقد ذكر لها : ١ ــ ضعف المعرفة بحقيقة الدين
٢ ــ الاتجاه الظاهرى فى فهم النصوص .
٣ ــ الاشتغال بالمعارك الجانبية .
٤ ــ الإسراف فى التحريم .
٥ ــ التباس المفاهيم .
٦ ــ اتباع المتشابه وترك المحرمات .

(١) نسأل الله أن يوفق إلى كتابة جزء من (نظرات فى علم الأصول) ــ فى أصول الدين بمشيئة الله .

المبحث الثانى
اتجاهات قاصـرة .....

تقدمة :

كما تميل النفس إلى العلو الذى فيه غلو ، فإنها تميل إلى الهبوط الذى يصبغه القصور أو التقصير ، ولقد يكون القصور أو التقصير .. فهما ، أو اعتقادا ، أو موقفا .

وكل ذلك يخرج بدعوة الإسلام عن شمولها ، ويجنح بها إلى التجزئة والتفرقة ، الأمر الذى ترفضه طبيعة الإسلام .

بيد أن لنا أن نقول كلمة إنصاف :

ـــ إن بعض هذه الاتجاهات صريح مع نفسه ومع الناس : فهو يعلن أن يصرح أو يعترف بأنه لايستطيع أكثر من ذلك ، وأن طاقته لاتحتمل الـمواجهة مع الظلمة أو الـمستعمرين .. أو أنه لايتقن أكثر من هذا الجانب وفى الوقت نفسه لاينكر غيره ، أو يتعاون مع غيره ..

وذلك اللون ـــ رغم قصورة ـــ نحترمه .. فقد يغفر الله بالصدق والإخلاص كثيرا من القصور أو التقصير ، وقد يكون فى مثل هذا الاعتراف مع لون من التعاون مع الاتجاهات الأصيلة أو « الأصولية » كما يحلو لهم تسميتها ، أو الاتجاهات الأخرى ، قد يكون فى هذا التعاون مايؤدى فى النهاية إلى « التكامل » .. مادام رائد الجميع الصّدق والإخلاص .

لكن ذلك قليل إن لـم نقل إنه نادر .

ـــ لكن أكثر تلك الاتجاهات ، تعلن وتصر .. أن ما تقوله هو الإسلام ، وأن ماتنادى به هو الحق وماوراءه باطل .. ومن ثم تَضِل وتُضِل ، وتخدع بعد أن تنخدع .. فتتفرق صفوف الـمسلمين وتتعدد بالتالى جهودهم ، وتستقطب الجهات العاملة لهدم الإسلام بطرق عديدة وخبيثة .. كثيرا من تلك الاتجاهات ، فإذا بها

من حيث لاتشعر فى أكثر الأحيان تدور مع مخططهم الآثم حيث دار ، وتفرغ طاقات الشباب وطاقات المتحمسين فيما يظنونه قربى إلى الله .

ــ وبعض تلك الاتجاهات تقتصر على الفكر ، وإن كانت كثيرا ما تخطىء فيه .

وتغفل جانب التربية على العقيدة والأخلاق ، ثم تهمل بعد ذلك جانب الجهاد أو تخطىء سبيله ، فضلا عن أنها تفتقد قبل ذلك غايته .

وبعضها الآخر يقتصر على جانب التعبد .. فتكون بذلك قاصرة ، إلا أنها كثيرا ما تكون فيه غالية ، لذا فإننا وإن كنا فى مكان آخر [1] عددناها من الاتجاهات الغالية ، فإننا نؤثر جعلها هنا فى الاتجاهات القاصرة باعتبار أنها تقتصر على جانب من جوانب الإسلام .

وحتى فى هذا الجانب كثيرا ما تكون خاطئة

والبعض الآخر إما يقتصر على مانستطيع أن نسميه اهتمامات أو أنشطة إسلامية فرعية ، كجمعيات البر والإحسان ، والرأفة بالحيوان ، أو بالإنسان ، وهذه لانهتم بها لأنها فى أغلب الأحيان ــ والحكم دائما لغلبة الأمر ــ صريحة لاتدعى أنها تقوم بالإسلام كله .

لكننا نشير فى هذا القسم الثالث إلى جانب تطبيقى تقيمه الكثير من الأنظمة الحاكمة فى البلاد الإسلامية وتزعم بذلك أنها تقيم الإسلام أو تقيم شرع الله .

أولا : القصور عند الفكر

★ الفكر فى حد ذاته نعمة .. بها فضل الله سبحانه بنى آدم على كثير ممن خلق تفضيلا ، وهو طريق إلى الإيمان والعقيدة يلفت إليه القرآن بأكثر من تعبير ، وهو فى الوقت نفسه مناط التكليف ، فمن فقد القدرة إلى التفكير فقد الأهلية للتكليف ومن ثم فإننا لانغض منه بل نندب ونأمر به ..

---

(١) أساليب الغزوالفكرى .

★ لكن الذى يؤلمنا ويؤرقنا هو الوقوف عنده أو الاقتصار عليه ، فتلك هى التجزئة التى نهينا عنها

★ ولقد اهتم قوم من قومنا بالجانب الفكرى فى الإسلام ، فأحسنوا عرض الفكر الإسلامى ، ونادوا بتثقيف الشباب وبإنارة العقول ، وهو جهد مشكور فى وقت سادت فيه الخرافات ، أو مال الناس عن الجد إلى تغييب العقل وراء كثير من الترهات أو التفاهات

بيد أنهم لو وقفوا عند ذلك لكانوا مشكورين .

لكنهم مضوا فصوروا الإسلام « فكرا مجردا » ، وثقافة محضة » . وجاوزوا ذلك فنادوا بأن طريق الإصلاح « الوحيد » هو الفكر والثقافة ولقد يكون ذلك أحد الطرق . لكنه بالتأكيد ليس الوحيد

ولقد نختلف فى نقطة البدء أنبدأ بالفكر أم نبدأ بالقلب وهو مركز الإيمان والعقيدة ، لكننا لانختلف فى أن الإسلام ليس هو نقطة البدء فقط « إنه أشمل وأوسع وأرهب » .

وإذ كان الإنسان هو المقصود بالإصلاح

فإننا لانعتبر إصلاح الرأس وحده كافيا .. إنه يلزم معه إصلاح القلب ويلزم مع ذلك إصلاحات كثيرة لسائر الجسد إن صح هذا التعميم ـــ ونشير إلى اتجاهين رئيسيين أحدهما كان على ضفاف نهر طويل خلال قرن مضى ، والثانى على ضفاف نهر قصير خلال قرن نعيشه .

★ أما الأول :

فقد نادى صاحبه ـــ فى ظلال احتلال جاثم على البلاد ـــ وبعد نفيه خارج وطنه وعودته من نفيه ـــ نادى بأن طريق الإصلاح : هو تنقية الفكر من الخرافات ، والاتجاه إلى إصلاح التعليم .

واقترنت دعوته الهادئة بمهادنة للاحتلال ، أخذت فى بعض الأحيان صورة المداهنة ، إذ كان يسعى إلى المندوب السامى فى أكثر المناسبات والعلم لايسعى إلى حاكم ـــ كما كان عليه السلف ـــ بله أن يسعى إلى مغتصب محتلا لأرض

البلاد .

كذلك وقع ـــ واقعا ـــ فى الانضمام إلى الـمحفل الـماسونى الفرنسى ، ولئن كانت الـماسونية غير معروفة الأهداف فى ذلك الحين ، فكان الأولى البعد عن مواضع الشبهات أو عن الأشياء غير الـمعلومة الأصل أو غير الـمعلومة الأهداف .

وربما أوقعه ذلك فيما راح يولفه من « جمعية التقريب بين الأديان » التى حوت مع الـمسلمين النصارى واليهود ، مما أسعد الـمبشرين وحقق آمالهم فى التوفيق بين الـمسيحية والإسلام ، توفيق أختين من أم واحدة [1]

ـــ وحتى فى هذا الـمجال ـــ مجال الفكر ـــ ضل الإمام وغوى حين تحدث عن الـملائكة وحين تحدث فى الجن والسحر ، ومعصية آدم ، وسجود الـملائكة وخلق عيسى عليه السلام ، وقال فى كتاب الله « بالرأى » مالم يقله السلف الصالح .

ومع ذلك فلا ننكر فضله فى « تنوير العقول » وفى النهى عن كثير من الخرافات التى سادت فكرة التدين فى ذلك القرن أو فى ذلك الجيل .

★ وفى الحديث ظهر حزب يتخذ الفكر أسلوبا لانقلاب إسلامى عاجل إذ يقرر « وقد بنى الإسلام العقيدة على العقل فيما يدركه ، أو عن طريق مصادر ثابتة بالعقل مثل القرآن والحديث الـمتواتر » [2]

« لذلك يجب أن تكون الكتلة التى تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية ولايجوز أن تكون كتلة روحية ولا كتلة أخلاقية .... » . [3]

وأما الدعوة التى تتحملها جماعة أو كتلة (إشارة إلى الحزب المذكور) فهى تتعلق بالفكر ولاتتعلق بالقيام بأعمال أخرى .

ـــ وفى الوقت نفسه تفيد تعاليم الحزب الـمذكور القائم على الفكر أن لاشأن لهم

---

(١) راجع أساليب الغزوالفكرى للمؤلف ص ٢٠١ ومابعدها ، وقد أشار إلى المفتش الإنجليزى جى ديلو انتز ـــ جريدة الديلى تلغراف اللندنية فى ٢ شباط ١٨٨٨ ، وكان المذكور وهو عضو فى جمعية التقريب بين الأديان يشير إلى جهود رئيس الجمعية وإمامها ـــ راجع كذلك غازى التوبة الفكر الإسلامى المعاصر..

(٢، ٣) كتاب الإيمان ومفاهيم الحزب ـــ مشار إليهما برسالة الشاب النابه حسين بن جابر ـــ رحمه الله ـــ « الطريق إلى جماعة المسلمين » .

بالأحكام العملية الإسلامية (كالصلاة والصيام ..) لأنها فى ظنهم لاتقوم إلا أن تقوم الدولة . (١)

وهذا خلط بين الواجبات العينية التى تجب على الأفراد بمقتضى إسلامهم والواجبات الجماعية (أو الكفائية) التى تنهض الدولة الإسلامية أصلا عليها وإن كان منها ماينبغى أن يتجمع من أجله الأفراد ولو لم توجد الدولة .

ــ كذلك لااهتمام للحزب المذكور بالأخلاق ــ وقد تقدم نص ذلك ــ ويتفرع عنه عدم الاهتمام بالنهى عن الفحشاء أو المنكر . (٢)

وحتى فى المجال الفكرى فقد سقط الحزب فى بعض الاجتهادات ومن بينها :

ــ إجازة مصافحة الأجنبية وإجازة تقبيلها .

ــ إباحة الصورة العارية .

ــ الاكتفاء بسجن من زنى بإحدى محارمه (كالأم والأخت) .

ــ اسقاط الصلاة عن سكان القطبين ، وعن المسلم إذا طاف فى الفضاء . (٣)

. ــ مناداته بإقامة دولة الإسلام فى الدول العربية أولا ــ وهو إن لم يقم عليه أى دليل باختصاص تلك البلاد وعصبية لامبرر لها ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾(٤) « كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى »(٥) .

وهذا يفترق عن حركات أخرى كانت بداية صحيحة لتحريك الشعوب مثل لجوء عبد الحميد بن باديس وأعضاء جمعيته أو جماعته إلى إنشاء المدارس لتعليم الشعب الجزائرى القرآن واللغة العربية ، وذلك فى مواجهة استعمار غاشم كان يصر على « فرنسة » الجزائر وإبعادها عن القرآن ولغة القرآن وقد نجحت إلى حد كبير فى تنشئة

---

(١) المرجع السابق نقلا عن مصادر الحزب .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق لحسين جابر ــ رحمه الله .

(٤) الحجرات آية : ١٣ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥ / ٤١١ .

جيل جديد حمل راية الجهاد ضد الاستعمار الفرنسى الغاشم واستطاع فى النهاية أن يحرر تراب الجزائر من أولئك المستعمرين وإن انحرفت الثورة بعد ذلك ، فلقد يكون راجعا إلى النقص فى التكوين أو قد يكون راجعا إلى انحراف طرأ ، أو ضغط أو تدخل من قوى أجنبية خبيثة . (١)

* * * * *

ثانيا : قصور على التنسك

التعبد والتنسك .. جزء عزيز من الإسلام لأنه أولا ينمى الإيمان ، فالإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى .

ولأنه ثانيا تقوم به تزكية النفس ، و هى واسطة عقد فى تكوين الجماعة المسلمة أو المجتمع المسلم ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم ، يتلوا عليهم آياته ، ويُزكيهم ويُعلمُهم الكتابَ والحكمة ﴾ (٢) ولأنه قبل ذلك وبعد ذلك أمر من أمر الله ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ﴾ (٣) ﴿ ولله على الناس حج البيت .. ﴾ (٤) بيد أن الخطير فى الأمر .. هو الاقتصار عليه :

ـــ أولا : لأن هذه تجزئة .. والتجزئة المقصودة .. كفر ، وجاهلية ، وفتنة .

ـــ وثانيا : لأن ترك بقية الإسلام ترك لواجبات ، ومندوبات .. يعرض فاعله للعقاب والعتاب .

ـــ وثالثا : لأنه يعطى صورة مشوهة لحقيقة الإسلام ، الأمر الذى حرص الأعداء أن يظهروا به الإسلام ، خاصة إذا اتخذ صورا شائهة تزيد ذلك التشويه .

* والذى حدث أنه قامت فرق وجماعات قصرت الإسلام على جانب التعبد وغالت فى هذا الجانب أو شوهته بالبدع والخرافات التى لم تعرف عن السلف

---

(١) الإخوان المسلمون محمود عبد الحليم ج ٢ ص ٣٩٦

(٢) الجمعة آية ٢ .

(٣) البقرة آية ١١٠ .

(٤) آل عمران ٩٧ .

الصالح ، والأمثلة كثيرة لاتخضع للعد والحصر ، فضلا عن أنها واضحة وقائمة لاتحتاج إلى تفصيل أو بيان .

★ والذى نكتفى فيه أن نشير إلى موقف الرسول ﷺ من تلك الفرق حين قال بعض أصحاب النبى ﷺ وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر فلا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لاخشاكم لله وأتقاكم ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » [(١)]

وحين راح رسول الله ﷺ يعلم حنظلة ويعلم الأمة من خلاله الموازنة بين حاجات الجسد وأشواق الروح ، وذلك فيما يرويه حنظلة التميمى « كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار .. حتى كأنها رأى العين ، فقمت إلى أهلى وولدى فضحكت ولعبت .. قال فذكرت الذى كنا فيه ، فخرجت فلقيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت : نافقت نافقت ، فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبى ﷺ فقال : ياحنظلة لو كنتم كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم(أو على طرقكم) ياحنظلة ساعة وساعة » [(٢)]

ـــ واعطى الدرس لمن انقطع للتعبد فسأل : ومن يطعمه ويسقيه ؟ قالوا : أخوه .

قال : أخوه أعبد منه

ثم وضح جوانب أخرى للعبادة حين قال « الساعى على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد فى سبيل الله » [(٣)] وحين قال : « إن من الذنوب ذنوبا لاتكفرها الصلاة ولا

---

(١) البخارى ومسلم وأحمد ، واللفظ للبخارى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) البخارى ومسلم والترمذى .

الصوم ولا الحج ، ويكفرها الهمّ فى طلب المعيشة (وفى لفظ عرق الجبين) (١)
وقبل هذا كان توجيه القرآن :

﴿ ..ذلك بأنهم لايُصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ فى سبيل الله ولايَطئون موطئاً يغيظُ الكفارَ ولاينالونَ من عدو نيلا إلا كُتِب لهم به عملٌ صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين ولا ينفقونَ نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعونَ وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾ (٢)

ويعدد القرآن صفات فريق كتب له ﴿ جناتُ عدنٍ يدخلونها ومن صلح من آبائِهم وأزواجِهم وذُرياتِهم والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كل باب ﴾ . (٣)

﴿ الذين يُوفون بعهدِ الله ولايَنقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمرَ الله به أن يُوصل ويخَشوْن ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ . (٤)

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر.. ﴾ الآية (٥)

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ... ﴾ (٦)

وفى مواجهة مغالاة تلك الفرق كان توجيه رسول الله ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لاأرضاً قطع ولاظَهرا أبقى » والنصوص فى هذا المعنى كثيرة .

★ بيد أننا نشير إلى جماعة قامت فى القرن الماضى ، وذاع صيتها فى هذا القرن ، وتشعب أنصارها على مساحة الأرض كلها

لانغض من قيمتها فى مجال تزكية النفس وتربيتها ، بل نشير إلى نجاحها فى هذا المضمار نجاحا تغبط عليه وهى تعلن مبادىء ستة :

---

(١) الطبرانى .
(٢) التوبة آية : ١٢٠- ١٢١ .
(٣) الرعد : ٢٣ .
(٤) الرعد : ٢٠ ــ ٢٢ .
(٥) البقرة : ١٧٧ .
(٦) الفرقان : ٦٣ .

١ ــ الكلمة الطيبة : لاإله إلا الله محمد رسول الله .

٢ ــ إقامة الصلوات .

٣ ــ العلم والذكر .

٤ ــ إكرام كل مسلم .

٥ ــ الإخلاص .

٦ ــ النفر فى سبيل الله (أو الخروج فى سبيل الله) .

ــ ولقد تحامل البعض على هذه الجماعة [(١)] ، وذكرت لها كثير من الأخطاء [(٢)] بعضها يتعلق بسلوك بعض أفرادها ، أو بنياتهم أو بتاريخهم ومواقفهم ، ومع ذلك فنحن نرى :

١ ــ أن أكثر هؤلاء ممن لقينا لمسنا فيهم الإخلاص ، والتجرد والتواضع ، والاعتماد على القليل من الزاد مما يدفعون من جيوبهم ، ويأبون أن يأخذوا من غيرهم .

٢ ــ أنهم ناجحون فى مجال التزكية وتربية النفس والبعد عن الفواحش والمعاصى .

٣ ــ أن بعض قياداتهم تفهم شمول الإسلام ، ولكنها تعلن عن المبادىء الستة فى مواجهة محاولات استئصال شأفة التيار الإسلامى .

٤ ــ إستعداد أكثرهم للتعاون مع الجماعات الأخرى ، على غير مايذهب البعض إليه .

٥ ــ إلا أننا نرى أن الخطورة فى الإعلان أشد إذ تلهى المسلمين عن الالتفات حول المفهوم الشامل للإسلام ، وتصرف جهود المسلمين عن الجهاد الحق لإقامة دولته ، وذلك كله فضلا عما فى المبادىء الستة من قصور عن شمول الإسلام .

---

(١) نذكر منهم : القائد محمد أسلم ــ خريج الجامعة الإسلامية عام ٩٨ ــ ١٣٩٩ هـ ــ رحمه الله ــ فى بحث قيم للحصول على عالية الشريعة (جماعة التبليغ عقيدة وفكرا) ، الدكتور الهلالى « السراج المنير فى تنبيه جماعه التبليغ » .

(٢) المراجع السابقة ورسالة الأخ حسين جابر ص ٣١٩ وما بعدها من الرسالة المخطوطة .

ثالثا : اتجاهات قاصرة وأنظمة مفرطة

أما الاتجاهات القاصرة الأخرى فنعنى بها كثيرا من الجمعيات التى تؤسس على هدف جزئى .. وقد أشرنا إليها فيما سبق .

ونشير هنا إلى الأنظمة الحاكمة فى أكثر البلاد الإسلامية ، والتى تزعم الإسلام منهجا ، لكنها تجزّئه تجزئة خطيرة ، فضلا عن أنها تقوم على هدمه فى نواحى كثيرة .

أما جوانب التجزئة :

فهو مايظهر من قصرها الإسلام على المظاهر والأشكال ، ودون ماأدنى اهتمام بالحقيقة والجوهر .

ـــ ففتح المساجد ، وأحيانا إحسان تأثيثها ، وزخرفتها مما يخرجها عن المسنون فى هذا الجانب .

ـــ وحضور الحفلات الدينية ، والمناسبات المختلفة .. كصلاة العيدين والجمعة اليتيمة(فى آخر رمضان) .

ـــ وإعلان البعض النصوص الخادعة مما لايجد له مكانا فى التطبيق « الإسلام دين الدولة الرسمى » « الشريعة مصدر التشريع » « الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع » .. إلخ .

ـــ وفى التطبيق تجزئة أخرى ..

هى اقتصار على جانب التعبد (إن وجد) ، وبعض الثقافة والفكر (مع منع الفكر الأصلى بين الحين والحين واتهامه بالتطرف) ، وبعض النواحى القانونية (وأكثرها فيما يخص الزواج والطلاق مما اصطلح عليه بالأحوال الشخصية مع محاولة التعديل فى هذا الجانب بالبعد عن الأصيل من الآراء الفقهية فيه) .

وذلك كله مع بقاء العقيدة والأخلاق والمعاملات بغير كبير اهتمام .

أما جانب الهدم :

فيجرى فى مجال التعليم

وفى مجال الإعلام

وفى مجال القيم .. تحت أسماء كثيرة .. التحضر ، التقدم ، التحديث ، وأحيانا تستخدم العلمانية ليس بمصطلحها الذى بات عند أكثر المتعلمين مفضوحا ، بل بلفظها الذى لايزال عند الكثيرين خاصة من العوام لايزال خادعا غير مفضوح .

ــ وهناك هدم آخر متمثل فى الفتنة التى تمارسها تلك الأنظمة بين الحين والحين حربا على الجماعات والتجمعات الإسلامية ، ومحاولة لاستئصال شأفتها ، وقد أدانت بعض الأحكام وبعض الوثائق تلك الأنظمة بالعمالة لأعداء الإسلام ، وإكتشاف هذه العمالة ليس بالأمر العسير .

المبحث الثالث
اتجاهات معتدلة شاملة
أو « أصولية »

مقدمة :

أطلق الغرب الاصطلاح الثانى « أصولية » وصفا للاتجاهات المعتدلة الشاملة ، وقد كان فى البداية يصفها « بالإرهاب » ويصمها بالتطرف ، لكنه لم يستطع الاستمرار فى تلك الأوصاف بعد أن ظهرت على الساحة اتجاهات وصلت فى التطرف حد التكفير بالمعصية ! « بالخروج على جماعة معينة ، وبعد أن وقعت تلك الاتجاهات فى أعمال عنف كان بعضه ماسا بكثير من الأبرياء » .

وفضلا عن أن الاتجاهات التى نشير إليها قد اتسمت بالاعتدال .. فكرا وعقيدة ومواقف ، فلقد تلافت من ناحية أخرى القصور الذى وقعت فيه اتجاهات أخرى فكانت فى أهدافها ومناهجها وأساليبها مراعية الشمول الذى جاء به الإسلام ، ملتزمه بخط السيرة فى التطبيق ، وفى الوقت نفسه مستفيده بالمأثور من الأساليب وبما يوجد من أساليب كذلك .

وليس الأمر على النحو الذى نكتب به .. إنه أصعب من ذلك وأشد عسرا إنه التفكير الطويل والسهر المضنى ، والجهد المتواصل ، والمعاناة والتجارب ومعها الجهاد والتضحية .. أمور نعترف فيها بالفضل بعد الله لمن سبقونا بالإيمان .

والتجربة لاتزال على الساحة تظهر حينا وتغيب أحيانا ، تهادن فترة وتحارب فترات ، يتجمع عليها « دعاة جهنم » من كل فج خبيث يبغون الحيدة بها عن أهدافها ، أو احتواء أفرادها وقادتها .. وأخيرا إبادتها واستئصال شأفتها .

والله من ورائهم محيط

ولسوف نعرض لخصائص هذا الاتجاه ، ثم أهدافه ، ومبادئه ، ثم شبهات ثارت

حوله . (١)

أولا : خصائص هذا الاتجاه

نختار له خصائص خمس :

١ ـ الربانية : موردا :

ونعنى أن صبغتها « ربانية » موردا ، و اتجاها ، وقيادة . أما ربانية المورد : فهو أنها آخذة من الكتاب والسنة ، أو بعبارة أخرى من الوحى ، والكتاب وحى بلفظه ومعناه ، والسنة وحى بالمعنى واللفظ من عند رسول الله ﷺ ، وربانية المورد تدفع الآخرين لإطلاق لفظ « الأصولية » عليها ، وهو تعبير لانرفضه بهذا المعنى .

وأما ربانية الاتجاه : فنعنى به القصد إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا إلى الله راغبون ﴾(٢)وهو ماعبر عنه البعض بقوله « الله غايتنا » ، وهو أمر يصحب أعمال « العبادات ، وأعمال « العادات » فيحول حياة المسلم كلها عبادة ، ليترنم قولا وفعلا بقوله تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾(٣)وهذا ما يبعد هذا الاتجاه عما يشوب غيره من مصالح « حزبية » أو « شخصية » أو « اقليمية » أو « عصبية » فيتوجه بوجهه إلى الله سبحانه ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ .(٤)

وأما ربانية القيادة : فإنها تعنى إخلاص تلك القيادات حتى تبدو كأنها « ربانية » ، ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شيء ﴾(٥) ﴿ ولتصنع على عينى ﴾(٦) ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾(٧) ، وهذا لانستطيع الخوض فيه ، لكنها شهادة نقدمها للتاريخ ، وقد التزمنا فى الشهادة ألا نكتمها ، كما التزمنا فيها أن نكون

---

(١) هذا الاتجاه بدأ فى إحدى البلاد العربية ثم ظهر له قرين فى إحدى البلاد الأسيوية ، ثم انتشر على مساحات القارات الخمس يحمل معه نور « تجديد » الرسالة الإسلامية .

(٢) التوبة آية : ٥٩ .

(٣) الأنعام آية : ١٦٢ .

(٤) الأنعام آية : ٧٩ .

(٥) النمل : ٨٨

(٦) طه : ٣٩

(٧) الطور : ٤٨

فيها ﴿ قوامين بالقسط شهداء لله ﴾(١) ، أو ﴿ قوامين لله شهداء بالقسط ﴾(٢) ، ونترك للتاريخ من بعد ذلك الشهادة الأخيرة .

فإن اختلفنا .. فالله يحكم بيننا يوم القيامة فيما كنا فيه مختلفين .

٢ ـــ العالمية :

هنا ينزل الاتجاه على عالمية الإسلام ﴿ وماأرسلناك إلّا رحمة للعالمين ﴾ ﴿ وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ ومن ثم تمارس « الدعوة » إلى الله على مستوى العالم كله ... وهو أمر مشاهد ملموس بفضل الله ، كما يجرى « التكوين » على مستوى العالم تخطيطا وترتيبا وتنفيذا ..

وذلك كله .. فى انتظار يوم تظل العالم كله « حكومة الإسلام » وهو يوم ليس على الله ببعيد ولابعزيز .

٣ ـــ الشمول :

ماسبق شمول « مكانى » وهذا شمول « موضعى » فالإسلام عقيدة ، وعبادة .. دين ودولة .. نظام إيمانى ، ونظام خلقى ، ونظام سياسى ، ونظام اقتصادى .. وهذا مانعنيه بالشمول :

وفى قول أحد قادتهم أنهم :

ـــ دعوة سلفية : لأنهم يدعون لأخذ الإسلام من منابعه الأصيلة : الكتاب والسنة .

ـــ طريقة سنية : لأنهم يلتزمون السنة ، ويحيونها قدر ما يستطيعون .

ـــ حقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس والارتباط على الخير .

ـــ هيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم وإقامة الخلافة .

ـــ وجماعة رياضية : لاهتمامهم بتحقيق قول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »(٣) .

---

(١) النساء ـــ ١٣٥ (٢) المائدة ـــ ٨

(٣) أخرجه مسلم فى القدر ٤ / ٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤) ، وابن ماجه فى المقدمة ١ / ٣١ رقم (٧٩) وفى الزهد ٢ / ١٣٩٥ رقم (٤١٦٨) . والإمام أحمد فى المسند ٢ / ٣٦٦ ، ٣٧٠ . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ــ ورابطة علمية وثقافية : لاهتمامهم بالعلم تحقيقا لقول الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[1] وهم يعنون بالعلم النافع .. دينيا ودنيويا ، ولهم مناهج فى هذا السبيل .

ــ وفكرة اقتصادية : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه .

ــ وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع ويحاولون علاجها .

ويختم صاحب تلك الكلمات هذا التصنيف بقوله : « وشمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولا لكل نواحى الإصلاح » .

٤ ــ الاستقلال عن التأثير الخارجى :

وقد جدد هذا الاتجاه تاريخا حبيبا لرسول الله ﷺ حين رفض الاحتواء لما خاطبه المغيرة بن شعبة « إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا .. » الخ[2]

وحين رفض المهادنة والمداهنة فقال لهم بلسان الوحى﴿ قل ياأيها الكافرون ، لاأعبد ماتعبدون .... لكم دينكم ولى دين ﴾[3] .

وحين رفض التهديد والوعيد فقال قولة الثبات الخالد « ياعمّ والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه »[4] .

ــ وفى الحديث حدثت محاولة الاحتواء وحدثت محاولة المهادنة والمداهنة وحدث التهديد والوعيد ، وتجاوزه إلى التقتيل والتعذيب والتشريد فما لانت لهم قناة ..

٥ ــ التدرج فى الخطوات

والتدرج مع الشمول خطان متوازيان لامتضادان .. فالشمول فكر وعقيدة ،

(١) اخرجه ابن ماجه فى المقدمة ١ / ٨١ رقم (٢٢٤) . وأورده ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله ١ / ٧ . عن أنس بن مالك .

(٢) انظر البداية والنهاية ٣ / ٥٠ .

(٣) الكافرون .

(٤) انظر البداية والنهاية ٣ / ٤٨ .

وتخطيط ومناهج ، والتدرج « تكتيك » و « تنفيذ » ، و » تطبيق » ومن ثم فلا تعارض وقد أشار إمام جليل إلى أن مراحل التدرج للدعوة ثلاث :

التعريف

التكوين

التنفيذ

ومرحلة التعريف هى مرحلة النشر والتبليغ ، وهى التى كان فيها رسول الله ﷺ يقول : « قولوا لاإله إلا الله تفلحوا »[1] وكان يقول « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى »[2] وكان يقف فوق الصفا لينادى : لو أنى أخبرتكم أن خيلا بالوادى تغير عليكم .. أكنتم مصدقىّ ــ فيقولون أنت فينا الصادق الأمين : فيقول فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد[3] » وهى مرحلة تعتمد مناهج عدة : منهجا فطريا ، منهجا خلقيا ، منهجا علميا .. [4]

أما المرحلة الثانية ــ فهى مرحلة البناء والتكوين ولها سماتها :

صبر ﴿ واصبر نفسك مع الذينَ يَدعُونَ ربَّهُم بالغداةِ والعشى يُريدونَ وجهه ﴾ .[5]

حرص « ولاتعد عيناكَ عنهم »[5]

﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ماعنِتُّم ، حريصٌ عليكُم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ .[6]

إعراض عن كل ما يشغل عن الدعوة :

﴿ ولاتطع من أغفلنا قَلْبَهُ عن ذكرنا واتبعَ هواهُ وكان أمرهُ فُرُطا ﴾ .[5]

ولها وسائلها :

امتثال : ﴿ يتلو عليهم آياتنا .. ﴾ ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ يعملون حق العمل .

---

(١) أخرجه الامام أحمد فى المسند ٣ / ٤٩٢ . ٤ / ٣٤١ عن ربيعه بن عباد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣ / ٣٢٢ ، ٣٣٩ عن جابر بن عبد الله .

(٣) انظر البداية والنهاية ٣ / ٣٨ .

(٤) مذكراتنا فى مناهج الدعوة ــ المرحلة الجامعية ــ المعهد العالى للدعوة ــ جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

(٥) الكهف ٢٨ .

(٦) التوبة آية : ١٢٨ .

تزكية : ﴿ ويزكيهم ﴾ وفى التزكية تخلية ثم تحلية ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله .. ﴾ عقيدة ، خلقا ، تعبداً ، سلوكا ..

علم وحكمة : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وعلم الكتاب علم واسع فضلا عن أنه علم رفيع والحكمة .. صبر وحلم وعلم واختيار واختبار .

أما المرحلة الثالثة ــ فهى مرحلة التمكين والتنفيذ ويميزها : الذين إن مكناهم فى الأرض :

أقاموا الصلاة ــ صلة بالله

وآتوا الزكاة ــ بناء للمجتمع وتكافل

وأمروا بالمعروف ــ بناء للمجتمع وتكافل اجتماعى

ونهوا عن المنكر ــ تكافل سياسى أو نظام سياسى

وهكذا تتدرج الخطوات ، وفى الخطوة الأخيرة قال إمام جليل : « اسمعوها منى كلمة داوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم الجامع ، إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول .. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه بحال .. ثم يقول

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا شمعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولاتميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، لاتصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وماهى منكم ببعيد ....

ثم يقول « والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم ، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها ، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات .[1]

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس .

ثانيا - أهداف هذا الاتجاه

لاجرم أن الأهداف تقترن بالـمراحل : فأهداف الـمرحلة الأولى : تبليغ دعوة الله : وهى التى عبر عنها الوحى ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾[1] وعبر عنها الصادق الـمصدوق ﷺ « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى » لكن هل البلاغ هدف فى ذاته ؟ نعم . هو فى ذاته هدف .. بالنصوص السابقة . لكنه يفضى إلى أهداف أخرى .

أولها : إلزام الحجة ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[2] ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[3] .

وثانيها : اختيار العناصر للـمرحلة التالية ، وهى مرحلة خطيرة .

أهداف المرحلة الثانية : اختيار اللبنات وإقامة البناء

الفرد المسلم .

البيت المسلم .

المجتمع المسلم .

وقـد حرص رسول الله ﷺ على هذه الأهـداف ، فلمـا اكتمـلت له فى مرحلـة مكة انتقل إلى أهداف المرحلة الثالثة :

أهداف المرحلة الثالثة : التمكين .

— إقامة دولة الإسلام أو « وراثة الأرض » .

— الشهادة على العالـمين ، أو إمامة الناس .

— إزالة الـمنكر — أى منكر —.

وإقامة المعروف — أى معروف — ولم نقل أمرا .. لأن بعد التمكين لم يعد مقبولا مجرد الأمر ومجرد النهى ، بل أصبح الأمر والنهى تغييرا باليد لتوافر الاستطاعة فلا يصار إلى غيرها .

والله أعلم

(١) الشورى آية : ٤٨ .

(٢) النساء آية : ١٦٥ .

(٣) الإسراء آية : ١٥ .

ثالثا : مبادىء هذا الاتجاه

لاجرم أن الخصائص والأهداف ، قد تكشف عن المبادىء .. فإن لم تفعل فإنها ترتبط بها ارتباطا لايقبل التجزئة .

ولو قلنا أن الإسلام كله هو مبادىء هذا الاتجاه لكنا صادقين ولو أردنا البيان والتركيز لقلنا أنها خمس لزمت للتجديد :

١ ــ الله غايتنا :

اتخاذ الله غاية لازم فى زمن كثرت فيه الغايات ، وتدانت وتدلت حتى عافها المخلصون ، واتخاذ الله غاية ينسجم مع خاصية الربانية ..

فالله سبحانه هو الذى نأخذ منه ، والله سبحانه هو الذى نتجه إليه ومن ثم يكون : الصدق ، ويكون الإخلاص ، ويكون التجرد .

وهى سمات إن اتسمت بها جماعة كتب لها بإذن الله ــ النجاح ــ ومن وجد الله غاية .. فقد وجد كل شىء .

ومن افتقد الله غاية .. فقد افتقد كل شىء .

ولانجاح لعمل إسلامى .. فردى أو جماعى .. بغير هذه الغاية : ﴿ أغير الله أبغى رباً وهو ربُّ كل شىء ﴾(١) ﴿ أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتابَ مفصلا ﴾(٢) ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطرِ السمواتِ والأرض ﴾(٣) .

٢ ــ الرسول قدوتنا :

وهى قدوة لازمة .. فى زمن كثرت فيه القدوات ، وتدانت وتدلت .. حتى صارت حثالة المجتمعات قدوات للناس ﴿ يقدُمُ قومَهُ يومَ القيامِة فأوردهم النار ﴾(٤) ﴿ ألـم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم

(١) الأنعام آية : ١٦٤ .
(٢) الأنعام آية : ١١٤ .
(٣) الأنعام آية : ١٤ .
(٤) هود آية : ٩٨ .

يصلونها وبئس القرار ﴾ . [1]

وهى قدوة معصومة من الخطأ ﴿والله يعصمك من الناس﴾[2] ، ومن ثم فالـمقتدى بها يسير خلف صواب وحق .. فلا يضل ـــ بإذن الله ـــ ولايشقى . بينما يضل الناس خلف زعامات كثيرة أصابها الغرور أو صاحبها الغرور » ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء مايزرون ﴾[3] .

٣ـــ القرآن شرعتنا :

وأى مبدأ أعظم من هذا الـمبدأ .. وأى تشريع أجل من تشريع القرآن .

إنه إن اتسمت تشريعات الأرض بالقصور والجهل والهوى ، فإن القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ..» إنه وإن اعتدوا فى تشريع الأرض « بالجزاء » ليكون الإلزام .

فلقد خلف التوجيه التشريع وسبق التشريع ولحق التشريع .. ليكون السمو بالإنسان إلى الـمستوى الرفيع الذى يريده القرآن .

وفى علاج القرآن للـمطلقة التى لـم يدخل بها مثل بليغ : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهنَّ فريضة فنصف مافرضتم إلا أن يعفـون أو يَعْفُـوَ الـذى بيده عقدةُ النكـاح وأن تعفـوا أقـربُ للتقـوى ولا تنسوا الـفضل بينكـم ... ﴾[4]إنـه وإن كانت التشريعات قاصرة على جانب « الـمعاملات » بفروعه القانونية الـمختلفة فإن تشريع القرآن أوسع وأرحب وأشمل فإنه يشمل « بالـمعنى الواسع العقيدة والأخلاق ، والتعبد ، والـمعاملات بفروعها : نظام سياسى ، ونظام اقتصادى ، ونظام اجتماعى .. وداخل الأخير فروع القانون العام وفروع القانون الخاص التى عرفها القانونيون الوضعيون .

إنه وإن افتقدت دساتير الأرض مهما حاولت عنصر الثبات (أو الجمود) فإن ثبات دستور السماء فوق كل تعديل أو تبديل أمر لايستطيعه غير القرآن .

---

(١) إبراهيم آية : ٢٨ ـــ ٢٩ .
(٢) المائدة آية : ٦٧ .
(٣) النحل آية : ٢٥ .
(٤) البقرة آية ٢٣٧ .

وأخيرا ـــ ونكتفى بذلك : إنه وإن كان عدل الأرض نسبيا ، فعدل السماء مطلق لايميل مع الهوى ، ولايحيف مع الشنآن ..

﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ (١) ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾(٢)وهذه بعض أسرار « القرآن شرعتنا » .

٤ ـــ الجهاد سبيلنا :

تعددت وسائل الناس مع كثرة ماحاق بهم من فساد .. حتى صار البعض إلى أن الغاية تبرر الوسيلة .. أخذا من ذلك المبدأ الذى وضعه داهية إيطاليا « مكيا فيللى » منذ قرن أو يزيد .

وانساق المسلمون فى سياستهم وراء كثير من هذا الضلال .

وتركوا .. الجهاد .. فذلوا .. واقتحمت عليهم ديارهم ، واغتصبت أراضيهم ، وهتكت لهم الأعراض والحرمات ، وكان لابد للبعث الجديد من بعث الجهاد فى النفوس ، فكان لابد ـــ من ذلك المبدأ أو الشعار « الجهاد سبيلنا »

وقد جعله الإسلام ذروة السنام .. لمن أراد أن يبلغ الذروة ، ونحن لها راغبون « رأس الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله »

★ ★ وهتف بهم القرآن

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفُسكُم فى سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾(٣)

وهتف بهم كذلك : ﴿ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتُجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفُسكُم ذلكُم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكُم ذنوبكم ويدخلكُم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى

---

(١) النساء آية : ١٣٥ .

(٢) المائدة آية : ٨ .

(٣) التوبةآية : ٤١ .

تحبونها نصر من الله وفتحٌ قريب ، وبشر المؤمنين ﴾ : [1]

وأخيرا : ﴿ يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاعُ الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركُم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ﴾[2] .

﴿ ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ . [3]

** وسئل رسول الله ﷺ : يارسول الله مايعدل الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : لاتستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لاتستطيعونه ، ثم قال : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صيام ولاصلاة حتى يرجع المجاهد » الستة : إلا أبو داود)

وعنه ﷺ : « من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة » (الترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة) .

وعنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق » (مسلم وأبو دواد عن أبى هريرة) .

وعنه : « عينان لاتمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (الترمذى عن ابن عباس) .

٥ ـــ الموت فى سبيل الله :

والناس غدت تحب الحياة حتى صح فيهم ماقيل فى قوم سبقوهم ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾[4] والحرص على الحياة يورث الذل ، ولايغير من أمر الأجل

---

(١) الصف آية : ١٠ ـــ ١٣ .

(٢) التوبة آية : ٣٨ ـــ ٣٩ .

(٣) النساء آية : ٧٥ .

(٤) البقرة آية : ٩٦ .

شيئا . والحرص على الموت يورث العز ، ولايعجل من الأمر شيئا .
ومع ذلك فالناس حريصون ، وقد أذل الحرص أعناق الرجال .
والأمة التى تتقن « صناعة الموت » تتبوأ مكانا عزيزاً بين الأمم ، ولايغير ذلك من آجالها شيئا .

** من أجل ذلك علمنا القرآن الشهادة فى سبيل الله ، وحدثنا عن مكان الشهداء ﴿ ولاتحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ، يستبشرونَ بنعمة من الله وفضلٍ وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابَهم القرحُ للذينَ أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ (١)
﴿ ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولٰكن لاتشعرون ﴾ (٢) .
** وكلمات رسول الله ﷺ يوم أحد : إن أرواح إخوانكم فى حواصل طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ، ترد انهارها وتأكل ثمارها ، ثم تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة عند العرش إقرءوا إن شئتم ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا .. ﴾ الآية .

ـــ للشهيد عند الله ست خصال « يغفر له فى أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنه ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن يوم الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقربائه » (الترمذى وابن ماجه)
ـــ من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه (مسلم)
وعن حارثة بنت سراقة أنها أتت النبى ﷺ فقالت : « يانبى الله ألا تحدثنى عن حارثة ـــ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ـــ فإن كان فى الجنة صبرتُ وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء قال : ياأم حارثة إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » (البخارى)

---

(١) آل عمران آية : ١٦٩ ـــ ١٧٢ .
(٢) البقرة آية : ١٥٤ .

ـــ وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ يقال لها أم خلاد وهى متنقبة تسأل عن ابن لها قتل فى سبيل الله ، فقال لها بعض أصحابه : جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة فقالت : إن أُرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى ، فقال لها النبى ﷺ : إن ابنك له أجر شهيدين .

قالت : ولـم ؟ قال : لأنه قتله أهل الكتاب . (أخرجه أبو داود) .

** * * * * * * * * * *

رابعا - شبهات حول هذا التيار

بين الصوفية والسلفية :

* يرمى البعض هذا التيار بالميل إلى الصوفية ومافيها من بدع . والحق أن أكثر الطرق الصوفية قد سارت فى طريق البدع ، وقليل منها وصل حَدّا يخرج من ملة الإسلام ، لكن من الحق أن يقال إنه ليست كل الطرق كذلك ، وإن بعضها قامت بواجب الدعوة إلى الله على أحسن ما يكون حتى أمكن نشر الدعوة فى مساحات من الأرض واسعة كذلك حملت الصوفية راية الجهاد فى مواقع كثيرة وأزمنة كثيرة ..

كذلك من الحق أن يقال إن « الصوفية » سادت كمصطلح على « تزكية النفس » ولامشاحة فى الاصطلاح ، كما ذهب العلماء .

ـــ فإذا جاء البعض ليرمى اتجاها مابالصوفية لأن أحد قادته قال « إنهم حقيقة صوفيه » ثم فسره بعد ذلك بأنهم « يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس والترابط على الخير » أفلا نفهم من ذلك أن الـمقصود هو التزكية وأن لامشاحة فى الاصطلاح ؟؟

وإذا حرص على أن يقول : « حقيقة » ولايقول « طريقة » أفلا يكون فى هذا الحرص وهذا التحديد ما يفيد معنى التزكية ويؤكده ؟

* وفى نفس الوقت رموا نفس الاتجاه بالبعد أو التنكر للسلفية مع أنه أعلن أن « دعوة سلفية » والسلفية .. ليست مذهبا حتى ينادى به البعض ويتعصب له . وهى ليست ميراثا لأحد دون غيره يقصره على نفسه ومع ذلك فالشبهة التى

أخذت على هذا الاتجاه أن إمامه قال : « معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ومايليق بذلك من التشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولاتعطيل ، ولانتعرض لماجاء فيها من خلاف بين العلماء ويسعنا ماوسع رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾[1] وهى عبارة واضحة تعبر عما كان عليه السلف فى هذا الأمر . إلا أنهم يعيدون عبارة أخرى جاء فيها : ونحن نعتقد رأى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعانى إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل .

فاعتبروا ورود كلمة (تفويض) وسط العبارة إشارة إلى مذهب (التفويض) وهو اعتبار خاطىء لأنها وردت مجهلة وليست معرفة ، فهى لاتعنى المذهب المذكور ولكنها استعملت بمعناها اللغوى بمعنى عدم الخوض فى كيفية الاستواء أو غيرها من الكلمات أو العبارات المتشابهة وترك تأويلها وعلمها إلى الله سبحانه وتعالى بالوقوف عند قوله ﴿ ومايعلم تأويله إلا الله ﴾ .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرجل أكد « مذهب » السلف — إن صح هذا التعبير — فى أكثر من موضع نذكر منها :

« وكل ماجاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فالكتاب وسنة رسوله أولى بالاتباع »

« والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ماكان من هذا الباب منكر تجب محاربته (إلا ماكان آية من قرآن أو رقية مأثورة) » .

وكل بدعة فى دين الله لاأصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو النقص منه — ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لاتؤدى إلى ماهو شر منها » .

وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة

---

(١) آل عمران آية ٧ .

بالمقبورين أيا كانوا ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله وما ألحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولانتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة » [١]

أى وضوح فى سلفية هذا الاتجاه بعد هذه الفقرات ؟؟

٢ ـ هل هى جماعة المسلمين :

زعم البعض أن هذا الاتجاه يدعى لنفسه أنه جماعة المسلمين ، وجماعة المسلمين على الراجح هى التى يمكن الله لها ويكون لها إمام هو إمام المسلمين ، وقبل ذلك لايصح هذا الادعاء .

ولقد صرح بعض قادة هذا الاتجاه أنهم جماعة من المسلمين ، لاجماعة المسلمين . [٢]

ولئن ذهب البعض إلى مثل هذا التعبير [٣] ممن لايعدون من قيادات هذا الاتجاه ، فإنه أولا ليس حجة على الاتجاه كله ، وأنه ثانيا قد روجع فيه وعدل وإن لم يعلن ذلك بعد .

ولقد يرتب البعض على القول الأول أنهم يكفرون غيرهم .

وهى تهمة يبرأ منها هذا الاتجاه بما أعلنه أحد قادته : « لانكفر مسلما برأى أو معصية وبما عرف من سلوكهم فى البعد عن وجهة التكفير .

٣ ـ تهم تاريخية :

قيل عن العنف . وقيل عن صلات بالحكام . وقيل عن حروب تحت راية غير راية الإسلام أو قبل التمكين ومناقشة التاريخ تحتاج إلى شهود وحجج .. ليس مجاله هذا المقام ومع ذلك نقول كلمات قليلة بعون الله :

ـ إن تهمة العنف ـ إن صحت نسبتها ـ كانت دفاعا أو ردا على عدوان سبقت إليه السلطة ، وعلى سبيل المثال لاالحصر ، قتل النقراشى كان بعد وقوع

---

(١) رسالة التعاليم ـ مجموعة الرسائل .

(٢) دعاة لاقضاة ـ للمستشار ـ حسن الهضيبى ـ رحمه الله ـ .

(٣) الشيخ سعيد حوى فى كتابه المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين .

(الخيانة العظمى منه) والثابتة بوثائق تؤكد استماعه إلى طلب سفراء دول ثلاثة حل الجماعة ، واعتقاله المجاهدين على أرض فلسطين أثناء جهادهم ، وطعنهم فى ظهورهم وهم يواجهون عدو الله وعدوهم .

قتل السادات كان ردا على عدوانه على قيم الأمة ، واعتقاله لخيرة ذعاتها وتطاوله على ذات الله ، وعلى كرامة المؤمنين ، وذهابه إلى مصالحة اليهود وهم يحتلون جزءاً من أرض الإسلام .

ـــ الصلات بالحكام .

كانت لإيصال الدعوة .. وقد فعلها رسول الله ﷺ لما بعث الرسائل والوفود إلى الملوك ، وبعض هذه اللقاءات كان صورة مشرفة ومشرقة للدعوة بحمد الله .[1]

ـــ الحروب .. .

فى فلسطين وفى القنال كانت تحت راية إسلامية ولم يقبل هذا الاتجاه يوما أن ينضوى تحت رايات وطنية أو قومية أو حكومية ، ولو فعل لتجنب محنا كثيرة خاضها وصمد فيها .. بحمد الله .

أما هل التحرك نحو القنال وفلسطين كان أولى أم التحرك نحو العرش .. فتلك تفاصيل واجتهادات لامحل للجزم بشىء فيها ، ويترك فيها لمن خاضوا المعارك تقديرها ، ولايصلح للجالسين على الضفاف والشواطىء أن يحكموا وهم هانئون بعيدون ؟ والله أعلم

(١) راجع محمود عبد الحليم ـــ ج ٢ زيارة المرشد الأستاذ الهضيبى للملك السابق فاروق .

خامسا : الاتجاه الإسلامى فى وجه الغزو الفاجر

تحدثنا عن سلبيات هذا الاتجاه ثم عن إيجابياته ..فكيف هو فى مواجهة الغزو الفاجر ؟

الناظر إلى الإيجابيات يستبشر ويتفاءل : البقاء للأصلح ، لكل فعل رد فعل ، قانون الاستخلاف ..

والناظر إلى السلبيات يتشاءم : دعوة بغير دولة ، ضعف الدعوة ، وضعف الدعاة ، تفرق الدعوة ، وتفرق الدعاة ، قصور وتقصير ، دعاة جهنم ومحاولاتهم .. احتواء وإلا فتنة وبلاء .

بيد أن الاتجاه الإسلامى يعمل فى وجه الغزو الفاجر إنه يسحب البساط من تحت أقدامه .. إنه يؤلف الزحف القادم القاهر بإذن الله إنه أخيرا يستعد ليوم قريب .. إنه يوم الفصل .

١ ــ الاتجاه الإسلامى يسحب البساط :

ــ إن الاتجاه الإسلامى يعمل فى مجال الدعوة إلى الله بنشاط شديد ، رغم كل مايقال عن تفرقه وضعفه ، وإن مساحة الأرض اليوم كلها تغطيها دعوة الله ــ بحمد الله وفضله ــ مع تفاوت فى القوة والضعف ، وإن العقبات التى توضع فى طريق الدعوة يذللها الله سبحانه مع قدر من الإخلاص وقدر من الجهد يستر القدرة الإلهية الجبارة . وإن أشد هذه العقبات ــ فى نظر الناس ــ وهو تعريض للدعاة للفتنة .. إن هذه تزيد من لهيب الدعوة فإذا هى نار تحرق ونور يضىء .. نار تحرق الدخن والدخل وتصفى المعدن الأصيل من الشوائب ، ونور يضيىء فى قلوب الدعاة ومن بين أيديهم وبأيمانهم .

إن الدعوة ــ رغم هذا وبسبب هذا ــ تمتد أفقيا فى آفاق واسعة رحيبة ، وتمتد رأسيا عمقا فى نفوس أصحابها وفى نفوس الناس ، أرادوا إطفاء جذوتها فازداد لهيبها وضياؤها ﴿ **يُريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[1] .

---

(١) التوبة آية : ٣٢ .

ولسنا نحتاج دليلا على مانقوله .

إن حديث العالم كله اليوم عن الصحوة الإسلامية ، حتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، يؤلف اللجان ويستقصى المعلومات عن حقيقة هذه الصحوة وأعماقها ، ونحن لانعتبر ذلك سرا إذ نؤكده ونذيعه .

ــ والنتيجة الطبيعية لذلك الزحف الدعوى المبارك أن كل أرض تكسبها الدعوة إنما تسحبها من تحت أرجل الغزو الفاجر ، كل إنسان تكسبه الدعوة هو خسارة لأعداء الدعوة .. تلك بعض بدهيات الرياضيات .

ومن ثم فالبساط يسحب يوما بعد يوم من تحت أقدام الغزو الفاجر بأجهزته وأنظمته وجيوشه وحراسه .. ومن ثم فأبشر له بسقوط قريب .

٢ ــ الزحف القادم القاهر يتكون :

إن كل لبنة من لبنات الدعوة تتكون إنما تقف إلى جوار أختها .. يتألف منها أساس ثم بنيان يشد بعضه بعضا .. والقائمون على فكر واحد وعقيدة واحدة لبنات متجانسة .. والمغايرون فى الفكر والعقيدة بإذن الله يقتربون ، والمحن التى تتسلط على الدعوة والدعاة بين الحين والحين تسرع فى اقترابهم وتآلفهم .. لينضموا إلى البنيان المبارك الشامخ .

واعتقد أن ساعة النصر .. سوف تقرب البعيد وتجمع الشتيت . ومن ثم فنحن نلفت نظر الدعاة إلى أهمية فترة التكوين كما ننبههم إلى استبعاد أسباب الشتات .. فبقدر مايعتدل الصف ينظر الله إليه .. فإن الله لاينظر إلى الصف الأعوج ، ﴿ إن الله يُحِبُّ الذين يُقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص ﴾ (١)

٣ ــ اقترب يوم الفصل :

إن الصحوة الإسلامية بآفاقها وأعماقها تبشر بيوم فصل قريب بيد أن للنصر شروطا وله مقدمات :

---

(١) الصف آية : ٤ .

أما مقدماته :

ــ فثبات .. يجعل المبادىء والقيم تقر فى نفوس أبنائها ، وتتشرف إليها نفوس المتطلعين .

ــ ذكر الله .. تقر به النفوس وتطمئن القلوب ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .[1]

ــ طاعة الله ورسوله .. فيها يقترب النصر ، وبها يكون النصر ، وفى هذا من الآثار كثير .

ــ عدم التنازع لأن قرينه الفشل وذهاب القوة والريح .

ــ والأخيرة صبر ، حتى يحين النصر ، وما بين النصر والهزيمة غير صبر ساعة .

أما شروطه وسماته :

فإقامة الصلاة ــ وهى عمود الدين .. أى إقامة الدين .. الدين كله .

إيتاء الزكاة ــ وهى عمود النظام الاقتصادى الإسلامى ــ وسند التكافل الاجتماعى ، فهى تعنى .. إقامة النظام الاقتصادى الإسلامى وإقامة النظام الاجتماعى الإسلامى .

وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ــ هو عمود النظام السياسى الإسلامى فهى تعنى إقامة النظام السياسى الإسلامى .

بإقامة الأمة المسلمة ، والسلطة المسلمة ، التى تقوم على رضى الناس والتى تقيم شرع الله .

والله من وراء القصد ــ والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الرعد آية : ٢٨ .

المحتويات

الموضوع — الصفحة

فاتحة ٥

الباب التمهيدى

الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ٩

ونبذة عن : الاستشراق والتبشير

تقدمـة ١١

الفصل الأول : الاستشراق ١٥

معنى الاستشراق وبدايته ١٥

مراحل الاستشراق ١٦

أهداف الاستشراق ١٧

وسائل الاستشراق ١٨

محاولات التشويه الاستشراقى ١٩

ملخص الاستشراق ٢٢

الفصل الثانى : التبشير ٢٣

تعريفه ونشأته ٢٣

مراحل التبشير ٢٤

الفصل الثالث : القهر السياسى .. يصحب الغزو الفكرى ويدعمه ٣١

تقدمـة ٣١

أولا : مرحلة الحروب الصليبية ٣١

ثانيا : مرحلة الاحتلال العسكرى للبلاد الإسلامية ٣٣

الموضوع	الصفحة

إسقاط الخلافة الإسلامية ٣٥

ثالثا : مرحلة الانقلابات العسكرية ٣٥

الباب الأول

الاتجاه الفكرى الغربى ٤٣

تمهيد ٤٥

الفصل الأول : العلمانية ٤٩

المبحث الأول : ظروف نشأة العلمانية ٥٠

توطئة ٥٠

الظروف التى عاشتها أوربا ٥١

أولا : الظروف الدينية ٥١

الجانب الفكرى « العقدى » ٥٢

الجانب العملى ٥٧

ثانيا : الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ٥٨

ثالثا : نتائج هذه الظروف « ردود الفعل » ٦٠

اليهود فى الميدان ٦٢

المذهب الفردى ــ والثورة الفرنسية ٦٤

العلمانية فى أوربا ٦٥

المبحث الثانى : انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامى ٦٧

تقدمة ٦٧

أولا : عوامل انتقال العلمانية ٦٨

ثانيا : وسائل نقل العلمانية أو « مجاريها » ٧١

عوامل انتقال العلمانية « تلخيص » ٧٢

المبحث الثالث : تعريف العلمانية ٧٣

المبحث الرابع : تطبيقاتها وآثارها ٧٨

تقدمة ٧٨

الموضوع	الصفحة
أولا : آثار العلمانية فى أوربا وأمريكا	٧٨
ثانيا : آثار العلمانية فى المنطقة الإسلامية	٨٤
١ ـــ آثار العلمانية فى الأفراد	٨٤
ضياء كوك الب	٨٥
مصطفى كمال الشهير « بأتاتورك »	٨٧
رفاعة بك الطهطاوى	٩٤
تقييم سريع لرفاعة الطهطاوى	٩٦
على عبد الرازق	٩٧
طه حسين	١٠٠
آثار العلمانية فى المجتمعات الإسلامية	١٠٣
أ ـــ علمنة التعليم	١٠٤
ملخص علمنة التعليم	١١١
ب ـــ علمنة الإعلام	١١٢
ج ـــ علمنة القانون	١١٣
ثالثا : آثاره فى الدول	١١٥
الفصل الثانى : الديموقراطية (الوجه السياسى الغربى)	١١٩
تمهيد وتعريف	١١٩
الديموقراطية تقوم على أعمدة ثلاثة	١٢١
أولا : مبدأ سيادة الأمة	١٢١
صور تطبيقها	١٢٢
حكم الديمقراطية المباشرة	١٢٢
حكم الديموقراطية شبه المباشرة	١٢٢
الحكم النيابى (حكم الأكثرية)	١٢٢
سيادة الأمة فى الميزان	١٢٣
ثانيا : مبدأ المشروعية	١٢٥

الموضوع	الصفحة

تعريفه ونشأته ١٢٥

مبدأ الشرعية فى وضع جديد ١٢٥

ضمانات لمبدأ الشرعية ١٢٦

مبدأ المشروعية فى الميزان ١٢٨

المشروعية الإسلامية العليا ١٢٨

ثالثا : الحقوق والحريات العامة ١٣٠

تقدمــة ١٣٠

الحقوق والحريات فى الميزان ١٣٢

الفصل الثالث : الرأسمالية (الوجه الاقتصادى الغربى) ١٣٧

تقدمــة ١٣٧

نشأة الرأسمالية ١٣٧

خصائص الرأسمالية ١٤١

آثار الرأسمالية ١٤٢

نقد الرأسمالية ١٤٣

الفصل الرابع : الوجودية (الوجه الاجتماعى الغربى) ١٤٥

تقدمــة ١٤٥

نشأة الوجودية ١٤٦

عوامل ظهور الوجودية وانتشارها ١٤٧

ارتباط الوجودية الحديثة بسارتر ١٤٨

تقويم الوجودية ١٤٩

الباب الثانى

التيار الفكرى الشيوعى **١٥١**

فصل تمهيدى ١٥٣

أولا : بواعث الشيوعية وحقيقتها ١٥٣

حقيقة الفكر ١٥٥

الموضوع | الصفحة

انتقال الفكر إلى الشرق الإسلامى ١٥٨
ثانيا : خطورة الشيوعية ١٦١
أ ــ من جهة المبدأ ١٦٢
ب ــ تهيؤ الأرض للنبت الخبيث ١٦٤
ج ــ الأهداف ١٦٦
أخطر أهداف الشيوعية ١٦٩
أولا : القضاء على الأديان غير الدين اليهودى ١٦٩
ثانيا : اتجاه الشيوعية إلى عالمية الدولة بعد مناداتهم لعالمية الفكرة ١٦٩
ثالثا : صلة الشيوعية باليهودية وصلتها بالأديان ١٧٠
أ ــ صلتها باليهودية ١٧٠
ب ــ صلتها بالأديان ١٧١
وثيقة خطيرة ١٧٢
رابعا : تنبؤات ماركس وعوامل فناء الشيوعية ١٧٤
أ ــ حول تنبؤات ماركس ١٧٤
عوامل فناء الشيوعية ١٧٤

الفصل الثانى : الأيدلوجية الشيوعية (الأسس الفكرية للشيوعية) ١٨١
تقدمة ١٨١
الجدلية المادية أساس الفكر الماركسى ١٨٢
نقد الجدل الماركسى ١٨٥
المادة عند ماركس ١٨٧
نقد عام ١٨٩

الفصل الثالث : النظام الاقتصادى الشيوعى « الاشتراكى » ١٩١
تقدمة ١٩١
أولا : قوانين الاشتراكية ١٩٢
إلغاء الملكية الفردية وملكية الدولة لوسائل الإنتاج ١٩٣

الموضوع	الصفحة
ثانيا : الرد على قوانين الاشتراكية	١٩٣
ثالثا : حول التطبيق الاشتراكى	١٩٦
١ ــ مثل من روسيا	١٩٦
٢ ــ مثل من مصر	١٩٨
٣ ــ أمثلة أخرى	١٩٨
الفصل الرابع : النظام السياسى والاجتماعى (الشيوعى)	١٩٩
تقدمة	١٩٩
١ ــ تركيز السلطة أو الطغيان	٢٠٠
٢ ــ انعدام الديموقراطية « أو الشورى »	٢٠٤
٣ ــ إطلاق الشعارات وتوجيه الغضب	٢٠٥
٤ ــ الوشاية والتجسس	٢٠٦
٥ ــ الانحلال الاجتماعى	٢٠٧
الباب الثالث : الاتجاه الصهيونى	٢١١
الفصل الأول : (الأفعى اليهودية)	٢١٣
تقدمة	٢١٣
أولا : صفات الأفعى اليهودية	٢١٤
ثانيا : مراحل الأفعى اليهودية	٢١٦
الفصل الثانى : حول حقيقة الماسونية ونشأتها ومصادرها	٢٢٥
حقيقة الماسونية	٢٢٥
نشأة الماسونية	٢٢٨
مخطط « بايك » العالمى	٢٣٤
الماسونية والأديان	٢٣٥
تباين الماسونية فى حقيقة الإله	٢٣٧
الماسونية والمرأة	٢٣٨
مصادر الفكر الماسونى	٢٤٠

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

اتجاهات إسلامية معاصرة	**٢٤٣**
مقدمة	٢٤٥
الفصل الأول : سمات عامة للدعوة المعاصرة	٢٤٧
المبحث الأول : سمات سلبية	٢٤٧
١ ــ دين بلا دولة	٢٤٧
٢ ــ ضعف الدعوة وضعف الدعاة	٢٤٩
٣ ــ تفرق الدعوة وتفرق الدعاة :	٢٥١
٤ ــ قصور وتقصير	٢٥٣
٥ ــ دعاة جهنم .. تغرير ، وتضليل ، وإلا فتعذيب وتشريد ، وتقتيل	٢٥٧
المبحث الثاني : إيجابية الحركات والاتجاهات الإسلامية المعاصرة	٢٦٢
أولا : قانون البقاء للأصلح « أو قانون الزبد وماينفع الناس »	٢٦٢
ثانيا : قانون رد الفعل	٢٦٥
القانون الأخير : قانون الاستخلاف	٢٦٥
الفصل الثاني : اتجاهات متغايرة على الساحة	٢٦٧
تقدمة	٢٦٧
المبحث الأول : اتجاهات غالية	٢٦٨
مقدمة	٢٦٨
أولا : غلو عقدى	٢٧٠
ألوان من الغلو فى التطبيق الفقهى (أو الفرعى)	٢٧٤
ثالث ألوان الغلو : غلو فى المواقف	٢٧٧
المبحث الثاني : اتجاهات قاصرة	٢٨١
أولا : القصور عند الفكر	٢٨٢
ثانيا : قصور على التنسك	٢٨٦
ثالثا : اتجاهات قاصرة وأنظمة مفرطة	٢٩٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : اتجاهات معتدلة شاملة	٢٩٢
أولا : خصائص هذا الاتجاه	٢٩٣
١ ــ الربانية موردا	٢٩٣
٢ ــ العالمية	٢٩٤
٣ ــ الشمول	٢٩٤
٤ ــ الاستقلال عن التأثير الخارجي	٢٩٥
٥ ــ التدرج في الخطوات	٢٩٥
ثانيا : أهداف هذا الاتجاه	٢٩٨
ثالثا : مبادىء هذا الاتجاه	٢٩٩
١ ــ الله غايتنا	٢٩٩
٢ ــ الرسول قدوتنا	٢٩٩
٣ ــ القرآن شرعتنا	٣٠٠
٤ ــ الجهاد سبيلنا	٣٠١
٥ ــ الموت في سبيل الله	٣٠٢
رابعاً : شبهات حول هذا التيار	٣٠٤
بين الصوفية والسلفية	٣٠٤
هل هي جماعة المسلمين	٣٠٦
تهم تاريخية	٣٠٦
خامسا : الاتجاه الإسلامي في وجه الغزو الفاجر	٣٠٨
الاتجاه الإسلامي يسحب البساط	٣٠٨
الزحف القادم القاهر يتكون	٣٠٩
اقترب يوم الفصل	٣٠٩
مقدماته	٣١٠
شروطه وسماته	٣١٠
الفهرس	٣١١

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٠٢٥ / ٨٦

الترقيم الدولى ٨ ــ ٨٢ ــ ١٤٢٠ ــ ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هــذا الكتــاب

لايعرف الإسلام من لايعرف الجاهلية ، ولايستبين الحق من لم يعرف الباطل .

كذلك لاينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ، ومن لم يدرس خططهم وأساليبهم .

وهذا الكتاب « **الإتجاهات الفكرية المعاصرة** » الذى أعده المستشار الدكتور « **على جريشة** » يتعرض فيه لإتجاهات أعداء الإسلام ومذاهبهم التى ظهرت على الساحة ورفعوا شعاراتها المستمدة من الغرب والشرق .

فجاءت من الغرب العلمانية والديمقراطية ، والرأسمالية ، والوجودية ، والإباحية .

وجاءت من الشرق المادية الجدلية ودكتاتورية البروليتاريا ، والإشتراكية العلمية ، وشيوعية النساء ، وإلغاء الأسرة .

وكانت هناك أيضا الماسونية بأفكارها وخداعها وتلونها ودور اليهود فى تأصيلها ونموها .

ثم تعرض بعد ذلك لما عرف فى المنطقة الإسلامية من إتجاهات إسلامية قاصرة ثم اتجاهات أخرى أصيلة صارعت الغزو الفكرى من الخارج وعمقت أصول الإسلام فى نفوس الناس من الداخل .

نسأل الله أن يعم بهذا الكتاب النفع والفائدة .

وعلى الله قصد السبيل

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٢٤٢٧٢١ /٢٥٦٢٢٠ /٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٢٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 2004

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧٠ / ٣٩٣٤٦٠٦